لقاء الأسلاف

الكرد واللان في بلاد الباب وشروان

جمال رشيد أحمد

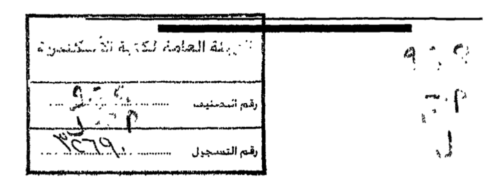


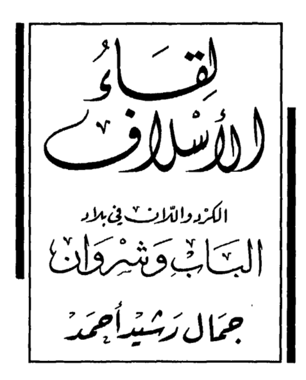




رياض الريس للكتب والنشر

لِقَاءُ الأَسْلَاف




لقاء الأسلاف
الكرد واللان في بلاد
الباب وشروان
جمال رشيد أحمد


RIAD EL-RAYYES
BOOKS
رياض الريس للكتب والنشر

ASIA MINOR AND ITS PEOPLE AS SEEN BY ARAB HISTORIANS AND GEOGRAPHERS

BY

JAMAL RASHID AHMAD

First Published in the United Kingdom in 1994

56 Knightsbridge
London SW1X 7NJ
UNITED KINGDOM

British Library Cataloguing in Publication Data available

ISBN 1-85513-292-3

لوحة الغلاف للفنان محمود حمّاد
الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير ١٩٩٤

المحتويات

تصدير

والغاية الرئيسة من تأليف هذا الكتاب هي التعرف على جوانب معتمة من تأريخ المناطق الشمالية لوادي الرافدين ودور الكرد في سد المنافذ أمام البدو الشماليين أثناء تغلغلهم نحو هذه البلاد مع توضيح أخبار اللان كإحدى المجموعات البدوية التي اتخذت الممرات القفقاسية (الباب وشروان) التي اشتهرت بالثغور في العصر الاسلامي مسلكاً لهجراتهم وقد اضطلعوا كشعب متميز ليس هنا فحسب وانما لشهرتهم كقوة بربرية توجهت كذلك الى قارة أوروبا وأثروا تأثيراً كبيراً على سياسة الامبراطورية الرومانية، وخاصة عندما نزح هؤلاء الى شمال قارة أفريقيا وأسسوا مع القبائل الوندالية الجرمانية هناك دولة أسقطها بليساريوس القائد العام للامبراطور البيزنطي جستنيان فيما بعد وذلك في أواسط القرن السادس الميلادي.

ومن جهة أخرى يغني هذا الكتاب الدراسات النادرة التي تتعلق بالأقوام والشعوب القديمة التي لعبت أدوارها في توفير المقومات القومية لبعض الأمم المعاصرة كالأرمن والكرد والأذربيجانيين والجيورجيين. وكان من المناسب أن نتطرق الى هذا الموضوع بعد أن قدمنا جانباً من هذه الدراسات كانت تتعلق بالسكان القدماء لجبال زاكروس باللغة البلغارية في أعوام ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢ كما شمل كتابنا المنهجي تأريخ الكرد القديم[١] دراسات وفيرة عن الكوتيين واللولوبيين والكاسيين والخلديين والمانا وغيرهم. وقبل هذا كنا قد جمعنا الوثائق الخاصة بأقوام قديمة أخرى اتخذت شمال وادي الرافدين موطناً لها لكن أخبارهم دونت في وقت متأخر نسبياً ومنهم الكردوخيون والكيرتيون الذين خصصنا

(١) تأريخ الكرد القديم (أربيل: جامعة صلاح الدين، ١٩٩١).

لهم فصلين من مؤلفنا (دراسات كردية في بلاد سوبارتو) الذي طبع في بغداد عام ١٩٨٤م حول توضيح نقاط لم تكن معروفة سابقاً. ومن بعد ذلك قدّمنا شرحاً وافياً عن الحوريين والميتانيين والخلديين (الأورارتيين) في مؤلفنا الآخر الذي نشر باللغة الكردية[٢].

أما موضوعات هذا الكتاب فتتعلق بأقوام رعوية مهاجرة الى آسيا الصغرى وشمال وادي النهرين خلال أزمنة متفاوتة أثرت في مجرى الأحداث التأريخية لشعوبها وتتركز بوجه الخصوص حول دور اللان (الآلان) وأسلافهم من السكيث والكيميريين والسرمات الذين ظهروا هنا خلال الألف الأول قبل الميلاد وأقاموا دويلة في بلاد الكرد دامت مدة وجيزة حسب قول المؤرخ اليوناني هيرودوت، ثم بدأوا يظهرون في قفقاسيا مع مطلع العصر الاسلامي. وقد حاولنا أن نوضح ضمن هذه الدراسة بعض العلاقات العنصرية واللغوية لهؤلاء وموقف الدول المحلية منهم وخاصة دولتي أورارتو والمالنا في كل من أرمينيا وكردستان. وقد اشتهروا قديماً في الشرق تحت اسم يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون كما ذكر في القرآن الكريم[٣]. لكن أحفادهم اللان أصبحوا يعرفون عند العرب بالعلان أحياناً.

ففي غرب إيران وفي شرق آسيا الصغرى، وبالأخص في كل من أذربيجان وكردستان، وإذا كان للقبائل المادية (الميدية) دور بارز في التغيرات اللغوية والدينية كما هو الشائع، فإن للمدونات الآشورية والبابلية من القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد الفضل في كشف ذلك الدور بالاضافة الى دور السكيث والكيميريين الذين غدوا خطراً على الدول التي نشأت في المناطق المذكورة. وإذا كانت الآثار الميدية من الندرة في كردستان لم تمنع من انتشار فكرة انتماء الكرد الحاليين الى الميديين القدماء، تلك الفكرة التي تسود في عقول الأوساط المثقفة الكردية لحد الآن، فإن السكيث ومن بعدهم الآلان لم يبخلوا في إغناء آثار وفنون بلادهم التأريخية ومنها ما اكتشف في مناطق سقز وزيويه وحسانلو بكردستان وهي أكثر بكثير مما خلفه لنا الميديون من أعمال. وبالاضافة الى ما ذكر فإن هناك مظاهر عدة تتعلق بالجانب الأثنوغرافي للكرد ترجع أصولها الى السكيث بالدرجة الأولى وخاصة

(٢) دراسة لغوية حول تأريخ المناطق الكردية (بغداد، ١٩٨٨).

(٣) القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية ٩٦، وكذلك سورة الكهف، الآية ٩٤.

الأزياء الشعبية والأسماء القبلية والجغرافية كعشيرة الآلان وإمارة أردلان التي ظهرت في القرن السابق أو مناطق آلان وسيويل في كل من سردشت والسليمانية، وهذه الظاهرة تماثل اسم بلاد شكّى (سكاسيني) في غرب بحر قزوين ومدينة سقز (سكس) الكردية بكردستان ايران وكذلك تشابه بقاء اسم الكيميريين في شبه جزيرة القرم (كيمير/كرم) جنوب الاتحاد السوفييتي سابقاً أو ما يسمى الآن بدولة أوكرانيا.

لقد ظلت ظاهرة الهجرة للآلان نحو جنوب قفقاسيا مستمرة عبر التأريخ، محاولين في فترات عدة عبور الممرات الجبلية للوصول الى أبعد من تلك المناطق. وحين تحقيقهم لتلك الغاية فانهم كانوا يتصادمون مباشرة مع الأقوام المحلية لبلاد أذربيجان وأرّان وأرمينيا ومنهم الكرد الذين أخذ نجمهم السياسي يتألق منذ بداية القرن العاشر الميلادي هناك؛ حيث كانوا يشكلون نسبة كبيرة من سكانها قبل ذلك التأريخ جنباً الى جنب مع الديلم والتات والطاليش. وإذا كان الكرد واللان يلتقون في الانتماء اللغوي الى عالم واحد، فان انتماءهم الديني، الاسلامي والنصراني، كان السبب الرئيسي في الصراع الطويل بينهم في الجهات القفقاسية. كما أن الحروب التي جرت بينهم لم تمنع الكرد من سد طريق تلك الجهات أمام اللان في الدخول الى البلاد الأرمينية ثم الكردية والاستقرار فيها. ومن المحتم أن هذا الاجتياز جرى في مطلع العصر الاسلامي أو حتى في أواخر العصر الساساني ـ البيزنطي. لذلك فلا شك في وجود اللان في المناطق الكردية منذ ذلك الوقت مما كان دافعاً لأن يطلق السلطان السلجوقي (سنجر) على الولاية الأولى لإقليم كردستان اسم (آلاني) وذلك في بداية القرن الثالث عشر الميلادي. ومن هذا الواقع عرفت المنطقة الكردية الحالية (أردلان) بأرض اللان قديماً، كما استطاعت بعض العشائر الكردية فيها أن تحتفظ باسمها القديم (الآلاني) وسكنت كذلك في كل من سردشت وقلعة دزه ثم لم تلقب الكرد بطل قصتهم الدرامية (مم الآلاني) بغتة وعن طريق الصدفة..! علماً أن طائفتي بيرئاغالي وبيك زاده في به يتوش قرب سردشت تدعيان أنهما من عشيرة الآلان. وعموماً لم تتوضح العلاقة الكردية الآلانية عند الكثيرين لحد الآن، وخاصة عند الأدباء الكرد الذين صدّروا مقدمات كتبهم المتعلقة بتلك القصة الدرامية ببعض الآراء القصيرة المتعلقة بخلفية قصصهم الأدبية وانتماء أبطالهم الى أصول غير معروفة بجانب ذكر أحداث غير تاريخية.

ومع اطلاعي على كافة الطبعات الكردية والعربية لهذه القصة فإن كل

تلك الآراء المتشابهة الواردة فيها لم تبرر عندنا سبب تسمية القصة بـ(مم الآلاني). هذا بالاضافة الى أن هذه الطبعات ومحتوياتها مشتقة من بعضها البعض ولم يوضح مؤلفوها الغموض الذي يكتنف الخلفية التأريخية للقصة المذكورة لأن جميعهم استندوا على أقوال المستشرق الفرنسي روجر ليسكو Roger Lescot.

مقدمة

رأينا من الأفضل تقسيم الكتاب الى فصول خمسة لتبسيط موضوعاته مع الدقة في توضيح مضامينه. وبما أن أحداث هذه الموضوعات تتعلق بقفقاسيا وما يحيطها من بلدان، فكان لابد لنا أن نوضح كل ما له علاقة بتلك البلدان من الأنهار والمدن وواقعها الجغرافي والديموغرافي ضمن الفصل الأول. أما في الفصل الثاني فقد أوضحنا بعض الجوانب التأريخية للان (الآلان) باختصار، لأن الفصول التي تلي هذا الفصل تشمل الأدوار التأريخية المتعلقة بهؤلاء والتي تتوضح تدريجياً مع الأحداث. وبناء على ذلك، كان لابد لنا أن نتطرق في الفصل الثالث الى التأريخ المبكر لهذا الشعب. وقد خصصنا هذا الفصل بالتحدث عن أسلافهم من الكيميريين والسكيث والسرمات بتبيان مواطنهم الأصلية في المناطق الشمالية للبحر الأسود وذلك من خلال الكتابات اليونانية القديمة.

وفي الفصل الرابع بيّنا اتجاهات رحلات القبائل البدوية للسكيث والكيميريين وظهورهم في آسيا الصغرى وغرب إيران وتأثيراتهم السياسية على دول المنطقة، ثم إصطدامهم بالميديين في كردستان. بناء على ذلك عنونا هذا الفصل بـ«مظاهر لقاء الأسلاف» وجعلنا من هذا الموضوع مدخلاً لقضية لقاء الكرد واللان في العصر الاسلامي التي أصبحت عنواناً وموضوعاً للفصل الخامس والأخير.

لم تكن مفردات هذه الدراسة في الواقع متوفرة في كتاب مستقل، فكان علينا جمع شتات موضوعاتها من مصادر متباينة كل التباين، فكنا ننهي جانباً من أحد فصولها ونصيغه ضمن دراسة منهجية تأريخية لكي نصل في النهاية الى استنتاجات منطقية مقنعة ثم نتوقف عن العمل لعدة أشهر أو حتى سنة كاملة، وذلك لأسباب خارجة عن إرادتنا، ثم نعود بعد ذلك

كي نستذكر كل ما دوناه سابقاً لنربط الحوادث بالتسلسل الزمني، وأخذ هذا العمل من وقتنا الكثير وبشكل متقطع. وإذا كان عنوان الكتاب يتعلق بموضوع الكرد واللان، إلا أنه يتطرق في الفصلين الثاني والثالث على الأغلب الى اللان وأسلافهم، وذلك لتحقيق الغاية المتوخاة من تأليف الكتاب. أما تأريخ الشعب الكردي، وان تكن مراحله القديمة غير واضحة، فانه يتوضح بصعوبة للمهتمين به، لذلك فاننا لم نجد كتاباً خاصاً بشأن اللان بالعربية ولا بالكردية، وهكذا فتشنا عن المصادر والمراجع، فبدأنا باليونانية والرومانية وكان أغناها هي ما عند هيرودوت في تأريخه وأقل من ذلك عند هيبوكراتيس. ومن الممكن القول أن أغلب ما كتب من معلومات عن أسلاف اللان من السكيث والكيميريين مشتق مباشرة من أقوال هيرودوت سواء ما يتعلق بوطنهم القديم (سكيثيا) أو عن هجراتهم الى آسيا، ولكن هوميروس كان قد أشار الى هؤلاء قبل هيرودوت دون ذكر اسمهم، ثم تحدث عنهم كل من يوسف الفلاوي وسترابو. أما المؤرخون الرومان كـ(بلينيوس وأميانوس مركلينوس وكاسيوس ديون) فقد تطرقوا الى اللان في وقت متأخر وأشاروا كذلك اليهم في قفقاسيا، لكن ثيوفيلاكت سيموكاتيس (القرن السابع الميلادي) وميناندر Minandir فقد تطرقا الى الآثار أيضاً، إلا أن (بلوتارخوس) دوّن أخبار هؤلاء بالتفصيل عند هجرتهم الى أوروبا وما ترتب على تلك الهجرة من مآس التي لاقوها من قبائل الهون، لكن الذين اشتهروا من اللان باسم (مساكيت) حوالى مدينة (مسقط) فقد تحدث عنهم المؤرخ الأرمني فاوستوس البيزنطي وكذلك موسى الخوريني.

يرجع الفضل في السنين الأخيرة الى دائرة المعارف البريطانية في إعادة طبع الترجمة الانكليزية لكتب مؤرخي اليونان والرومان ضمن أعداد مرتبة حسب الأسماء. ومن هذه الكتب كتاب يوسف الفلاوي (الحرب اليهودية) الذي يشير فيه الى أخبار اللان، كما أن الجغرافي اليوناني سترابو وضح لنا أوضاع بلاد قفقاسيا، وخاصة ألبانيا، متحدثاً بإسهاب عن سكانها، وقد حالفني الحظ أن أزور مناطق متعددة من جنوب وجنوب غربي بحر قزوين بشمال إيران وأجري بحوثاً ميدانية في كل من أذربيجان وموقان مع أقوام كالترك والتات والطاليش والجيليين وغيرهم وذلك في مرحلتين بين أعوام ١٩٧٤م و١٩٩١م مما أتاح لي فرصة الاطلاع المباشر على مناطق أحداث هذا الكتاب ومهد لدراسات سأنشرها في المستقبل.

لا يخفى على المطلع على الأمور التأريخية أن المصادر الاسلامية، العربية

منها والفارسية ثم التركية، وأغلبها لبلدانيين ظهروا منذ المائة الرابعة للهجرة (العاشرة للميلاد) تحتوي أخباراً ودراسات قيمة عن البلاد التي اشتهرت فيها بالقبق (القبخ) ويقف في طليعتهم كل من الاصطخري وابن حوقل والمقدسي إلا أن هؤلاء أهملوا المعلومات التي تتعلق بالجوانب الثقافية والحضارية لأقوامها، ومع ذلك فتصانيفهم زاخرة بالفوائد. وما كتاب ابن حوقل إلا نسخة محدثة موسعة لكتاب الاصطخري، لكن للثالث أسلوباً خاصاً متميزاً. ولعل الأسماء الجغرافية الواردة على كتبهم تساعدنا أحياناً على معرفة الأصول اللغوية لشعوب تلك المناطق رغم بعض التغييرات التي أجروها على صيغها المحلية وذلك بترجمة معانيها الى العربية بدون زيادة أو نقصان، كما أن أسماء الملوك المحليين تدعم دراستنا في هذا المضمار. ولا يخفى على القارىء الكريم جغرافية كتاب المقدسي الذي كتبه بأسلوب خاص يختلف عمن سبقه، ذلك أنه بناه على ما شاهده بنفسه من مختلف الأقاليم. والمتتبع لهذه المصادر يرى بوضوح النهج الاسلامي الخاص الذي التزم به البلدانيون ومؤرخو العصر الاسلامي في سردهم لأخبار أقوام المناطق المذكورة، لذلك فاللان الذين كانوا وقتذ من المسيحيين يعتبرون بالنسبة لهؤلاء قوماً من عالم الكفر، وحتى وصل الحد بشخص مثل منجم باشي (رئيس المنجمين) الكاتب التركي من العصر العثماني الى درجة من التعصب حيث وصفهم بـ(الملاعين..!).

ومهما يكن من أمر فإن أصحاب النهج الاسلامي في كتابة التأريخ ألقوا نظرة شمولية على الأحداث والوقائع وميّزوا انتماء الأمم والأقوام على أساس ديني وليس على الانتماءات اللغوية أو الحضارية أو العرقية وذلك انطلاقاً من ايمانهم بمفاهيم القرآن في تفسير ظواهر العالم. ومع كل التحفظ في هذا الجانب من الموضوع فإن كتبهم لا تخلو من حقائق وأمور دقيقة تتعلق بقضايا عديدة في السلم المعرفي لعلم الجغرافيا الذي أصبح علماً مساعداً للدراسات التأريخية في العصر الاسلامي. وهناك كثيرون انشغلوا في هذا الجانب سواء كان في مشرق أو في مغرب العالم الاسلامي، إلا أن أشهر من كتب عن أخبار بلاد أذربيجان وأرمينيا ومقاطعات الجرزان (جيورجيا الحالية) وكذلك مناطق لقاء الكرد باللان في بلاد القبق (قفقاسيا الحالية) كانوا من المشرق سواء زار أحد منهم المناطق ذاتها أو نقل الأخبار عن غيره.

وأهم المصادر التي استقينا المعلومات منها هي:

١ ـ كتاب **فتوح البلدان** للبلاذري (أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر ابن داود البغدادي البلاذري) ولد في أواخر القرن الثاني من الهجرة وتوفي في (٢٧٠هـ/٨٩٢م) وأصله على الأغلب من ايران وكان مؤرخ البلاط العباسي، وقد تاقت نفسه الى الرحلة في الشرق فدخل الى بلاد كثيرة ومنها الثغور (قفقاسيا). ويقول المحقق الفرنسي (دي غويه) إنه اشتغل بتأليف كتاب جامع لتأريخ الدول الاسلامية أتى فيه على الحقائق التأريخية دون أن يغضب خليفة وقته ونجح في هذا الموقف الحرج نجاحاً عظيماً، وكان هو من أخصاء المتوكل على الله وقد حظي عند المعتز بالله حظوة كبرى ونال لديه ثقة وفضلاً، ولذا عهد اليه بتربية ولده، وقد تقرب من المستعين بالله، (حول هذا الموضوع راجع طبعة القاهرة ١٩٥٩م لكتاب **فتوح البلدان**). وصف فتوح المسلمين في الشرق والغرب بحسب وقوعها. وهذا الكتاب جليل القدر لأنه يرينا حال البلاد حين أصبح الاسلام الدين السائد فيها.

كان البلاذري يتعمد الدقة في إسناد الرواية. ففي هذا الكتاب لم يسر وفق تسلسل الحوادث وإنما قسمه حسب البلدان والمقاطعات، وهو حافل بتأريخ الفتوحات الاسلامية وصيغ الأمان ومقادير الضرائب ويتطرق الى الخراج ويعدد الاقطاعات التي أقطعت في عهود مختلفة، ويتكلم عن نزوح القبائل العربية واستيطانها في الأماكن الجديدة. وبناء على ما رواه البلاذري فقد استفدنا من أخبار وصول المسلمين الى مرج دبيل وفتوح أرمينيا وأذربيجان.

٢ ـ ابن خرداذبه (أبو القاسم عبدالله بن عبدالله المتوفي في حدود سنة ٣٠٠هـ). دوّن المسودة الأولى من مخطوطته (**المسالك والممالك**) عام ٢٣٢هـ/٨٤٦م وأتم مسودته الثانية عام ٢٧٢هـ/٨٨٥م، ووضح في كتابه هذا مسالك أقطار عديدة احتلها المسلمون وأعطى صورة تقريبية لأبعادها والمسافات التي تفصل بين مدنها ويظهر انه كان لأرمينيا مفهوم أوسع إذ شملت مناطق كردستان والسيسجان وأرّان وتفليس وبرذعه والبيلقان وقبله وشروان وجرزان وغيرها وقد قسّم تلك البلاد ضمن أرمينيا الأولى والثانية والثالثة والرابعة، ويحتمل جداً أن كثيراً من البلدانيين المسلمين اعتمدوا على أقواله.

٣ ـ أما ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني) فقد كتب عام ٢٩٠هـ/٩٠٣م مؤلفه ـ **مختصر كتاب البلدان**، وحققه دي غويه

عام١٨٨٥م ـ ووضح فيه مواقع مهمة من بلاد أرمينيا وآذربيجان والجبال والديلم وغيرها وقد أفدنا من بعض نصوصه.

٤ ـ يحتوي كتاب **الأعلاق النفيسة** لابن رسته (أبي علي أحمد بن عمر) الذي أكمله عام ٣٠٠هـ/٩١٢م أخباراً قيمة وشواهد مهمة تتعلق بمختلف سكان بلاد القبق منهم السريرية واللانية، اضافة الى أخبار الخزر وغيرهم، كما أنه أشار الى البلغار والمجر والصقالبة والروس الذين وردت أخبارهم ضمن فصول هذا الكتاب.

٥ ـ وفي كتاب **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، للمسعودي (انتهى منه حوالى ٣٣٢هـ/٩٣٤م) معلومات كافية وثمينة عن بلاد شروان والباب وعن كل ما يتعلق بالمناطق الواقعة في شمال وجنوب قفقاسيا. والمسعودي هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الهذلي البغدادي متوفى عام ٣٤٦هـ. وكتابه هذا ذو أهمية تأريخية، ومصادره تستند على معلوماته الشخصية أحياناً لكن بعض المعلومات في هذا المؤلف غير واضحة، ويذهب في الكلام الى التحدث عن مناطق بعيدة لم يزرها على أغلب الاحتمال. وقد صنف إضافة الى هذا الكتاب التأريخي كتاب (**التنبيه والاشراف**) الزاخر بالتصانيف الجامعة وأخبار وفوائد غريبة.

٦ ـ **تأريخ ياقوت الحموي** (الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت ابن عبد الله الحموي الرومي البغدادي توفي في ٢٨٤هـ/٨٩٧م؟). يتخلل هذا الكتاب معلومات لا نجدها عند البلاذري، ونعني بها ما يتعلق بأرمينيا وما وراء القفقاس، وهو سفر كبير كثير الأجزاء ومع أنه استقى مصنفه ممن تقدمه من المؤلفين إلا أنه زاد عليهم مشاهداته ثم انه أورد أخباراً مهمة عن أصل العائلة الدربندية الهاشمية العربية عندما تكلم عن الباب وشروان وقد صنف المواد على الترتيب الهجائي واقتبس دون تعقيد من كل ما وصفه أسلافه. ومقال ـ الباب ـ هو قاموس جغرافي من جمعه وتصنيفه، ويظهر انه في عام ١٢٢٥م أضيف اليه أخبار من الاصطخري، وتحوي معلومات طريفة جمعت من مصادر غير معروفة. ولياقوت الحموي شروح جيدة لمدن ومقاطعات بلاد الران وشروان وأرمينيا وجيورجيا وغيرها في معجمه للبلدان. وقد أعيدت كتابة أخبار هذه المناطق مثل مدينة برذعه ونهر الكر وإتل وبحر الخزر عند النويري في كتاب «**نهاية الأرب في فنون الأدب**» ولكن بعد مضي ثلاثة أرباع القرن على تأليف **معجم البلدان**

ظهر مختصر له بعنوان (**مراصد الاطلاع**) لصفي الدين عبدالمؤمن عبدالحق المتوفى عام ١٣٣٨م.

٧ ـ لا يمكن الاستغناء عن مؤلفات الاصطخري (وهو أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الملقب بالاصطخري المعروف بالكرخي) وبالأخص كتابه (**المسالك والممالك**) الذي ألفه في ٣١٨ - ٣٢١هـ/٩٣٠ - ٩٣٣م وأعيدت كتابته في ٣٤٠هـ/٩٥١م ويتحدث فيه عن أرّان وشروان والباب وما يتعلق بها من حوادث وهو زاخر بالفوائد التي استقى منها ابن حوقل معلوماته، وهو من أهل اصطخر (برسيبوليس القديمة) في بلاد فارس.

٨ ـ أضاف ابن حوقل أخباراً جديدة ومهمة على المعلومات التي نقلها من كتاب (**المسالك والممالك**) للإصطخري. فالمعلومات التي تصلنا من كتابه المسمى بنفس الاسم (**المسالك والممالك**) حول أسرة (المسافرية) الديلمية التي حكمت فيما وراء القفقاس، على سبيل المثال، هي إعادة لما دونه من سبقه، ويتحدث كذلك عن نتائج حملات الروس على الخزر عندما أقام هو شخصياً في بلاد جرجان (كركان) عام ٣٥٨هـ/٩٦٩م. وفي كتاب (**صورة الأرض**) يوضح ابن حوقل مواقع جغرافية مهمة في أرمينيا وآذربيجان والران وما جرى فيها من حوادث تهم هذه الدراسة.

٩ ـ يحتوي كتاب (**الكامل في التأريخ**) لابن الأثير على حقائق هامة عن مدن مختلفة في بلاد الثغور وقد أشار الى الفتوحات الاسلامية هناك أيام الخليفة عثمان بن عفان، ثم بيّن حقيقة تواجد الكرد في تلك المناطق، لكنه لم يفصّل أخبار الدولة الشدادية الكردية إلا ببعض المقاطع ثم دوّن شيئاً مختصراً عن الأمير فضلون الكردي، وأشار بغزارة الى أخبار الأيوبيين وذلك لبعد موطنه في كردستان عن أحداث قفقاسيا.

١٠ ـ أما ابن خلكان (أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس الأربلي الشافعي ٦٠٨هـ - ٦٨١هـ) فقد أشار أحياناً في كتابه (**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**) الى أخبار بلاد أرمينيا وأذربيجان، لكنه تحدث باسهاب عن الروادين الذين حكموا في أذربيجان وتنتمي اليهم أسرة صلاح الدين الأيوبي. وفي أجزاء مختلفة من الكتاب شرح ابن خلكان أخبار الأسرة الأيوبية

بشكل وافٍ وهو كرجل كردي كان له المساس المباشر لدور هذه الأسرة في الأحداث السياسية.

١١ ـ لقد أخبرنا اليعقوبي (أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المتوفى بعد سنة ٢٩٢هـ) بحوادث الفتوحات الأولى للمسلمين في بلاد الثغور. ويقول ليسترنج بأن اليعقوبي أنهى كتابه: **التأريخ**، في سنة ٢٦٠هـ/٨٧٤م، وتنتهي حوادثه بسنوات ٨٧٢م - ٨٧٣م على ما يظهر (Le Strange Guy., Baghdad. (London, 1900), P. 269). وكتاب **التأريخ**، اهتم بالفتوح والضرائب وتفاصيل عن ولاة وعمال البريد والخراج في أرمينيا وأذربيجان، هذا في الوقت الذي كان حمزة الأصفهاني قد تبعه عام ٣٥٠هـ بتأليف كتاب (**تأريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**) يشير في فصله العاشر الى تواريخ ولاة طبرستان وأتمه جوتوالد في لايبزغ في سنة ١٨٤٤م.

١٢ ـ ومما يجلب الانتباه في هذا المجال **مجموعة المدونات والوثائق** التي جمعها الكاتب الكردي مسعود بن نامدار (حوالى ١١٠٠م أي بداية القرن السادس الهجري) وهي حصيلة تعدد وتنوع أعماله في المدن الواقعة فيما وراء القفقاس. وقد أتم كتابه بتدوين المعلومات التي تتعلق بتأريخ مدينة الباب (دربند) عندما استقر فيها عند شروانشاه فريبرز. واستطاع المستشرق فلاديمير مينورسكي التعرف على المعلومات التي دوّنها هذا الكاتب من خلال المخطوطة النادرة الوحيدة التابعة للمكتبة الوطنية في باريس (القسم العربي، رقم الايداع ٤٤٣٣) وكتب مقالاً حول هذه المخطوطة مشيراً الى ما تحتويه من وثائق مهمة. انظر:

V. Minorsky., et Claude Cahen, le **Recueil Transcaucasien de Masud B. Namdar**,Journal Asiatique, (1949), T. CCXXXVII, pp. 93 - 142.

وراجع أيضاً مخطوطة مسعود بن نامدار في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم الايداع ٤٤٣٣:

Paris, Bibliothèque. Nationale, Fonds Arabes, No 4433.

١٣ ـ أبقى المؤرخ الكردي الفارقي الأزرقي معلومات طريفة عن رحلته الى اللان في كتابه عن تأريخ مدينة ميافارقين والدولة الدوستكية الكردية التي قامت فيها. وكان مؤرخنا هذا هو أحمد بن يوسف بن علي بن أزرق المتولد في ميافارقين عام ٥١٠هـ/١١١٧م ينحدر من عائلة كردية معروفة في هذه المدينة. لقد بعث هذا المؤرخ الى الملك

الجيورجي ديميتر في القرن الثاني عشر الميلادي، وكان هذا الملك هو ابن الملك داود، وذكرالفارقي نفسه أنه زار تفليس (عاصمة جيورجيا الحالية) عام ٥٤٨هـ/١١٥٤م وتجول في مدن أخرى ببلاد الجرزان، ثم صاحب هذا الملك الى بعض المناطق في قفقاسيا. وحفظت مخطوطات الفارقي في المتحف البريطاني للدراسات الشرقية تحت رقم ٥٨٠٣ (BR. Mus. OR. 5803) وأعانت هذه المعلومات عند الفارقي جانباً من الدراسات في كتابنا. هذا بالاضافة الى جولاته بقفقاسيا فقد قام هذا المؤرخ بزيارة الى العراق والشام وآميد (دياربكر) وسجّل ملاحظاته الفريدة عن هذه البلدان في مخطوطاته.

١٤ ـ يحوي **تأريخ الطبري** (وصاحبه هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، توفي في سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م) أخباراً عن مجموعة من الحوادث التي رافقت مدينة الباب (الدربند) ثم يشير الى تواجد الكرد في أرمينيا أثناء الفتوحات الاسلامية. ويعتبر هذا التأريخ من أكمل التواريخ الاسلامية وأجمعها المنتهية الينا من أوائل المائة الرابعة للهجرة (العاشرة الميلادية).

١٥ ـ أنهى القزويني (حمدالله المستوفي القزويني) كتابه **نزهة القلوب** عام ٧٤٠هـ/١٣٤٠م. وفي مقالته الثالثة (القسم الجغرافي) موضوعات عن ولايات أذربيجان وكردستان وخوزستان وفارس وغيرها من البلدان. وقد أوضح القزويني لأول مرة التكوين الاداري لإقليم كردستان أيام السلطان السلجوقي سنجر، وهذا من الأمور النادرة في التأريخ الكردي واستقينا منه معلومات تتعلق بوصول الترك الى البلدان المذكورة.

١٦ ـ إذا كان ابن فضلان (أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد مولى محمد بن سليمان) رسول الخليفة العباسي المقتدر بالله الى ملك الصقالبة لا يتطرق الى أخبار اللان في بعثته الى مدينة البلغار لأنه اتخذ في رحلته نحو نهر إتل (فولغا الحالية) طريقاً لا يؤدي اليها من قفقاسيا وإنما عن طريق ايران وشرق بحر قزوين ماراً ببلاد الترك (تركستان) في أواسط آسيا، لكنه حاول أن يوضح لنا أوضاع الروس والبلغار والخزر من النواحي الاجتماعية والدينية والبناء الاقتصادي لمجتمعاتهم خلال مروره ببلادهم في بداية القرن العاشر الميلادي. وقد استطاع أن يميز جوانب دقيقة من حياة هذه المجتمعات ليقارن بها مجتمعه المتطور آنذاك في بغداد. ومن الواضح فأن البلغار

توجهوا في القرن السابع الميلادي نحو البلقان وما تبقي منهم على نهر إتل أخذوا طريقاً آخر في التطور لم يلعبوا دوراً متميزاً مشهوداً كالخزر والروس في الأحداث التأريخية لبلاد قفقاسيا. وأفادنا كتاب **رحلة ابن فضلان** في توضيح أحداث شمال قفقاسيا خلال القرون الأولى للاسلام. وقد حقق الاستاذ التركي زكي وليدي طوغان هذا المصدر المهم ونشره بالعنوان التالي:,Ibn Fadlan's Reisibericht (Leipzig, 1939) **(AKM, BD. XXIV. HF. 3) ED.** Togan A.Z.V. لكن الجويني تطرق بوضوح في كتاب **جهان كوشا** الى كل من الكيبجاك والآلان والآس والروس فيما بعد.

١٧ ـ تطرق أبو الفداء (عمادالدين اسماعيل بن محمد بن عمر شاهنشاه بن أيوب صاحب حماه المتوفى سنة ٧٣٢هـ) في كتابه الجغرافي **تقويم البلدان** الى مواقع الأقوام القفقاسية، وقد أورد اسم اللان بصيغة (العلاّن). وبالرغم من بعض الأخطاء التي وقع فيها في تحديد الأماكن إلا أنه لا يمكن الاستغناء عن هذا الكتاب في مثل هذه الدراسة التي هي تحت أيدينا. وهذا من أشهر البلدانيين الكرد كان أميراً ينحدر من الأسرة الأيوبية الكردية التي ترجع الى قبيلة الهذبانية وقد أضاف الى معلومات سابقيه مشاهداته.

١٨ ـ ومن الكُتاب المسيحيين الذين تطرقوا الى اللان وأفادت أقوالهم هذه الدراسة هو بار هيبرايوس الذي اشتهر عند العرب ب(أبي الفرج الملطي أو ممفريان كريكوريوس ابن العبري السرياني وعاش فيما بين ١٢٢٦م ـ ١٢٨٦م). وقد ذكر أن أبناء يافث بن نوح سكنوا في آلانايه، الترك، ميديا، أرمينيا، كبدوكيا... والسرمات وغيرها (راجع ص ٧) وأضاف أن في زمن حكم المستكفي بن المكتفي توغل الآلان والصقالبة واللاظ الى أذربيجان واستولوا على مدينة برذعة وقتلوا ما يقارب عشرين ألف رجل (راجع ص ١٦٣). حتى انه أشار الى السكيث الذين استولوا على بلاد فلسطين أيام الملك الآشوري سنحاريب، ثم ذكرهم في القرن الثالث عشر زمن المغول جنباً الى جنب البلغار والروس (راجع ص ٢٥، ٤٥٧، ٤٥٨ وما بعدها) وقد حقق أرنست واليس بوج هذا الكتاب تحت عنوان:

The Chronography of Gregory Abu'l Faraj Bin Hebraeus. Being the First Part of His Political History of the World. ED. By Ernest A. Wallis Budge, Vol. I. (Oxford University Press, 1932).

ومع ذلك فقد وردت أخبار أسلاف اللان في العهد القديم، الاصحاح ٥١ وقد ساعدتنا هذه المعلومات بشكل أو بآخر.

١٩ ـ أما كتاب **جامع الدول** لمؤلفه (أحمد بن لطف الله أو درويش أحمد أفندي الملقب بمنجم باشي أي رئيس المنجمين) فهو فريد في مجال التعرف على تأريخ بلاد الباب أكثر مما دون أوليا جلبي، الرحالة العثماني في **سياحتنامه** عن أقوام هذه البلاد وخاصة القيتاخ. لقد بذل البروفيسور فلاديمير مينورسكي جهداً عندما وجد النسخة الوحيدة لهذا الكتاب في استنبول، وبعد تحقيقه بدقة، اكتشف من خلاله حقائق دامغة لقضايا تأريخية لم يطرحها غيره من قبل، وبالأخص ما يتعلق بالسلالات الكردية الحاكمة فيما وراء القفقاس في القرن العاشر الميلادي وبعده. ويقول مينورسكي أن الذين كتبوا حول هذه المنطقة لم يتوقعوا أن تكون الترجمة تركية لكتاب **جامع الدول** لمنجم باشي الذي كان قد أتمه أحمد نديم في سنة ١٧٣٠م وطبع بعنوان **صحائف الأخبار** عام ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م وهو موجز وحيد للعمل الأصلي، جمع وألف بالعربية واتخذ اسم **جامع الدول**.

كان أحمد بن لطف الله منجم باشي من المقربين الى السلطان العثماني محمد الثالث، وكتابه لم يطبع، لكن نديم أفندي استطاع أن يطبع ثلاثة أجزاء من الترجمة التركية لهذا الكتاب في استنبول، وكان منجم باشي الذي توفي في مكة عام ١١١٣هـ/١٧٠٢م قد استعمل عدداً ضخماً من المصادر، ومن ضمنها التأريخ المحلي لباب الأبواب وشروان وأرّان، الكتاب الذي ألفه ال(فقيه)، وقد ضاع هذا الكتاب فيما بعد.

وبموافقة السيد تحسين أوز مدير مكتبة (طوب كابي سرابي) وبمساعدة الدكتور أحمد أتاش، استطاع مينورسكي أن يستنسخ نصوص كتاب **جامع الدول** الذي كان بشكل مخطوطات تحت رقم ٢٩٥١ وهي مستنسخة من النسخة الأصلية لمنجم باشي نفسه. وبالرغم من أن هذا الكتاب ظل ٦٠٠ سنة يرافق الحوادث، فإن كثيراً من الأسماء الجغرافية والحقائق الأثنولوجية بقيت غير واضحة. لذا استعمل مينورسكي مصادر اسلامية ومسيحية عديدة، كما يذكر هو في تحقيقه للحوادث التي تتخلل حياة الشخصيات السياسية في هذه المناطق فلهذا هو من أهم المصادر التي ساعدتنا على تأليف هذا الكتاب.

٢٠ ـ ومن المصادر النادرة التي تخص هذه الدراسة كتاب **تأريخ الباب** أو **دربندنامه** الذي استقى منه منجم باشي معلوماته على ما يظهر. وعلى حد قول مينورسكي فان البداية الميكرة لتأريخ الباب مرتبطة بحكم محمد بن خالد المنحدر من السلالة اليزيدية الذي ورد اسمه في الكتاب نفسه. ويتبين أن مؤلف الكتاب استفاد من مدونات محلية كانت تتواجد في مدن أرّان وشروان والباب ثم أضاف إليها معلومات محلية كما ترجم تواريخ كاملة دقيقة ترافقها غالباً ملاحظات مختصرة ملائمة لهذه المدونات وسجلت على صفحات إضافية. وبالرغم من عدم معرفة اسم صاحب الكتاب، إلا أن بعضهم نسبه الى شخص باسم ممصوص الدربندي. راجع:

F. Rosenthal., **a History of Muslim Historigraphy.** (Leyden, 1952). P. 385.

ولكن مينورسكي يرى احتمالاً أن صاحب الكتاب هو مسعود بن نامدار الكاتب الكردي الذي سبق ذكره. راجع:

ف. مينورسكي، **فصول من تأريخ الباب وشروان.** (موسكو، ١٩٦٣)، ص ١٧ بالروسية. وكان أول نسخة من كتاب **دربندنامه** التي عرفت النور هي تلك التي قدمت الى القيصر بطرس الأكبر من قبل حاكم الدربند (إمام قلي) أثناء احتلال المدينة من قبل الروس عام ١٧٢٢م. ثم ترجمت ترجمة جيدة الى الفرنسية قام بها كلابروث. راجع:

J. Klaproth., **Extrait du Derbend-Nameh ou de l'Histoire de Derbend,** JA. 2 SER. T. III (1829), **PP.** 439-467.

ولكن العمل القدير حول هذه الوثيقة التأريخية تم بيد الأكاديمية الروسية عام ١٨٥١م عندما ترجمتها الى الانكليزية بعنوان:

Derbend-Nameh, Or The History of Derbend, Translated From Turkish Version... And With Notes, ST. Peterburg, Memoires des Savants Étrangers Publiés par l'Academie des Sciences, T.VI, (1851).

واستناداً الى منجم باشي فان مصدره **تأريخ الباب** اكتمل تدوينه نحو عام ٥٠٠هـ/١١٠٦م كما أن الفقرة الخاصة بالشداديين الكرد، والفقرتين المهمتين اللتين تخصان الباب (الدربند) وشروان قد توقفت الكتابة فيها حوالي عام ٤٦٨هـ/١٠٧٥م، وهو الزمن المقارب الذي دون خلاله المؤلف الحقيقي مخطوطته. لذا لا يورد

شيئاً عن الشداديين الذين حكموا في آني خلال فترة متأخرة، ومع ذلك فان من الصعوبة تبيان علاقة هذا المؤلف بمؤلفات (البردعي) الذي كتب عن تأريخ أرّان وابن أبي الهيجاء الذي كتب تأريخ أذربيجان لأن جميعها فقدت. ولكن مينورسكي يذكر بأن مؤلف كتاب **الدربندنامه** عاش في جوار مدينة (كنجه) واستعمل مدونات محلية وكان في عداء شديد مع المسيحيين ومع ذلك فإنه لم يشعر بشعور أحسن نحو الترك. والفرد يستطيع أن يخمنه كفارسي أو ككردي من أهل المنطقة، وهذا الوضع يقربه من جامع الوثائق المحلية مسعود بن نامدار الكاتب الكردي المجهول. انظر:

V. Minorsky and C, Cahen, Le Recueil Transcaucasien, **Journal Asiatique,** (1949), **PP**. 93-142.

وكتب مسعود بن نامدار مؤلفه بعد أربعين عاماً على وجه التقريب من سقوط نظام الأسرة الشدادية في كنجه، وهي الحادثة التي تتم المصادر الجيدة لكتاب منجم باشي.

٢١ - ومن الكتب الغنية بالمعلومات التي عني بتحقيقها فلاديمير مينورسكي كان كتاب **حدود العالم** الجغرافي الذي يشمل حقائق وشواهد عن مناطق مختلفة من العالم المعروف خلال القرن العاشر الميلادي. ويظهر من مقدمة الكتاب أنه كان قد أهدي الى (الأمير أبي الحارث محمد بن أحمد) من سلالة فرغوني التي حكمت (كوزكانان) شمال أفغانستان. انظر:

V. V. Barthold., **Hudud Al-Alam: the Region of the World. Apersian Geography 372 A.N. 982 A.D.** Translated and Explained by V. Minorsky. (London, 1937), P. 172.

وفي الصفحة الثامنة من هذا الكتاب يصف مينورسكي كيفية اكتشاف مخطوطات هذا الكتاب من قبل الضابط الروسي (تومانسكي) في مدينة أشخاباد (عشق آباد) عام ١٨٩٠م وكان اسم الناسخ مدون عليها بالصيغة التالية:

«صاحبه كاتبه العبد المذنب المحتاج الى رحمة الله تعالى أبو المو... عبدالـ...وم ابن...ين ابن علي الفارسي...».

ومن هنا يظهر بأنه «أبو المؤيد عبد القيوم بن الحسين بن علي الفارسي» وقد تم تأليف الكتاب عام ٣٧٢هـ/٩٨٢م ثم استنسخ عام ٦٥٦هـ/

١٢٥٨م، وترجم بارثولد هذا الكتاب من الروسية الى الانكليزية عام ١٩٣٧ الذي أفاد هذه الدراسة التي بين أيدينا بجانب ما أورد صاحب تأريخ كزيده من معلومات حول موضوعنا.

٢٢ ـ لقد اعتمد مينورسكي أيضاً، في دراساته المختلفة حول تأريخ الشعوب القفقاسية، على مصادر محلية غير اسلامية منها الجيورجية والأرمنية. وقد استقينا بعض المعلومات من هذه المصادر من خلال اشارات مينورسكي إليها في كتابيه:

أ ـ دراسات حول تأريخ قفقاسيا:

Studies in Caucasian History, (London, 1953), I-New Light on the Shaddadids of Ganja. II-the Shaddadids of Ani.

ب ـ فصول من تأريخ الباب وشروان:

A History of Sharvan and Darband in the 10th-11th Centuries. (Cambridge, 1958).

ومع ذلك فاننا حاولنا التعرف مباشرة على المصادر الأصلية ولم نجد غير شذرات تتحدث باختصار عن مؤلفيها. فالمدونات الجيورجية التي تتطرق الى حوادث القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين كان قد حققها (بروسيه Brosset وأضاف عليها مينورسكي توضيحات قيمة فتعدلت بدرجة كبيرة. انظر:

M.F. Brosset., **Histoire de la Georgie,** (1849) I/1,344 (Chart As Ander «2»), and M.F. Brosset., **Collection d'Historiens Arméniens.,** Traduite par M.F. Brosset. T. I-II. SPB., (1874 - 1876).

٢٣ ـ أما المؤرخ الأرمني من القرن الثالث عشر الميلادي المدعو فاردان (ورتان أو وارطان) المتوفى في ١٢٧١م، فقد ألف كتاباً تأريخياً بدأت أحداثه منذ القدم لحد عام ١٢٦٧م وترجم الى عدة لغات منها الروسية من قبل ن. أمين عام ١٨٦١م والفرنسية من قبل إليشه فارتبيد:

Elise Vartabed, **Histoire de Vartan et de la Guerre des Arméniens.** Traduction Nouvelle par V. Langlois. **Collections des Historiens Anciens et Moderenes de l'Armenie** par V. Langlois», T. II. (Paris, 1869), pp. 177-251.

كان فاردان (ورتان) عالماً وراهباً متعصباً أرمنياً اختص في القضايا الالهية.

ولد في (باردزريبردي) بقيليقيا، وقد قضى جل أوقاته بالتدريس في مدن مختلفة لأرمينيا، وكان مؤرخاً ذا نهج كنسي اقطاعي، وخلف أعمالاً مختلفة منها: شروحات والأناشيد الدينية وترجمات وغيرها. ولعل من أشهر كتبه **التأريخ العام** يتحدث فيه عن بدأ التاريخ لحد عام ١٢٦٧م وفيه أخبار عن بلاد قفقاسيا وغارات المغول عليها، بالاضافة الى ورود أسماء مؤرخين أرمن في الكتاب سبقوا ڤاردان نفسه في تأليف كتب التأريخ إلا أن مؤلفاتهم لم تصلنا. ومن الذي حقق هذا الكتاب كل من:

E. Dulaurier., **Les Mogols,** D'Apres les Historiens Armenians. **Fragment Traduits sur les Textes Originaux, «Extrait de l'Histoire univeselle de Vartan», «Journal Asiatique»,** (1860), 5 Série, T. 16;

M. Brosset., **Analyse Critique de l' «Histoire Universelle» de Vardan,** «Memoires de l'AC. Imper. de Sciences de ST. PB. (1862) 7 Série, T. 4, No 9.

يتطرق ڤاردان في **التأريخ العام** الى الصراع المسيحي - الاسلامي في القرون الأولى للاسلام وانحيازه الى جانب المسيحية ظاهر في كتابه، وقد اعتمد عليه بعد انتقاد وتصحيح تلك الملاحظات كل من المؤرخين أحمد كسروي تبريزي ومينورسكي. وتظهر هذه الملاحظات خاصة في الفصل الخامس من هذا الكتاب.

٢٤ - أما تأريخ (اسطيفان آسوليك Stephanos Asulik) فتنتهي حوادثه في سنة ٣٩٤ هـ وهو أيضاً يتطرق الى نفس الحوادث التي جرت بين النصارى والمسلمين. انظر اليه في:

Asolik de Taron, **Etienne, Histoire Universelle,** P.1-2, P.1. Traduite de l'Arménien et Annotée par E. Dulaurier, 1883, p. 2. Trad de l'Arm. et Annotée par F. Macler 1917.

وقد ترجم برودهوم من أعمال أرستاكيس حول هذا الموضوع ونشرت بعنوان: **aristakes of Lastiverd,** Trans, By Prud'Homme.

٢٥ - لا يعرف عن ماثيوس الأورفلي (ماثيو الأديسي) كثير، لكن مدوناته تتعلق بتأريخ أرمينيا فيما بين ٩٥٠م - ١١٣٠م، وتمدنا بمعلومات مفيدة عن الحروب التي سماها بـ(الحروب الصليبية الأولى). ويحتمل أن هذه المدونات كتبت قبل عام ١١٤٠م لكنها تعادي موقف المسلمين من تلك الأحداث وهي في الوقت نفسه غير

مضبوطة ولا دقيقة ولا تعالج أحوال ومواقف البيزنطيين إلا أنها تحتوي على بعض الملاحظات التي تشير الى وقائع حقيقية عن الحملات المسيحية على مناطق شرق آسيا الصغرى ومنها مدينته (أورفه أو الرها أو أديسا)، وقد طبع النص الكامل لهذه المدونات بالأرمنية عام ١٨٦٨م وترجمها الى الفرنسية جان بول دولاوري:

Jean Paul Dulaurier, **Récit de la Premiere Croisade** (1850; Narrative Of the first Crusade).

٢٦ - ومن جهة أخرى فقد استقى ميخائيل جامجيان - وهو مؤرخ أرمني من القرن الثامن عشر - معلوماته عن تأريخ أرمينيا من ماثيوس الأورفلي بدون أن يصحح أخطاءه وبذا أورد نصوصاً كاملة عن سابقه وصححها كل من كسروي تبريزي ومينورسكي.

٢٧ - أما كتاب **أغوان** لمؤلفه موسى كاكا نكاتفاتسي فهو من المصادر المهمة لدراسة تأريخ قفقاسيا برمته وأورد معلومات عن (سهل بن سنباط) وعلاقته ببابك الخرمي. وتوجد ترجمتان لهذا الكتاب الأرمني، إحداهما ترجمة ك. باتكانوف الى الروسية وكان قد اعتمد فيها على نسخة شاخاتوني الخطية. والأخرى هي ترجمة داوست الى الانكليزية. انظر:

G.J.F. Dowsett., **The History of the Caucasian Albanians,** by Movses Dasxuranci, (London, 1961).

٢٨ - ولا يخفى أن المؤرخ الأرمني الآخر المشهور بموسى الخوريني (موسيس خوريناتسي) الذي عاش فيما بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين أشار في حينه الى بعض الأحداث القديمة التي جرت في بلاده، وأفادت هذه الأخبار دراستنا، ومنها حديثه عن تواجد المار - وهي الصيغة الأرمنية لاسم الماديين - حوالى نهر أراكس منذ زمن الملك الأرمني (تيكران الكبير) في القرن الأول قبل الميلاد.

يعتبر موسى الخوريني أول من دون تأريخ الأرمن منذ أقدم العصور لحد عام ٤٢٨م. مستخدماً المصادر الاغريقية والشرقية المستقاة من القصص والأساطير القديمة. ونرى أنه في الوقت الذي حاول في تأريخه المشهور **الكتاب الأول**، (الفصل ٣٠) أن يربط بين مختلف الأساطير الأرمنية والايرانية، يجعل من الملك تيكران الكبير الأرمني، وبدافع التعصب، حليفاً لكورش في انتصاره على ملك الماديين

(أزدهاك) في القرن السادس قبل الميلاد، في حين هناك فرق زمني بينهما يقدر بخمسة قرون، وهذا مَثَلٌ من جملة أخطائه في تدوين الأحداث.

يقع كتاب موسى الخوريني في ثلاثة أجزاء، طبع لأول مرة عام ١٦٩٥م وقد اطلعنا على هذه الطبعة في مكتبة ليدن الحكومية بهولندا عام ١٩٧٧م بمساعدة أحد الزملاء الأرمن العاملين في تلك المكتبة، واستفدنا من بعض فصوله. ومن الجدير بالذكر أن هذا المؤلف التأريخي القديم قد ترجم الى عدة لغات أوروبية ومنها الروسية من قبل ن.و. أمين تحت عنوان:

Moisey Khorenskiy, Per. **Emina-Istoriya Armenii Moiceya Khorenskogo.** Noviy Perevod N.O. Emina, M. 1893 (Etnogr. Fond N.O. Emina. VIYP. 1. IZD. LAZ. Inst. vost. YAZ.).

وهناك طبعة سوكري في البندقية:

Geographie de Moise de Coréne d'Apres Ptolémée. Texte Arménien, Traduit en Francais par Arsene Soukry, (Venise, 1881).

٢٩ ـ ومن جهة أخرى هناك مؤرخ أرمني آخر اشتهر باسم (ليو) كتب مجلدات ضخمة عن تأريخ أرمينيا تناول فيها لا تأريخ هذا البلد فحسب، وانما كل ما يتعلق بأحداث وصلات هذا البلد بالبلدان المجاورة له والبعيدة عنه. ويسرد ليو في مجلداته روايات مؤرخي القرون الوسطى على علاتها دونما تمحيص أو تعليق، وفي عاصمة أرمينيا يريفان ترجم هذا الكتاب الى الروسية عام ١٩٤٧م.

٣٠ ـ وأخيراً لا نود الاشارة مفصلاً الى المراجع المتعددة التي اعتمدنا عليها بلغات متعددة دوناها ضمن الملاحظات في نهاية دراستنا هذه، لكننا لابد أن نثمن جهود كل من الأستاذين المرحومين أحمد كسروي تبريزي وفلاديمير مينورسكي اللذين بذلا جهداً مشكوراً في توضيح كل ما يتعلق بدور الكرد الروادية والشدادية في تأريخ ما وراء القفقاس بجانب المعلومات التي استقيناها من دياكونوف في كتابه عن الميديين وفلجيفسكي في كتابه عن الكرد وخاصة المواضع التي تتعلق بالسكيث.

لقد ألف الأستاذ أحمد كسروي تبريزي (عضو الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية وعضو الجمعية الآسيوية الأميركية) باللغة

الفارسية ومنذ عام ١٩٢٨م كتاب **شهرياران كمنام (الحكام المنسيون)** المكون من ثلاثة أجزاء، خصص الجزء الثالث منه للتحدث عن شدادي كنجه الكرد مع وصف المناطق التي حكموها في كل من أرمينيا وجيورجيا وأرّان، وقد استند في آرائه، بالاضافة الى الكتاب الأرمن، على بعض المصادر الاسلامية وبالأخص كتاب منجم باشي، واعتمد لأول مرة هذا المؤرخ الجليل على قصائد الشاعر (قطران) التي امتدح فيها الحكام الكرد في تلك البلاد.

أما الجزء الثاني من هذا الكتاب فيحتوي تأريخ الامارتين الكرديتين في أذربيجان (الروادية والأحمديلية) في حين خصص الباب الأول منه للتحدث عن الديلم (جستانيان، كنكريان، سالاريان) بشكل دقيق وسلط ضوءاً على دور هؤلاء في طبرستان والمناطق التي تقع جنوبي بحر قزوين. وتعتبر الأجزاء الثلاثة لهذا الكتاب من المراجع المهمة لتأريخ بلاد ما وراء القفقاس. وقطران هو كنية الشاعر الحكيم شرف الزمان أبي منصور قطران التبريزي الأزدي عاش فيما بين ٤٢٥هـ - ٤٦٥هـ/١٠٣٤م - ١٠٧٢م وألف قصائد كثيرة في مدح حكام بني الرواد الكرد في أذربيجان وكذلك حكام بني الشداد في أرّان. ويمكن استنتاج حقائق تأريخية جيدة من أبيات هذا الشاعر، وقد ناقش مينورسكي تلك الحقائق في كتابه: **(دراسات حول تأريخ قفقاسيا** **Studies on Caucasian History.** (London, 1953).
لقد جُمعت مقالات ودراسات أحمد كسروي تبريزي في مؤلف مستقل من قبل يحيى ذكاء وعددها ٧٨ رسالة ومقال وطبع بعنوان **كاروند كسروي** في طهران ٢٥٣٦ المصادف ١٣٥٢ شمسي.

ولا أرى حاجة هنا أن أجلب انتباه القارىء الكريم الى مجموعة الأعمال الاستشراقية التي قام به مينورسكي فلاديمير ثيودوروفيج) وخاصة ما يتعلق بالشعوب القفقاسية وما وراء القفقاس من الكرد وغيرهم. فبعدما أنهى دراسته في كلية الحقوق في جامعة موسكو عام ١٩٠٠م ومعهد لازاريف للغات الشرقية عام ١٩٠٣م التحق مينورسكي بالسلك الدبلوماسي في وزارة الخارجية الروسية في كل من ايران وتركيا مما مكنّه من تعلم بعض اللغات فيها، ثم استطاع أن يراقب الحياة الكردية فيها بدقة، ونشر جانباً منها بالروسية في مؤلفة **الكرد، ملاحظات وانطباعات**، (بتروكراد، ١٩١٥م)، لكنه بعد ثورة أكتوبر ارتحل الى فرنسا عام ١٩١٩م وفي ١٩٣٠م استقر كلياً في

انكلترا حيث أصبح عضواً في أكاديمية العلوم البريطانية، وعضواً في أكاديمية العلوم الفرنسية ومشاركاً في عضوية جمعيات عديدة.
وخلّف هذا العالم الجليل وراءه مجموعة من دراسات نادرة لا تزال تفتقر إليها المكتبتان العربية والكردية ومنها كتاباه:

1 - V. Minorsky., **Studies on Caucasin History.** (London, 1953).

2 - V. Minorsky., **A History of Sharvan and Darband in the 10th-11th Centuries** (Cambridge, 1958).

وقد أفادنا هذان الكتابان بشكل جدي واستقينا منهما حقائق عن دور الكرد وغيرهم من الأقوام في البلاد القفقاسية.

هذا بالاضافة الى ما نشره المؤرخ الكردي الجليل المرحوم حسين حزني المكرياني من دراسات حول تأريخ أذربيجان وقفقاسيا مستنداً على آراء المؤرخين السابقين له حيث ملئت بعض الثغرات في كتابنا.

وفي نهاية هذه المقدمة لا يسعني إلا أن أدعو الباري عز وجل لتسهيل أمري وأن يوفقني لخدمة الأهداف السامية للانسان في مجال المعرفة والعلم(*).

الدكتور
جمال رشيد أحمد
كركوك ١٣ تموز ١٩٨٣

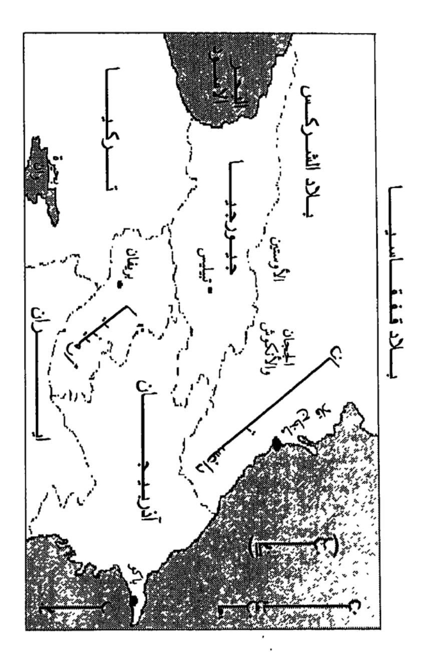
(*) أعيدت كتابة هذه المقدمة مرة أخرى في بلدة شقلاوة في العراق يوم ٢٥ تموز من عام ١٩٩١ ثم أعيد النظر بالأسماء السائدة أيام الحكم السوفييتي في القفقاس ضمن محتوى الكتاب وتم بعون الله في هولندا يوم الأول من شهر كانون الأول من العام نفسه.

الفصل الأول

لمحة
عن بلاد الرّان والباب وشروان

١ ـ ققفاسيا

في ققفاسيا (القوقاز Caucasia)، المنطقة التي تقع في غرب قارة أسيا، تعتبر السلاسل الجبلية التي تمتد فيها من البحر الأسود في الغرب والمتجهة نحو بحر قزوين (الخزر) في الشرق والجنوب الشرقي، من العوارض الطبيعية التي حددت التوزيع الجغرافي والأثنولوجي لكثير من الأمم التي حاولت تغيير مواطنها عبر العصور. تلك الظاهرة التي نتجت عن ضغوط أتتها من جموع الوحدات الرعوية الرحالة لشعوب آسيا الوسطى وشرق بحر قزوين، وكانت بلاد الباب وشروان في ققفاسيا المنفذ الوحيد ضمن تلك العوارض الطبيعية التي من الصعب عبورها. لذلك توجهت أغلب الجموع الشمالية أخيراً، وبمراحل تأريخية متعددة، نحو السهوب الشاسعة التي تقع الى جهة الجنوب من روسيا الحالية، ثم توزعت في وديان أنهار (الدون Don والدينبر Dineper والدنيستر Dinester، وحتى نهر الدانوب Dunab) في أواسط قارة أوروبا. ويظهر أن بعض الأمم حاولت في بعض الأوقات اختراق بلاد الباب وشروان ومضائق السلاسل الجبلية للقوقاز، تلك السلاسل التي تتخللها وديان سحيقة وقمم عالية وأنهار ذات فروع متشعبة كنهري الكرّ Kurr وآراس (آراكس Araxes) اللذين يلتقيان معاً في المنحدرات الواقعة غربي بحر قزوين في منطقة سهلية، وكان اللان وأسلافهم من السكيث هم أشهر قوم حاولوا



بلاد قفقاسيا

المرور من هذه المناطق عبر التأريخ، كما ارتبط أبناؤهم بعدة روابط مادية وروحية مع شعوب المنطقة بأسرها خلال مراحل تطورهم المعقد. ولأجل معرفة الأوضاع الجغرافية والبشرية في تلك المنطقة أثناء ذلك التطور، يجب أن نتعرف على البلاد المحصورة بين بحري الأسود وقزوين التي اشتهرت بقفقاسيا وظروفها الخاصة.

تقدر هذه البلاد على العموم الآن بحوالى ١٧٠,٠٠٠ ميل مربع، أي ما يساوي ٤٤٠,٠٠٠ كم٢ ويغلب عليها الطابع الجبلي، وإن أعلى قمة فيها هي قمة (بروز) التي تصل الى ١٨,٥١٠ من الأقدام أي ما يساوي ٥,٦٤٢ متراً[١]. وتتصل هذه الجبال ببعضها كسلسلة تنحدر من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي، مكونة حاجزاً طبيعياً منع إتصال الأقوام التي عاشت في شمالها مع الذين سكنوا فيما وراءها[٢]. وفي الوقت نفسه كان هذا الواقع الطوبوغرافي سبباً من الأسباب التي ميزت هذه البلاد بتعدد اللغات فيها منذ أزمنة قديمة. وقد أشار المسعودي الى ذلك في حينه قائلاً: «في هذا الجبل اثنتان وسبعون أمة، كل أمة لها ملك ولسان بخلاف لغة غيرها»[٣]. والآن فإن واقع سكان هذه البلاد لا يزال يتميز بالحالة نفسها. ومهما يكن فان أشهر الدول في قفقاسيا الآن هي جيورجيا - بلاد الكرج (الجرز) - وأرمينيا (هايستان) وأذربيجان (آتورياپكان). فجيورجيا تقع في

(١) Encyclopedia Britanica, BD.III Caucasian Languages.

(٢) يستعمل سكان شمال قفقاسيا، ومنهم الروس، تسمية (قفقاسيا الأمامية) للدلالة على المناطق التي تواجههم من جهة الشمال لجبال قفقاسيا الواقعة بين بحري الأسود وقزوين. أما البلاد التي تقع جنوب سلسلة هذه الجبال فإنها، بالنسبة لهؤلاء، بلاد ما وراء القفقاس التي اشتهرت في أوروبا تحت مصطلح عام بصيغة Transcaucasus. لكن بالنسبة لشعوب جنوب قفقاسيا من الكرد والترك والأرمن فإن استعمال المصطلحات المعاكسة لهذا المفهوم هو الأصح.

(٣) المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تدقيق ووضع وضبط الأستاذ يوسف اسعد داغر، الجزء الأول (بيروت، ١٩٦٥)، ص ١٩٨. وقد ذكر الجغرافي اليوناني سترابو قبل المسعودي بألف عام تقريباً ان في قفقاسيا يعيش سبعون أمة ويتكلمون بلغات متباينة أنظر: Strabo , Geography. X,2,16.

المقاطعات الشرقية للبحر الأسود، أي مباشرة جنوبي السلاسل العظيمة التي تتشكل منها الجبال القفقاسية، وتحاذي المناطق الامامية لقارة أوروبا في الشرق، وكانت تعتبر احدى الجمهوريات السوفياتية التي تشتهر بسهولها المسماة بـ (كولخيدا) وهي (كولخيس) القديمة. ان مساحة هذه الجمهورية الآن (٢٦٩٠٠ ميل مربع) أي ما يعادل (٦٩٧٠٠ كم٢) وإن ٨٥٪ من أراضيها هي جبلية، ونفوسها حسب تعداد عام ١٩٧٠م تقارب من ٤,٧٠٠,٠٠٠ نسمة.

عاصمة هذه الجمهورية هي (تفليسي) وتشمل منطقتين ذواتا حكم ذاتي، وهما الجمهورية الأبخازية وعاصمتها (سوخومي) والأخرى مقاطعات (أوسيتين) التي يسكنها أخلاف اللان القدماء.

أما جمهورية أرمينيا (أرمينية)، فتحتل منطقة جنوب السلاسل العظيمة لقفقاسيا مباشرة، وهي جبلية على العموم وترتفع ٥,٩٠٠ قدم عن سطح البحر وعدد سكانها الآن ٢,٥٠٠,٠٠٠ نسمة ومساحتها ١١,٥٠٠ ميل مربع (٢٩,٨٠٠ كم٢) وتحدها من الشمال والشرق كل من جيورجيا وأذربيجان، ومن الجنوب والغرب كل من إيران وتركيا، وتبتعد عن البحر الأسود ١٠٠ ميل غرباً وعن بحر قزوين ١٥٠ ميلاً شرقاً، وهي جزء من أرمينيا القديمة التي كانت مركزاً من مراكز الحضارة، وعاصمتها (يريفان) وقد حدث في الآونة الأخيرة صراع حاد بين الأرمن والأذربيجانيين حول منطقة نكورني قره باغ والتي كانت قديماً موطناً للكرد الشداديين وتقع الآن داخل جمهورية أذربيجان.

يتكون القسم الشمالي الغربي لبلاد أرمينيا من مناطق عالية يتقدمها جبل أراكاتس وأعلى قمة فيه تصل الى ما يقرب من ١٣,٤٠٠ قدم (٤١٠٠م) فوق سطح البحر. وفي هذه المناطق وديان سحيقة تتخللها سهول منخفضة، وفي الشمال والشرق تحاذي جبال سومخيت، بازوم، بمبك، أراكوني، سيفان، فاردانيس وزانزكويير جبال قفقاسيا السفلى. وتقع بحيرة سيفان في القسم الشرقي من

جمهورية أرمينيا السوفياتية، كما أن سهل (آرارات) يقع في الجنوب الغربي، أي جنوب جبال (أراكاتس وكيكام) ويقطع نهر أراكس هذا السهل المهم الذي يقع نصفه في كل من تركيا وإيران حالياً. وكان لاسم أرمينيا قديماً مفهوم جغرافي شمل أقواماً عديدة ومنهم الكرد. لكن جمهورية أذربيجان السوفياتية كانت تحتل المناطق الجنوبية من ققفاسيا وكانت تحدها من الجنوب إيران، ومن الشرق بحر قزوين، ومن الغرب أرمينيا وجيورجيا، ومساحتها ٣٣,٤٠٠ ميل مربع (٨٦٦٠٠ كم٢) وعاصمتها (باكو) وهي ميناء اقتصادي هام. وإن ٤٠٪ من مساحة البلاد هي سهلية والبقية تتكون من جبال أشهرها بازارديوزي (٤٤٦٦م) وشخ داغ (٤٢٤٣م) وتوفان (٤٢٠٥م) وهي جزء من جبال القفقاس التي تكوّن الحدود الشمالية للجمهورية، ويحاذي القسم الجنوبي فيها جبال تاليش (طالِش). ويحوي السهل الواقع في الأراضي المنخفضة لنهري الكرّ وأراكس مدن (شروان وميلس قايه وموقان) وغيرها. وما عدا الكرج والأرمن والآذر، يعيش في هذه الجمهوريات كل من الأقوام التالية: الأوسيتيون ٣٧ ألف نسمة، الكرد ٥٠٠ ألف وهم من المسلمين، أما اليزيديون منهم فعددهم ١٥٠ ألف نسمة، وقد جاءت الأنباء عام ١٩٩١ بعد اصلاحات الرئيس غورباتشيف في الاتحاد السوفياتي أن عدد الكرد في هذه البلدان يقارب المليون نسمة ثم الطالش ٨٩ ألفاً ويعيشون على بحر قزوين، والتات ٨٦ ألفاً في داغستان، واليونان ١٥٢ ألفاً في جيورجيا، بجانب بضعة آلاف من الغجر في أرمينيا وأذربيجان.

أما لغات شعوب ققفاسيا عموماً فتنتمي الآن الى عوائل متباينة، منها الهندية الأوروبية كالأرمنية والأوستية (لغة اللان) والطاليشية والتاتية والكردية(٤) وما عدا الأرمنية فإن اللغات الباقية قريبة فيما بينها، لأنها تدخل ضمن عائلة فرعية اشتهرت بـ (الايرانية الشمالية الغربية)

(٤) حول تفصيلات هذه اللغات راجع الفصل الرابع من هذا الكتاب.

وسوف نتطرق الى تفاصيلها في أماكنها الخاصة من هذه الدراسة. وهناك مجموعة أخرى تدخل ضمن أرومة اللغات التركية كالآذرية، الكوميكية، نوغالي، كره جاي والبلكارية ولغات أخرى. ولعل مجموعة اللغات التي تشتهر بالايبيرية ـ القفقاسية هي التي تتميز بها بلاد قفقاسيا ولا تدخل ضمن أية مجموعة لغوية أخرى في العالم، وقد صنفت هذه اللغات في ثلاث عوائل هي القفقاسية الشمالية الغربية (اللغات الأبخازية ـ الأديكية) والشمالية الشرقية (لغات الناخو ـ الداغستانية) والجنوبية (الكرتفالية) وتسمى أيضاً بـ(الايبيرية)(٥).

تشمل عائلة اللغات الكرتفالية كلاً من اللغة الجيورجية المنكريلية (الميكريلية) واللاظ (جان) وسفان. ويطلق الجيورجيون على لغتهم تسمية (كرتولي إنا) وهي لغة الأدب، وتتداول عامة في جيورجيا. وهناك ١٤ قرية قرب أصفهان في إيران يتكلم سكانها بهذه اللغة، بالاضافة الى مناطق أخرى في كل من تركيا وأرمينيا وغيرها من البلدان. ويظهر أن صيغة (الجيورج) قد اشتقت من كلمة (الكرج) التي تتداول في الكردية واللغات الايرانية الأخرى وتعني (قوي البنية أو رشيقاً) وكانت صيغتها القديمة المحورة في العربية (الجرز) وظهرت في الروسية بشكل (كروز Gruz) فيما بعد. أما الاصطلاح الشعبي (إيبيري) ذو الأصل اليوناني، فهو مشتق من التسمية الايرانية القديمة إيبيريا التي سماها العرب بلاد الجرزان (بلاد الجيورجيين) ومن بين جميع لغات هذه المنطقة، كان للجيورجية فقط أدب قديم مدون منذ القرن الخامس الميلادي واشتقت ألفباء الكتابة لذلك الأدب من الألفباء الآرامية التي كانت قد تطورت حسب الحاجات التي تتطلبها وضعية وقواعد لغتهم.

(٥) **دائرة المعارف البريطانية**، الموضوع نفسه. أما عن اللغة الآفارية (لازكية) فراجع البحث الذي قدمه كراهام في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية:

Cyril Graham.,The Avar Language, **J.R.A.S.** Vol. XIII (London, 1881).

أما عن لغة كوباجان انظر باللغة الروسية المصدر التالي:

A.A. Maganitov, **Kubachinsky Yazik**. (Tibilisy, 1963).

أما اللغات المنكريلية ـ مركلوري نينا ـ واللاظية ـ لازوري نينا ـ والسفانية ـ لوشنونين ـ فتستعمل كل هذه اللغات في شمال نهر ريوني وعلى سواحل البحر الأسود ولحد داخل الأراضي التركية وكذلك في جنوب جبل البروز. وبعد أن درس العالم اللغوي الروسي (نيكولاي مار) هذه اللغات في بداية القرن العشرين، غدا من الممكن تقسيمها بشكل عام الى المجموعات التالية:

■ أ ـ المجموعة الشرقية وتنقسم الى ثمانية فروع هي:

١ ـ فرع الجيبجين، وتتصدره لغة جيجين (جحان) ويتكلم بها سكان المنطقة الواقعة بين تيريك وداغستان.

٢ ـ آفار، آندي، اثنتا عشرة لغة يتداولها سكان غرب داغستان وتتصدرها لغة الآفار ويطلق عليهم الروس اسم لازكيان وهم (اللكز) عند البلدانيين والجغرافيين المسلمين.

٣ ـ درغي، وهي لغة سكان شرقي داغستان.

٤ ـ سامور (سمّور) وهي منطقة في جنوب داغستان، فيها لهجات تتصدرها لغة كوري بقرب مدينة دربند (الباب).

٥ ـ لك أو كاسي كوموك، تتداول في أواسط داغستان.

٦ ـ آرتجي، وهي اللغة التي يتكلمها سكان قرية واحدة فقط تقع في أواسط داغستان.

٧ ـ هينالوغ، وهي لغة سكان قرية وحيدة تقع قرب شاه داغ.

٨ ـ أودي، وهي لغة قريتين قرب مدينة نوخا.

■ ب ـ المجموعة الغربية، وتنقسم الى ثلاثة فروع وهي:

١ ـ لغة منطقة أبخاز في سوخوم قه لا.

٢ ـ لغة أوبيخ في منطقة سوتحي، وتتحدث بها الآن كذلك مجموعة من العوائل في تركيا.

٣ ـ أديك بلهجتيها (كاباردي) التي تتداول في منطقة (كابارده) وخاصة في مدينة (نالتجيك) ولهجة (كياخ) أو الجركسية في منطقة كوبان والمناطق القفقاسية التي تقع على سواحل البحر الأسود الشرقية.

■ ج ـ المجموعة الجنوبية وتنقسم الى الفروع التالية:

١ ـ الجيورجية بلهجاتها المتعددة.

٢ ـ مينكيرلي واللاظ.

٣ ـ سيفانيت، الشرقية والغربية.

وعلى العموم فقد ذكرت تسمية قفقاسيا في التأريخ لأول مرة بصيغة Kaukasos في المدونات اليونانية واللاتينية، وهي الصيغة المتداولة لحد الآن في جميع الخرائط العالمية واللغات الأوروبية. ويعتقد أن أصلها يرجع الى (كزكز) الاسم الذي أطلقه الحثيون على أحد الأقوام الساكنة قرب سواحل البحر الأسود الشرقية، وتطورت منه هذه التسمية فيما بعد(٦).

أما البلدانيون المسلمون فقد قصدوا بالقبق (القبخ) بلاد القوقاز أو قفقاسيا هذه، وكان بمرور الزمن، يتوسع مفهوم هذا الاصطلاح على قدر كثرة المعلومات المتأتية عن الاحتلال العربي فيها وتوسع المعلومات الجغرافية عند السائحين اليها.

(٦) **دائرة المعارف البريطانية**، مادة Caucasia لقد اشتهر الأديك أو الجركس (وهم الأديك في المناطق السفلى المشهورون بالشراكسة وكذلك الكاباردين الذين تقدر نفوسهم الآن في الاتحاد السوفياتي بأكثر من ٣٠٠ ألف نسمة، في المؤلفات الروسية باسم كاسوك أو كاساك. وعلى رأي المستشرقين فإن هذا الاسم يرادف اسم (كاشكا) الذي ورد في مدوّنات تيكلات بلاصر الأول الآشوري (١١١٥ - ١٠١٧ق.م). وانظر كذلك كتاب، **حدود العالم**، تحقيق وتوضيح وترجمة ميسينورسكي:

Hudud Al-Alam, Translated and Explained by V. Minorsky (London, 1937), p. 446.

وهكذا يذكر المسعودي (٣٣٢هـ/٩٤٢م) ان:

«جبل القبخ جبل عظيم، وصقعه جليل، وقد اشتمل على كثير من الممالك والأمم...».

على حد قوله. ويضيف ان:

«هذا الجبل ذو شعاب وأودية، ومدينة الباب والأبواب على شعب من شعاب بناها كسرى أنوشروان وجعلها بينه وبين الخزر، وجعل هذا السور من جوف البحر على مقدار ميل منه ماداً الى البحر...».

ثم يقول انه:

«جعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور أو أقل أو أكثر على حسب الطريق الذي جعل الباب من أجله باباً من حديد وأسكن على كل باب من داخله أمة تراعي ذلك الباب وما يليه من السور، كل ذلك ليدفع أذى الأمم المتصلة بذلك الجبل من الخزر واللان وأنواع الترك والسرير وغيرهم من أنواع الكفار...»(٧).

وقد اشتهر من بين هذه الأبواب التي ورد اسمها عند أغلب البلدانيين المسلمين (باب اللان) وهو تعريب لاسم (دزيال) المشتق من (درى آلان) الذي ظهر ودون منذ بداية العصر الساساني. لذا أشار المسعودي الى ذلك بقوله:

«ان بين مملكة اللان وجبال القبخ قلعة وقنطرة على واد عظيم يقال لهذه القلعة باب اللان...».

---

(٧) المسعودي، المصدر نفسه. أما ابن الاثير فقد أشار إلى الموضوع نفسه قائلاً: «إن قباذ بنى سوراً في أرمينيا وأذربيجان فلما توفي وملك ابنه أنوشروان... بنى مدينة الشابوران ومدينة مسقط، ومدينة الباب والأبواب، وانما سميت أبواباً لأنها بنيت على طريق في الجبل... وبنى باب اللان». وأضاف: «ان قباذ بنى بأرّان مدينة البيلقان ومدينة البرذعه وهي مدينة الثغر كله وغيرها. وبقى الخزر، ثم بنى سد اللان فيما بين أرض شروان وباب اللان، وبنى على السد مدناً كثيرة خربت بعد بناء باب الأبواب». انظر: ابن الأثير، **الكامل في التأريخ**، الجزء الأول (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧). ص ٢٤٢، ٢٥٩، وفي صفحة ١٦٠ من المصدر المذكور حدد ابن الاثير بلاد اللان بين أرمينيا وبلاد الخزر.

وعند الحديث عن مدن ونواحي قفقاسيا (بلاد القبق) فقد جمع البلدانيون المسلمون أخبار أرمينيا والران وأذربيجان معاً في موضوع واحد. لذلك فقد حدد الاصطخري (٣١٨ - ٣٢١هـ/٩٣٠ - ٩٣٣م) أقاليم ومدن هذه البلاد بشكل واضح قائلاً:

«أما أرمينية والران وآذربيجان فان جمعناها في صورة واحدة وجعلناها إقليماً واحداً والذي يحيط بها مما يلي المشرق الجبال والديلم وغربي بحر الخزر والذي يحيط بها مما يلي المغرب حدود الأرمن واللان وشيء من حد الجزيرة والذي يحيط بها مما يلي الشمال اللان وجبال القبق والذي يحيط بها مما يلي الجنوب حدود العراق وشيء من حدود الجزيرة...».

ثم يضيف مشيراً الى:

«ان المدن أردبيل، مراغه، أرميه، الميانح، الخونج، أجَن، ذاحراقان، خوى، سلماس، مرند، تبريز، بَرْزَنْد، ورثان، موقان، جابَرْوان، وأشنه فانها مدن صغار متقاربة في الكبر. أما جابروان، تبريز وأشنه الآذرية فإن هذه الثلاث مدن وما تحتف به تعرف بالرُّوديني، أما برذعه فإنها مدينة كبيرة جداً تكون أكبر من فرسخ... وعلى باب برذعه - ويسمى باب الأكراد - سوق يسمى الكركي..»[٨].

وفي الحقيقة كان هذا السوق يقام كل يوم أحد من الأسبوع. وقد

---

(٨) الاصطخري، **المسالك والممالك**، تحقيق محمد جابر عبدالعال الحسيني، مراجعة محمد شفيق غربال (القاهرة، ١٩٦١)، ص ١٠٨، ١٠٩.

لقد أعاد ابن حوقل الكلام نفسه عند تحدثه عن بلاد أرمينيا وآذربيجان والران. وحول هذا السوق يقول ان: «الناس يجتمع فيه كل يوم أحد وينتابونه من كل مكان وأوب، ويجتمع فيه أهل القرى حتى يكاد يدانى سوق كورسره وقد غلب اسم السوق على اسم اليوم لدوامه وقولهم يوم الكركى حتى ان كثيراً منهم إذا عد أيام الجمعة قال الجمعة والسبت والكركى والاثنين، يريد بالكركى الأحد». انظر: ابن حوقل، **كتاب صورة الأرض** (بيروت)، ص ٢٨٥.

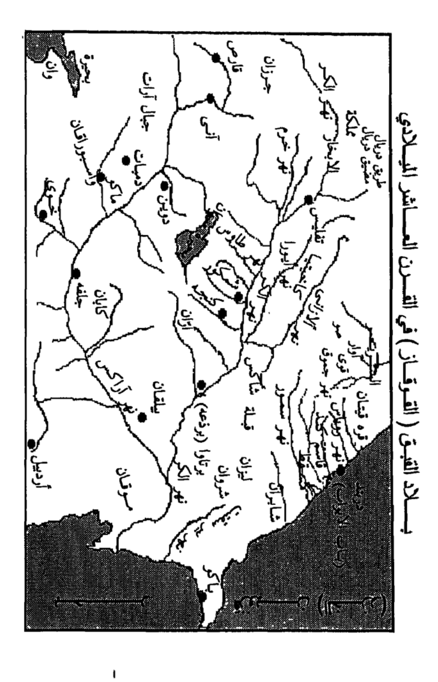
لقد اشتق الاسم في الواقع من الصيغة اليونانية قورياقوس Kuriakos (يوم الرب) أنظر: G. le Strange, **The Land of the Eastern Caliphate** (Cambridge, 1905), p. 117.

اشتق هذا الاسم محلياً من الكلمة اليونانية (كورياكوس) أو (كورياكي) بمعنى (إلهي أو ربّاني) بناء على الاعتقاد السائد في الكنائس الشرقية الذي يشير الى أن السيد المسيح صعد الى السماء يوم الأحد. وقد تواجدت هذه الكلمة في اللغة الارمنية بالمعنى نفسه بصيغة (كيراكي) أو (كيوراكي) التي تعني يوم الأحد ولكنها ظلت في الكردية كاسم علم (قرياقوس)، علماً أن الصيغة القديمة لاسم السوق لا تزال تستعمل في أذربيجان وخاصة حوالى مدينة تبريز ويقال له الآن (قارقا بازار) أي سوق قارقا.

ومن جهة أخرى فان سكان إقليم آران الذين كانوا يتداولون لهجة من اللهجات الايرانية لكنهم نصارى، فقد ظل أحفادهم الآن في (لاهيجان) يعدّون أيام الأسبوع كالآتي: شمبي، كراكي، دوشمبي، سه شمبي، جارشمبي، بنج شمبي، آرنه (آدينه).

وفي الواقع كانت المجتمعات الايرانية القديمة تحدد يوماً خاصاً من أيام الأسبوع للتسوق فيذكرنا ياقوت الحموي بسوق الأربعاء في خوزستان على غرار سوق الثلاثاء الذي كان يقام بقرب مدينة بغداد الحالية، كما يذكرنا الاصطخري بسوق الكركي الذي كان يقام بباب برذعه (دير كردان = باب الأكراد) وهذا ما ساد في البلاد القفقاسية أيضاً.

أشار ابن خرداذبه ٢٣٢هـ/٨٤٦م الى أحوال هذه البلاد التي اشتهرت بالقبق قبل أي مؤرخ أو بلداني إسلامي آخر، مستنداً على بعض المصادر الساسانية التي ظلت محفوظة الى زمانه، مشيراً الى أن الباب يؤدي الى شعاب جبال القبق، مثلما وضح ابن الفقيه سبب تسمية الموقع بالباب، لأنه بني في الممرات الجبلية من الدربند نحو باب اللان، لكون اللان من أشهر الأمم التي حاولت اختراق هذا الممر الحيوي الضيق الواقع بين بحر الخزر وجبال القبق. وفي كتاب «صورة الأرض» لابن حوقل، تظهر سلسلة جبال تبتدىء من عند الباب آخذة الى اليسار وكتب موازياً لطرفها الأعلى نواحي اللان وجبل القبق والسرير وما جاور ذلك من الأمم. ويتصل بالجانب الأسفل من المدن:


بلاد القبق (القوقاز) في القرن العاشر الميلادي

اللايجان، قبيصي، شكى، قبله. ورُسم من أسفل ذلك نهر الكُر الذي ينصب في البحر وتقع على هذا النهر متصلة بالجبل مدينة تفليس ثم برداج، ويأخذ طريق من الشابران على مدينتي شروان والشماخية الى برداج ثم الى برذعه. ويأخذ من برذعة طريقاً آخر الى تفليس عليه جنزه، شمكور، خنان، القلعة، وكتب في هذه الساحة الران. وحد ناحية الران من أسفلها نهر الرس وعليه مدينة ورثان وتقع عن يمين ورثان قرب النهر برزند والطريق الآخذ من برذعه الى برزند يمر بعدها على أردبيل والميانج والخونج الى زبخان. وكتب في الساحة تحت نهر الرس أذربيجان وفي قسم من البر داخل في البحر عند منتهى هذه الكتابة موقان. وبعدما يوضح مواقع مدن أرمينيا وأذربيجان وأحوالها يعود ابن حوقل فيقول:

«ومدينة بَرْذَعه فهي أم الران وعين تلك الديار لم تزل على قديم الزمان كبيرة...».

ويضيف قائلاً:

«وليس بالران مدينة أكبر من برذعه والباب وتفليس، فأما البيلقان وورثان وبرديج والشماخية وشروان واللايجان وشابران وقبله وشكى وجنزة وشمكور وخنان فهي ممالك صغار ومدن لطاف متقاربة في الكبر خصبة واسعة المرافق...».

ثم يصف تفليس (عاصمة جيورجيا السوفياتية):

«بأنها مدينة دون باب الأبواب في الكبر وعليها سوران من طين، ولها ثلاثة أبواب... وهي ثغر جليل كثير الأعداء من كل جهة، وبها حمامات كحمامات طبرية ماؤها من غير نار وهي على نهر الكُر... والآن فهي بيد الكرج أخذوها في العشر الأخير من سني خمسمائة. أما شمكور بفتح أوله، وسكون ثانيه، والكاف والواو الساكنة، وراء، قلعة بنواحي أران، بينها وبين كنجه يوم وأحد عشر فرسخاً، وكانت شمكور مدينة قديمة فوجه اليها سليمان بن ربيعة الباهلي بعد فتح برذعه في أيام عثمان بن عفان، رضي الله عنه، من فتحها فلم تزل مسكونة معمورة حتى خربها السناوردية، وهم قوم (في الواقع هم كرد - ج.ر) تجمعوا أيام انصرف يزيد بن أسيد

عن أرمينية فغلظ أمرهم وكثرت بوائقهم، ثم أن بُغا مولى المعتصم عمرها في سنة ٢٤٠، وهو والي أرمينية وأذربيجان وشمشاط، وسماها المتوكلية...»[٩].

واليوم إذا ألقينا نظرة على جبال قفقاسيا الرئيسية الممتدة نحو الجنوب الشرقي، نرى أنها تتفرع الى سلسلتين، تتجه الشعبة الأولى منهما نحو مدينة (باكو) الحالية عاصمة أذربيجان السوفياتية، والثانية تتجه نحو الشمال الشرقي قليلاً وتمتد لحد مصب نهر (كوى صو)[١٠]. وبين فروع هذا النهر جنوباً والسلاسل الجبلية المذكورة التي تفصل الحوض الجنوبي لأنهار(سامور وقاسم كنده ورورباس) من نهر (كوى صو) ظهرت مدينة دربند (الباب) في نهاية بلاد داغستان. وداغستان (وتعني بالتركية بلاد الجبال) هي اقليم على الشاطىء الغربي لبحر الخزر، مساحتها ١٣٢٢٨ ميلاً مربعاً. وتحد شمالاً ب(شلق) وجنوباً ب(سامور) وغرباً بمقسم المياه بين هذين النهرين ونهر (ألزن) وهو من روافد نهر الكر، وينقسم الاقليم الى تسع نواحي. ويظهر ان الاسم ورد لأول مرة في القرن العاشر الهجري أي السادس عشر الميلادي.

يعطينا جغرافيو القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) صورة أوفى عن الأحوال الجنسية والجغرافية في داغستان، فكان العرب يسيطرون الى جانب دربند على القلاع المجاورة... وكان يحكم طبرسران في

---

(٩) ابن حوقل، المصدر نفسه، الصفحات ٢٨٥، ٢٩٠، ٢٩٤.

ويقول ابن خرداذبه: «أما الأبواب فهي شعاب في جبل القبق فيها حصون منها باب صول وباب اللان وباب الشابران وباب لاذقة وباب بارقة وباب سمسخي وباب صاحب السرير وباب فيلان شاه وباب كارونان وباب طبرسرانشاه وباب ليرانشاه وباب لبانشاه وباب أنوشروان ومدينة سَمَنْدر خلف الباب وما وراءها في أيدي الخزر».

انظر: ابن خرداذبه، **المسالك والممالك** (ليدن: بريل، ١٨٨٩)، ص ١٢٣.

(١٠) كوى صو (قوى صو Koi-Su) تسمية آذرية (تركية) لنهر مشهور في آذربيجان وتعني (نهر الغنم). وقد دون أبو الفداء هذا الاسم في حينه بصيغة (نهر الغنم). انظر: أبو الفداء، **تقويم البلدان** (باريس، ١٨٤٢) ص ٢٠٤.

أيام المسعودي حاكم مسلم هو ابن أخت عبدالملك أمير دربند. واعتنق أمير خيدان المجاورة الأديان الثلاثة جميعاً، وكان يحضر الجمعة مع المسلمين والسبت مع اليهود والأحد مع النصارى[١١]. ويروي المسعودي انه كان مسلماً، بل قيل انه اختلق لنفسه نسباً عربياً، وكانت الإمارة تابعة للخزر. كما حكم البلاد التي كانت أبعد من ذلك شمالاً البَرْزَبان (والأصح مرزبان ـ ج.ر) أمير الكرج، وكان أيضاً من المسلمين، وسكن الغُميق شمالي البلاد، وهم نصارى. وأبعد من ذلك أيضاً ناحية الشمال الأراضي الجبلية الوعرة التي يسكنها الزركان (الزرهكران) وكان للأديان الثلاثة أنصار فيها. ثم تأتي أخيراً بلاد الأمير النصراني صاحب سرير وكان لقبه فيلانشاه (فيلان شاه)، ويلقب ابن رسته الحاكم بلقب (أوار)، وعلى حد قول الاصطخري يحد أرض سرير من الغرب بلاد اللان.

يتدرج جميع هذه الأقوام تحت اسم (اللزكيين). ويظهر أن العرب أطلقوا اسم (لكز) على قبيلة بذاتها لا يمكن أن تعين منازلها الآن بالضبط على حد قول بارثولد[١٢]. لكن مينورسكي يشير الى أن:

«في غربي مسقط، وفي المجرى العلوي لنهر سامور تقع بلاد جبلية عالية تسكنها قبائل التي سمتها المصادر الاسلامية بال(لكز). وان هذا الاسم مركب من كلمة (لك/لك) بمعنى الانسان أو الرجل في اللغة المحلية تلحقها اللاحقة (ز) التي تشير الى مفهوم الانتماء القبلي أو الانحدار العائلي. وقد حُرف الاسم بالروسية فأصبح بصيغة (ليزكين) ويطلق على جميع سكان داغستان بدون تمييز. أما باللغة المحلية فتطلق هذه اللفظة على قبائل جنوب داغستان الذين سجلوا في احصاء عام ١٩٥٩م وكانوا ٢٢٣ ألف نسمة»[١٣].

(١١) المسعودي، **مروج الذهب**، الجزء الثاني، الصفحات ٧، ٣٩.

(١٢) انظر: **دائرة المعارف الاسلامية**، مادة داغستان.

(١٣) V. Minorsky, **A History of Sharvan and Darband in the 10th-11th Centuries** (Cambridge, 1958) p. 80 ff.

وراجع النسخة الروسية من هذا الكتاب، (موسكو، ١٩٦٣)، ص ١١٢ وما بعدها.

يتطرق البلاذري الى أخبار هؤلاء قائلاً ان منازل اللكز كانت في السهل بين سمر ومدينة شابران، أي جنوبي داغستان الحالية (البلاذري، طبعة دي غويه، ص ٢٠٨) في حين يصف المسعودي اللكز كأقوام يسكنون أعالي الجبال في هذه البقعة، وبينهم كفار ولا يخضعون لأمير شروان(١٤). ولكن خلال عام ٤٦٨هـ/١٠٧٥م نسمع خبر احتلال الأقسام الشرقية والغربية من مناطق اللكز من قبل شروانشاه (فريبرز). وفي زمن الكاتب والدبلوماسي الكردي (مسعود ابن نامدار) كان هؤلاء في علاقة جيدة مع شروانشاه حيث استغلهم هذا في هداية (الغُميق) الى الاسلام. وهناك مصادر ترجع الى عام ٣٤٢هـ/٩٤٣م تشير الى أن ملك اللكز حكم مدينة الباب لمدة وجيزة وكان القسم الأول من اسمه (قشرشم أحمد بن منبّه)(١٥). ويظهر أن الاسلام كان بطيء التقدم في داغستان في القرون التالية، فقد حطم الروس مملكة الخزر عام ٣٥٤هـ/٩٦٥م بل اكتسحوا الجانب الجنوبي من هذه المملكة بما فيه سمرقند. ويظهر أن اللان النصارى أفادوا من الموقف، فقد كانت بلادهم أيام الفتح المغولي تمتد ناحية الشرق أكثر مما كانت عليه في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) واتصل المغول في غاراتهم الأولى على هذا الاقليم باللكز لأول مرة شمالي دربند (الباب)، وكانوا في ذلك الوقت أيضاً يتألفون من مسلمين وكفار. وبعد أن اجتاحوا شعوباً أخرى أبعد من ذلك ناحية الشمال بلغوا اللان. ويقول وليم الربركي **William of Rubruck** الذي زار هذا الاقليم في نوفمبر عام ١٢٥٤م أن اللان النصارى يسكنون الجبال ويسكن بين الجبال والبحر الأعراب، أي اللكز المسلمون(١٦). بيد أن وليم نفسه يصف حصناً في الاقليم الساحلي على مسيرة يوم واحد من دربند بأنه «من حصون اللان» ولم يكن المغول قد وفقوا بعد الى إخضاع هذه القبائل، وكان لابد من حراسة الممرات الممتدة من

(١٤) مروج الذهب، الجزء الثاني، ص ٥.

(١٥) المصدر نفسه.

(١٦) دائرة المعارف الاسلامية، مادة داغستان.

الجبال الى السهول بفرق خاصة من الجند لحماية الأنعام التي ترعى في الفيافي من غارات الجبليين[١٧].

لقد كانت المناطق التي تصل حتى ممر دربند (الباب)، بل البلاد التي الى الجنوب منه أحياناً، تابعة لمملكة القبيلة الذهبية إبان القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين. وكان اسما أشهر قبيلتين في داغستان وقتذاك هما القيتاق (قيتاغ) والقازي قوموق. وقد لقي الرحالة العثماني أوليا جلبي[١٨] عام ١٦٤٧م هؤلاء القيتاق النازحين بين شكى (وهي نوشه الحالية) وشماخي. والمفردات التي أوردها أوليا جلبي لا تدل على أن القيتاق كانوا يتكلمون اللهجة اللزكية كما يفعلون الآن، وإنما كانوا يتكلمون اللغة المغولية.

لم يحدث قط أن توحدت النجاد والوهاد التي على الساحل في داغستان في ظل شعب واحد، أو تحت إمرة أسرة واحدة حتى الاحتلال الروسي، وذلك أن الوهاد الساحلية يقسمها ممر دربند (دريال) قسمين، وقد حكم القسم الجنوبي دول آسية الغربية المستقرة منها الساسانية والعربية الاسلامية، أما القسم الشمالي فقد حكمته الممالك البدوية في جنوبي روسيا، ولم يكن لسكان هذين القسمين أثر في توزيع سكان النجاد. وكانت القبائل الجبلية تنجح في الحين بعد الحين في الاغارة على أجزاء من الوهاد ولكن ذلك كان يؤدي دائماً الى فصم أواصر الوحدة السياسية بين هؤلاء الغالبين وأبناء جلدتهم الذين ظلوا مقيمين فيما وراء النجاد. وكان القسم الجنوبي من الوهاد الساحلية حتى دربند تابعاً في العصور القديمة لألبانيا، البلاد التي عرفت بـ(الرّان) عند العرب. ويشير مينورسكي الى:

«أن الوادي السحيق لنهري الكُر وأراكس (آراس) الذي يقع

(١٧) Fr. M. Schmidt, **Rubruk's Reis** (Berlin, 1885) p. 84 ff.

(١٨) طبعت رحلة أوليا جلبي بمجلدات ستة من قبل أحمد جودت باستنبول بين أعوام ١٣١٤هـ - ١٣١٨هـ/١٨٩٦م - ١٩٠٠م. والمجلدان السابع والثامن طبعا عام ١٩٢٨ أما التاسع منها فقد انتهى طبعه عام ١٩٣٨م. وحول لقائه بالقيتاق انظر: **أوليا جلبي سياحتنامه سى**، ج ٢، ص ٢٩١.

بين أيبيريا (جيورجيا) وبحر الخزر (قزوين) سميّ بـ(ألباني)، وسماه الأرمن بـ(ألفان - ك) أو (ران) واستعمله السريان بصيغة (أرّان) وهي نفس الصيغة التي اشتهرت في العصور الاسلامية بـ(الرّان أو أرّان)»[١٩].

يقول الأستاذ المرحوم أحمد كسروي تبريزي في هذا الصدد أن الناس في غرب تبريز يطلقون على منطقتهم الآن لفظة (كوني) في حين أن الوثائق المالية القديمة تشير الى أنها كانت تسمى (آرونق) المشتقة من (آرانك) التي تعني (آران الصغيرة) وقديماً كانت تشمل منطقة واسعة ومن ضمنها أذربيجان. ويعتقد أن هذه الكلمة تعني في اللغات الآذرية والأرمنية والأرانية نفسها (البلاد الحارة) وقد ظلت الكلمة متداولة لحد الآن في الآذرية التركية وبالمعنى نفسه بصيغة (آرانلوق)، في حين سماها الرومان ألبانيا والأرمن آغوان (آلوان) وفي الواقع إن الكلمة مشتقة في الأصل من (آر) وهو اسم الجنس (الآري)[٢٠].

لقد كان سترابو، الجغرافي اليوناني، أشار في حينه الى:

«ان هذه البلاد ذات خيرات كثيرة، وتنبت فيها فواكه ذات أنواع مختلفة، لكن الألبان (الرابيون - ج.ر) أنفسهم يمتهنون الرعي وحياة الترحال والصيد، والسكان يشتهرون بجمالهم البديع وهم شقر، كانوا على استعداد دائم لجمع ٦٠ ألفاً من المحاربين المشاة و٢٢ ألفاً من الفرسان وقت الحاجة».

ويضيف قائلاً:

(١٩) يعتمد مينورسكي هنا على أقوال زكريا ريتور الكاذب. أنظر: **Pseudo- Zacharia Rhetor, XII, ch.7.**

مينورسكي، **تأريخ الشروان والدربند**، ص ١١ من النسخة الانكليزية. انظر كذلك كتاب: **حدود العالم**، ترجمة وتوضيح مينورسكي (لندن، ١٩٣٧)، ص ١٤٢ وما بعدها. الموضوعات: آذربيجان وأرمينيا وأرّان وتوضيحات مينورسكي لهذه النصوص في ص ٣٩٤ وما بعدها.

(٢٠) **مجموعة أعمال كسروي** (كاروند كسروي)، ص ٣٦٨.

«ان هؤلاء تداولوا ٢٦ لغة، وهم منظمون تحت لواء اتحادات متعددة يحكمهم ملوكهم، ويقف على جميع القبائل والاتحادات ملك عظيم»(٢١).

وعلى حد قول بومبيوس فإن الملك الألباني يقال له (أورويس) ولا تشمل هذه البلاد مقاطعتي بيلقان وموقان فحسب، وانما كانت تتعدى نحو الشمال والشرق وتشمل كل المناطق الواقعة على سواحل بحر قزوين التي تعرف الآن بـ(داغستان)(٢٢). وكان الأرمن والايبيريون (الجيورجيون القدماء) هم الجيران الغربيين للألبان، وكانت كاسبيا (ويحتمل انها كانت مقاطعة بقرب بيلقان) جزءاً من ألبانيا. ويقول بطليموس(٢٣) أن ألبانيا لم تكن تعني تلك الأراضي التي تقع فيما وراء القفقاس، وإنما تمتد الى جهة الشمال الشرقي وتشمل كل المناطق التي تسمى الآن بداغستان بمحاذاة ساحل بحر قزوين. وعلى كل حال فان الكتّاب الاغريق المتأخرين أطلقوا على هذا القطر اسم (آريانا) بدلاً من ألبانيا، وعلى أهله اسم (آريان) بدلاً من (ألبان). ويشير ماركوارت(٢٤) الى أن هذين الاسمين (أران وآريانا) والأسماء العربية المتأخرة للقطر يمكن ارجاعها الى الصيغة الفارسية للران. وكان هذا القطر في الأصل يشمل في عهده القديم الذي عرف فيه باسم (ألبانيا) المنطقة نفسها التي كان يشملها أيام عرف باسم الران، ذلك أنه كان يمتد من الدربند (الباب) في الشمال الشرقي

(٢١) Strabo, Geog. XI, 4,1-8.

(٢٢) مينورسكي، المصدر نفسه، أنظر كذلك:
Hubschman, Armen. **Grammatik**, I, 39, No.69, and Marquart, **Eranshahr**, IV, 119.
ومن المفيد الاشارة هنا إلى ان كلمة (أوروى) أي الملك كانت متداولة في بلاد الأرمن والكرد في العصر السومري.

(٢٣) انظر الكتاب الخامس لبطوليمي Ptolemy, V, II.

(٢٤) Marquart, **Eranshahr**, IV, 119.

الى تفليس في الغرب، ويدخل في ذلك نهر الرس في الجنوب والجنوب الغربي[٢٥]. أما الكتّاب الذين عاشوا بعد هذه الفترة فيقولون أن الرّان لا تشمل إلاّ الأرض التي بين شروان وأذربيجان، أو من ضفة نهر الرس الى الكر[٢٦]. فيقول ياقوت الحموي في معجمه أن:

«أرّان بالفتح وتشديد الراء وألف ونون اسم أعجمي لولاية واسعة وبلاد كثيرة، منها جنزه، وهي التي تسميها العامة كنجة، وبرذعه، وشمكور، وبيلقان وبين أذربيجان وأران نهر يقال له الرس، كل ما جاوره من ناحية المغرب والشمال، فهو من أران، وما كان من جهة المشرق فهو من أذربيجان»[٢٧].

وقد وصف العرب عموماً مدينة بتراف Patrav (وتعرف عندهم باسم برذعه) على نهر تارتار (عند ياقوت ثرثور)[٢٨] غير بعيد من مصبه في نهر الكر، وهي المدينة التي حلت في القرن السادس الميلادي محل الحاضرة القديمة (كعولك) وعند بطليموس (جبله) ويذكرها بليني بصيغة (كبلكه) ودونها العرب باسم (قبله) فقالوا انها

(٢٥) لقد وسّع الاصطخري حدود هذه البلاد في القرن العاشر الميلادي قائلاً: «وحد الرّان من باب الأبواب إلى تفليس إلى قرب نهر الرس كان يعرف بحجيرات وآذربيجان حدها حتى ينتهي الى ظهر الطّرم إلى حد رنجان (لعله يقصد زنجان... ج.ر) إلى ظهر الدّينور ثم يدور إلى ظهر حلوان وشهرزور حتى ينتهي إلى قرب دجلة ثم يطوف على حدود أرمينيا (وتشمل هذه الحدود جميع بلاد الكرد تقريبا... ج.ر). ولسان آذربيجان وأرمينيا والران الفارسية والعربية (والقصد هنا لغة الطبقة الحاكمة اما السكان فتداولوا الكردية والتاتية والطالشية واللغات المحلية الأخرى... ج.ر) غير ان أهل دبيل يتكلمون بالأرمنية، ونواحي برذعه لسانهم الرّانية (وهي لغة بلاد الران المحلية لا علاقة لها بالفارسية ولا بالعربية... ج.ر) ولهم جبال يسمونها القبق وتحيط بها ألسنة مختلفة كثيرة للكفار».

أنظر: الاصطخري، **المسالك والممالك**، تحقيق الحسيني، ص ١١٢. أما في طبعة دى كويه فانظر: ص ١٩٠.

(٢٦) القزويني، **سياستنامه**، ص ٢٢٦.

(٢٧) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، الجزء الأول، مادة الأرّان.

(٢٨) يشير ياقوت إلى الثرثور على انه اسم لنهرين بأرّان أو أرمينيا ويقال لهما الثرثور الكبير والثرثور الصغير. انظر: **معجم البلدان**، مادة الثرثور.

قصبة الران وأعظم مدينة في القفقاس بأسرها، وكان سكان برذعه مازالوا يتكلمون بالأرّانع، أي باللغة الألبانية في القرن الرابع الهجري الموافق العاشر الميلادي(٢٩). وبكلمة أخرى فان حدود ألبانيا، برأي مينورسكي، كانت تلاصق ايبيريا (جيورجيا اليوم) والأرمن غرباً، لكنها احتلت المناطق القزوينية أيضاً (أي مناطق بيلقان وموقان) وكانت البلاد الألبانية واسعة إلا أنها خضعت لتحولات قومية ولغوية لصالح الأرمن، وبالأخص المقاطعات التي كانت تقع جنوب نهر الكر، وان عاصمة ألبانيا كانت تقع في موقع شمال هذا النهر، وهم الذين بنوا مدينة بيروز آباد (برتاف = برذعه) أيام الملك الساساني بيروز ٤٥٧م - ٤٨٤م وقد بناها الملك الألباني فاجي(٣٠).

ذكر في التأريخ عدد من حكام ألبانيا بألقاب فارسية، مثل طبرسران شاه (تبرسرانشاه) حاكم الناحية المعروفة الآن ب(تبسران) غربي الدربند (الباب) وفي القرن الخامس الميلادي ذكرت أحوال احدى لهجات (لغات) الألبان المعروفة بلغة (الكركر - س) قرب برتافا (برذعه) من قبل الروحانيين الأرمن الذين هدوا الألبان الى الديانة المسيحية - الكنيسة الأرمنية - واخترعوا لهذه اللغة كتابة خاصة(٣١). وان هذه اللغة المتداولة في تلك المنطقة، أي في برذعه، برأي الاصطخري كانت سهلة في القرن العاشر(٣٢)، وهذا ما يخالف الحقيقة تماماً، لأنها كانت صعبة في الواقع. ويقول المؤرخ الأرمني موسى الخوريني في القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي:

«ان اللغة الألبانية كانت حلقية (تنطق أصواتها وحروفها من الحنجرة)، وهي لغة بربرية بدائية، وعلى العموم غير مألوفة»(٣٣).

---

(٢٩) الاصطخري، **المسالك والممالك** (طبعة كويه)، ص ١٩٢.

(٣٠) مينورسكي، المصدر نفسه.

(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢) الاصطخري، المصدر نفسه.

(٣٣) انظر: الجزء الثالث، الفقرة ٥٤ من كتاب: **تأريخ موسى الخوريني**.

وقد اكتشف البروفيسور الجيورجي شانيدزي عام ١٩٣٨م لوحة تحتوي على الألفباء المنسية للغة الألبانية القديمة وتحتوي على ٥٢ نوعاً من الأصوات. ومهما يكن فان لغة (أودي) التي تتداول الآن في قريتين فقط من قرى شاكي (شكى) هى البقية الباقية من اللغة الألبانية، وبما أن الألبان عاشوا في مناطق سهلية مفتوحة الجوانب ساعدت جيرانهم على الطمع في اختراقها، وخاصة عندما خضعت للساسانيين والأرمن، ولكنهم مع ذلك استطاعوا الحفاظ على استقلالهم الذاتي، وقد شارك ملكهم (أورناير) عام ٣٥٩م الملك الساساني شابور الثاني في محاصرة مدينة آميد (ديار بكر الحالية). وفي ٤٦١م تنازل الملك (فاجي) المتمرد على العرش الألباني ووقعت البلاد تحت الاحتلال الايراني. ومع ذلك فقد ظلت في شمال نهر الكر بعض الامارات المستقلة مثل شروان وليزان وغيرهما، وكانت هذه الامارات منفصلة عن إمارة أرّان تماماً. وفي نهاية القرن السادس الميلادي ظهرت في ألبانيا سلالة انحدرت من شخص يعتقد أنه برثي جاء من بلاد الري وكان يسمى (مهركان)، استقر في أرّان وتقبل المسيحية ديناً له. والظاهر انه وأسرته لم يحكموا إلا جزءاً من أرمينيا(٣٤).

لقد استسلمت هذه البلاد في بداية العصر الاسلامي لسلمان بن ربيعة الباهلي أثناء خلافة عثمان بن عفان(٣٥)، ولكن في البداية لم يغير هذا الوضع شيئاً من الحقوق الاقطاعية للأمراء المحليين. ويقول ابن الأثير عند تحدثه عن فتح تلك البلاد:

«وسار سلمان بن ربيعة الباهلي الى أرّان... فتح البيلقان صلحاً... ثم أتى مدينة بَرْذَعه فعسكر على الثرثور... وشن الغارات في قراها... ووجه خيله ففتحت رساتيق الولاية ودعا أكراد البلاشجان الى الاسلام فقاتلوه فظفر بهم فأقرّ بعضهم على

(٣٤) مينورسكي، المصدر نفسه، وانظر كذلك **دائرة المعارف الاسلامية**، مادة داغستان.

(٣٥) البلاذري، **فتوح البلدان** (القاهرة، ١٩٥٩)، ص ٢٠٣. وانظر ابن الأثير، **الكامل في التأريخ**، الجزء الثالث، ص ٦٥ وما بعدها (ليدن، ١٨٦٨).

الجزية وأدى بعضهم الصدقة وهم قليل ووجه سوية الى شمكور ففتحوها وهي مدينة قديمة ولم تزل معمورة حتى خرّبها السناورديّة (وهم صنف من الكرد - ج.ر) وصالحه ملك شروان وسائر ملوك الجبال وأهل مسقط والشابران ومدينة الباب»[٣٦].

ومنذ بداية العصر الاسلامي أصبحت منطقة نفوذ الأمراء المحليين الملقبين باللقب الفارسي (إيرانشاه) غير شِروان، وقد سماها العرب شَروان وصاغها الفرس من بعد بصيغة شاروان، وكانت في الأصل منطقة نفوذ لشيروانشاه وتغطي الأرض التي بين نهر الكُر وبحر قزوين. وقد عرف شيروانشاه كبطريك الرّان[٣٧]، ويظهر انهم اعتمدوا على خاقانات الخزر بالدرجة الأولى للحفاظ على استقلالهم الذاتي، لذا نرى أن الملك (وراز تردات المهراني) الذي توفي عام ٧٠٥م كان يدفع جزية سنوية الى الخزر. ويقول بارثولد بأن:

«العرب أحرزوا انتصارات فردية شمال داغستان وخاصة في عهد الخليفة هشام (١٠٥هـ - ١٢٥هـ/٧٢٤م - ٧٤٣م) الذي كان أخوه مسلمة هو أول من وطّد أركان الحكم العربي في دربند، ولكن على الرغم من هذا كله احتفظت دربند (الباب) حتى في العهد العربي بمكانتها باعتبارها حصناً من حصون الثغور، وهي المكانة التي كانت لها في عهد الساسانيين»[٣٨].

ولم يكن المسلمون قد طردوا بعد النصارى الألبان من ألبانيا الى غير رجعة، فقد ذكر المقدسي[٣٩] ان معظم سكان مدينة شابران (وهي

(٣٦) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٢٠٣، وقد أورد البلاذري اسم السناورديّة بصيغة (الشناوردية) وهم من كرد تلك الأنحاء.

(٣٧) في الأصل - بطريق الرّان - انظر كتاب: اليعقوبي، طبعة هوتسما، الجزء الثاني، ص ٥٦٢ .

(٣٨) **دائرة المعارف الاسلامية**، مادة داغستان.

(٣٩) المقدسي، طبعة دى كويه، ص ٣٧٦.

ان **تأريخ أغوان** لمؤلفه موسى كاكانكاتفاتسي هو من المصادر النادرة لأخبار سهل بن سنباط وبابك الخرمي، وحول تفصيلات تسليم بابك انظر: الدكتور حسين قاسم العزيز، **البابكية أو انتفاضة الشعب الأذربيجاني ضد الخلافة العباسية**. رسالة دكتوراه من جامعة موسكو ١٩٦٦م (بيروت، ١٩٧٤) الترجمة العربية.

الآن خرائب على مسيرة ١٥ ميلاً جنوبي شرقي قوبة لحديثة) ومدينة شكّي وتعرف الآن باسم (نوخا) من المسيحيين. كما أن الكنيسة الألبانية قد تنازلت عن المطالبة بالاستقلال عن أمها الكنيسة الأرمنية. ثم تنازع العرب المسلمون مع اليونان (البيزنطيين) على هذه المنطقة خلال القرن الثامن الميلادي، وكانت سلطة ملوك أرّان قدانحصرت في أيدي الزعماء المحليين، وغدت ضعيفة في المناطق الواقعة جنوبي نهرالكر. وهكذا ليس من الغريب أن نسمع مثلاً خبر تعيين سعيد بن سليم (سالم؟) حاكماً على أرمينيا من قبل هارون الرشيد[٤٠]. وقد بنى شمّاخ بن شجاع مدينة الشماخية (شمّاخي) الذي يسميه البلاذري ملك شروان[٤١]. وحدث في عهد المعتصم ٨٣٣م - ٨٤٢م أن بدد سهل بن سنباط شمل جيش الوالي الأفشين الذي كان قد استولى على الران، على أن سهلاً هذا سرعان ما أدى خدمة جليلة للعباسيين (٢٢٣هـ/٨٣٧م - ٨٣٨م) بتسليمه بابك الخرمي، وقد كافأه الخليفة على ذلك فثبته في منصب البطريك[٤٢].

وهكذا أصبحت شروان على شمال النهر خارج ادارة أرّان. ولكن ثورة بابك الخرمي ٢٠١هـ- ٢٢٢هـ/٨١٦م - ٨٣٧م أثرت على وضع الحكم الاسلامي والاحتلال العربي في أرّان، إلا أن كثيراً من هؤلاء الأمراء المحليين قد نقلوا الى العراق بعد القضاء على تلك الثورة. ثم تلا تعيين الساجدية (حوالى عام ٣١٧هـ/٩٢٩م) في إدارة تلك البلاد حيث مكّن الخليفة العباسي من حكمها مباشرة، وفتح طريقاً لوصول الأسر الاسلامية من غير أهل المنطقة على سدة الحكم في هذه البلدان، كالهاشمية في كنجه. وجدير بالذكر أن اقتصاد المنطقة قد ارتبط بالعالم الاسلامي. وترجع أقدم سكة عربية اسلامية ضربت في

---

(٤٠) تأريخ اليعقوبي، ص ٥١٨.

(٤١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢١٠.

(٤٢) حول هذه الأخبار انظر من اليعقوبي، الجزء الثاني، ص ٥٧٩، والبلاذري، ص ٢١١ طبعة كويه، والطبري، الجزء الثالث، ص ١٢٣٢ طبعة كويه.

أرّان (الران) الى سنة ٩٠هـ/٧٠٨ - ٧٠٩م على أن الخزر انتقموا منها بعد ذلك كثيرا، وقد ضم هذا الاقليم جعر وأملاك العرب الأخرى في القفقاس في ولاية واحدة، وقد جرت الحال باطلاق اسم أرمينيا على هذه الأقاليم الموحدة، ولو أن الولاة كانوا يقيمون في معظم الأحوال في برذعه بوصفها أكبر مدينة في أرمينيا. وكان بيت الملك الألباني القديم قد انقرض منذ أمد طويل. وهناك بعض الحقائق سجلت حولهم مع أسمائهم من قبل موسى كالانكاتفاتسي، إلا أنها شذرات متقطعة وغير منتظمة وليست بذات أهمية[٤٣].

أصبحت ألبانيا (الران) في النهاية ضحية أطماع الغزاة الذين نزحوا من الجهات الشمالية لقفقاسيا وفي مقدمتهم الهون والخزر، ثم ظلت في القرون التالية منفصلة عن شروان سياسياً، وحكمتها أسرة من بيت كردي هو بيت (بني شدّاد) وكان مركزهم آنئذ (جنزه) وهي التي سميت بـ(كنجه) محلياً وهي الآن يليساوتيول (إليزابيث بول) الحديثة منذ عام ١٨٠٤م. كانت جنزه بلدة صغيرة على الطريق من برذعه الى تفليس، وأصبحت قصبة أرّان بعد اضمحلال برذعه. ويذكر موسى كالانكاتفاتسي، المؤرخ الأرمني، أن هذه المدينة تأسست في عهد الحكم الاسلامي حوالى عام ٨٤٥ ميلادية، لكن القزويني دوّن اسمها في عام ٣٩ هجرية، ولايزال الأهالي يعرفون هذه المدينة باسمها العربي (جنزه) وإن كان مشاهيرها يعرفون بالكنجويين. ولما دالت دويلة بني شدّاد ضمت أرّان مباشرة الى أذربيجان ولم يقم فيها منذ ذاك بيت يختص بحكمها. وقد استترك أهل الرّان شيئاً فشيئاً منذ عهد السلاجقة شأنهم في ذلك شأن أهل أذربيجان وشروان والدربند (الباب). وقد جرى منذ العهد المغولي اطلاق الاسم التركي (قره باغ = البستان

(٤٣) توجد ترجمتان للكتاب من الأرمنية، إحداهما ترجمة ك. باتكانوف إلى الروسية وقد اعتمد على نسخة شاخاتوني الخطية فقط، والأخرى ترجمة داوست الذي اعتمد على أكثر من ٤٠ نسخة خطية وجدها في مكتبات العالم أثناء ترجمته للكتاب. انظر:

G.J.F. Dowsett, **The History of the Caucasian Albanians**, by Movses Dasxuranci (London, 1916).

الأسود) على الجزء الجنوبي منها، أما الجزء الشمالي فقد عرف بـ(نكورني قره باغ = البستان الأسود العالي) والصراع قائم عليه بين الآذريين والأرمن في يومنا هذا (١٩٩١م- ١٩٩٢م) إثر الاصلاحات السياسية التي قام بها غورباتشيف رئيس مجلس السوفيات الأعلى سابقاً وكأن المشكلة لا تخص الكرد لا من بعيد ولا من قريب، رغم أن المنطقة كانت مركز الحكم الكردي في مطلع العصر الاسلامي وقد نشأ فيها أيام حكم لينين في الاتحاد السوفياتي دويلة ذات حكم ذاتي ألغاها الأذربيجانيون الترك خلال الحكم الفردي لستالين الذي شرّد مئات الآلاف من كرد قفقاسيا نحو أواسط آسيا. وعلى كل حال فإن ما وافى العهد الاسلامي حتى كان الاسم (أرّان) قد غدا من المحفوظات الأدبية فحسب. أما القصبة القديمة (برذعه) فقد انتقم منها الروس عام ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م ٩٤٤م انتقاماً مروعاً لم تفق من جرائه. ولعل من الجدير بالذكر هنا أن نخصص الكلام على بلاد شروان ثم الباب وقد أصبحتا تتميزان بشخصيتهما التأريخية عن تلك التي تميز بها الوطن الأم أرّان (ألبانيا القديمة).

■ ٢ ـ شروان

كانت شروان، وتكتب بفتح الشين أو كسرها[٤٤]، ناحية على

(٤٤) انظر **دائرة المعارف الاسلامية**، مادة شيروان، ويقول مينورسكي ان أول صيغة لهذا الاسم هي شروان بفتح الشين (انظر: **فصول من تأريخ الباب وشروان**، ص ١٠٦ من النسخة الروسية). وفي توضيحه لكتاب: **حدود العالم** يشير مينورسكي إلى ثلاث نقاط في شيروان:

أ ـ المراكز القديمة في شيروان.

ب ـ الأسر الحاكمة التي اشتهرت باسم شيروانشاهان.

ج ـ أسرة مزيد.

د ـ ليزان ـ الأبخاز ـ ولاهيج وخرسان شاه.

ويقول ان أقدم صيغة للاسم هي شروان، ولا يظهر ان لها علاقة مع مركز المقاطعة نفسها المسمى بـ(شافران أو شابران). لتفصيلات هذا الموضوع أنظر كتاب: **حدود العالم**، ص ٤٠٤.

الساحل الغربي لبحر الخزر (قزوين) شرقي نهر الكرّ. وقد أشار ياقوت الى:

«انها مدينة من نواحي باب الأبواب الذي تسميه الفرس الدربند، بناها أنو شروان فسميت باسمه ثم خففت باسقاط اسمه. وبين شروان وباب الأبواب مائة فرسخ (وفي الحقيقة كان باب الأبواب في أقصى شمالي بلاد شروان... ج.ر)... وقيل شروان ولاية قصبتها شماخي وهي قرب بحر الخزر»[٤٥].

ويقول الاصطخري ان الطريق من برذعه كان يؤدي الى الدربند ماراً بشروان وشماخية[٤٦]، أي أن الرحلة من شماخية الى شروان كانت تستغرق ثلاثة أيام. وفي القرن العاشر كانت شروان تعني الأراضي الواقعة بين جنوب شرق منحدرات جبال قفقاسيا ونهر الكر. ومن الواضح أن هذه الأراضي تسقيها أنهر ستة، تتوافد اليها من المنحدرات الجنوبية لتلك الجبال. ونهر (بير سكت Pir Sagat) الذي يقع في شرق هذه الأنهر يصب في النهاية في بحر قزوين بين باكو وحلق نهر الكر. أما الأنهر الأخرى فتجري من الشمال نحو الجنوب باتجاه نهر الكر، وهي من الشرق الى الغرب:نهر آخ صو، كردمن ـ الذي تقع لاهيج (ليزان) على منابعه العليا ـ ثم نهر كيوك جاي ونهر توريان، وتقع قبله على مجراه العالي قرب منبعه، والجيكين جاي الذي يجمع مياهه شرق مدينة شكى (شاكى). ويعني الجيكين الحمار باللغة المغولية. والنهر السادس هو إكري جاي الذي يروي القسم الشمالي من شاكى، ويجري من الشرق الى الغرب ويصب في نهر الزان الذي يجري من الغرب الى الشرق ثم يصب في نهر الكر.

كان مركز شروان مدينة (اليزيدية) في العصر الاسلامي، وبنيت في ٣٠٦هـ/٩١٨م ويحتمل انها بنيت على أنقاض مدينة الشماخية القديمة التي أغار عليها السريرية واللانية عام ٤٢٣هـ. وتقع اليزيدية

(٤٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة شروان.

(٤٦) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ١٩٢.

على الضفة الغربية للمنابع العليا لنهر بير سكت، وإلى شرق نهر آخ صو بأربعين كيلومتراً.

كانت قلعة كلستان تحمي مدينة اليزيدية عن قرب، وكانت في الأصل مركز قيادة الأمير وتسمى ب(لشكركاه). وعلى حد قول مؤلف كتاب (حدود العالم) فإن هذه القلعة كانت تقع على بعد فرسخ واحد من شماخى، وقد اقتبس الكاتب الدبلوماسي الكردي سعود بن نامدار من رسائل ملك شروان (شروانشاه) بعض المقاطع التي تورد اسم القلعة بصيغة (مقر العز). والواقع إن بقايا كلستان وتسمى الآن (قز قلاسي) تقع على بعد ثلاثة كيلومترات شمال شرق الشماخية، وقد نقل نادرشاه عام ١٧٣٤م السكان من الشماخية الى موقع آخر يبعد ثلاثة كيلومترات جنوب شرق آخ صو، وبعد موته رجع هؤلاء الى مناطقهم[٤٧].

كانت شروان تواجه في الجنوب نهر الكُر ويفصلها عن منطقة نفوذ الشداديين الكرد الذين أصبحوا ملوكاً لأرّان حوالى ٣٥٩هـ/٩٦٩م وبالضبط في المناطق التي تقع بين نهري الكر وأراكس، وطردوا منها الديلم المسافرية وخاصة من جنوب نهر الكر وكانت برذعه، مركز الادارة العربية، منطقة صراع بين هذه القوى، إلا أنها كانت تميل مع بيلقان نحو حكم الملكية الشدادية. ونحو ٤٥٥هـ/١٠٦٣م قام أبو الأسوار الشدادي في كنجه بثلاث حملات على شروان، حيث رحّب به كرد شروان المحليين. وفي ٤٥٧هـ/١٠٦٥م هددت الكرد مدينة مسقط (مساكيت) ثم بدأ اسم فضل بن أبي الأسوار الشدادي يقرأ في خطب مدينة الباب منذ عام ٤٦١هـ/١٠٦٩م.

كان ملوك شروان الملقبون ب(شروانشاهان) يحكمون المناطق الواقعة على نهر الكر لحد نقطة اتصاله بنهر أراكس في بداية القرن الحادي عشر، وعلى سواحل بحر قزوين كان حكمهم وسلطتهم يصلان إلى

(٤٧) مينورسكي، فصول من تأريخ الباب وشروان، ص ٧٦، النسخة الانكليزية.

مدينة باكو، وذكر بعض المخطوطات الاسم (شابَران) بدلاً من (شروان) وأحياناً شافوران أو شاوران(٤٨). وأشار ياقوت الى أن:

«شابران مدينة من أعمال أرّان استحدثها أنو شروان وقيل من أعمال دربند وهو باب الأبواب بينها وبين مدينة شروان نحو عشرين فرسخاً»(٤٩).

ويقال أن محمد بن أحمد بنى سوراً عام ٧٧٣هـ/٩٨٣م حول مدينة شابوران(٥٠). ويقع حصن شابَران على نهر يتسمى بالاسم نفسه، ويجري هذا النهر نحو الجنوب من قوبا (كوبي الحالية). لقد سمت المدونات الجيورجية هذه المدينة عام ١١٢٤م بصيغة (شابوران) والتسمية لها علاقة مع شافور (شابور) أحد الأمراء الشداديين الكرد. لذا فان الإسمين (شابوران وشروان) لا يرجعان الى أصل واحد. والحقيقة أن شافوران هي عاصمة محلية لمنطقة (خورسان) وهي احدى المقاطعات الثلاث لشروان وأن يزيد بن أحمد وابنته شمكويه دفنا هنا، وكان هذا الأمير قد تزوج بفتاة تنحدر من سلالة محلية. وقد سجل صاحب كتاب **حدود العالم** خبر هذه المدينة بشكل صحيح قائلاً بأن:

«شافران قصبة شيروان»(٥١).

وكان كل من شابران ومسقط تتطابقان شمال وجنوب قوبا.

تتكون أراضي شروان على العموم من سهول ومناطق منخفضة ومفتوحة أمام الغزاة من كل الجوانب. وقد كافحت عبر العصور بجانب مدينة الباب زحف الأقوام المتسربة من الشمال الشرقي، إلا أن الآلان وأهل السرير استطاعوا النزوح الى هذه البلاد لنهبها ثم

(٤٨) **دائرة المعارف الاسلامية**، مادة شيروان. كذلك انظر كتاب: **حدود العالم** (الورقة ٣٣ب).

(٤٩) ياقوت، **معجم**، مادة شروان.

(٥٠) مينورسكي، المصدر نفسه، ص ٧٧.

(٥١) **حدود العالم**، الفقرتان، ٣٦، ٣٧.

لتدميرها (كما جرى عام ٤٢٣هـ/١٠٣٢م على سبيل المثال). وقد جاءتها عدة حملات من البحر من قبل قراصنة الروس أيضاً. أما من الجنوب فقد وسّع الديلم المسافرية نفوذهم داخل هذه الأراضي وصعدوا الى شمال أراكس وأصبحت شروان تدفع الجزية الى مرزبان بن محمد الديلمي عام ٣٤٤هـ/٩٥٥م. وفي عام ٣٥٧هـ/٩٦٨م وصل ابراهيم بن مرزبان الى مسقط. وبعد عام ٤٥٨هـ/١٠٦٦م وصل قسم من أتراك الغز الى شروان، وحتى أن شدادي أرّان كانوا يعادونها، لكن ملوك شروان استطاعوا أن ينجحوا في الانتصار على جيرانهم المسيحيين في الغرب فقط.

ومن جهة أخرى في الانحناءات الشمالية الشرقية والسلسلة الجنوبية الشرقية من مرتفعات قفقاسيا، وعلى وديان سواحل بحر قزوين تقع أراض خصبة زراعية، تسقيها أنهار مثل كوبي وسامور أو سافمور وتمتدّ هذه الأراضي الى إمارة ليزكين (لكز) حيث ألحقت قسراً بحكم شروانشاه (ملك شروان) وأصبحت مقسمة بينهم وبين أمراء الباب وكذلك أمراء أرّان. ولكن أهم حدث هو دخول مدينة مسقط ضمن حدود بلاد شروان وكونها جزءاً متمماً لها[٥٢]، وكانت تقع شمال نهر سامور (سمّور).

لا يعني الاسم (مسقط) أنه مشتق من المصدر العربي (السقوط) وإنما معرب من التسمية (مسكوت أو مشكوت) نسبة الى سكانها القدماء من المساكيت الذين انحدروا من صلب بعض القبائل الآلانية[٥٣].

---

(٥٢) مينورسكي، المصدر نفسه.

(٥٣) يقول بليني حول هؤلاء ما يلي:

Item Patria Albania, Tem Patria, Massagetai, Item Patria Caspiae, Item Patria Lepen

انظر: بلينوس، **كتاب التأريخ الطبيعي**، الجزء الثاني، الفصل ١٢.

Pliny, N.H., II, 12.

وكذلك يقول أميانوس مركلينوس: «ان الآلان هم المساكيت القدماء»

«Halanos.., Veteres Massagetas»

انظر الكتاب الحادي والثلاثين من: **تأريخ اميانوس مركلينوس**، الفصلان ٢٢، ١٢.

Amm. Mar. XXX, 22, 12.

وقد ذكر المؤرخ الروماني أميانوس مركلينوس في حينه أن الآلان هم المساكيت القدماء[٥٤]. وبوقت متأخر جاءت أخبار هذه المدينة عند ياقوت لما أشار الى أنها:

«رستاق بساحل بحر الخزر دون باب الأبواب، جيله مسلمون لهم قوة وشوكة، بين باب الأبواب واللكز. كان من أحدثه كسرى أنوشروان قباذ لما بنى باب الأبواب»[٥٥].

لكن وقائع عصر ما قبل الاسلام جاءت في أقوال المؤرخ الأرمني (فاوستوس البيزنطي) في القرن الرابع الميلادي عندما أشار الى أن الأمير (سانيسان) تلقب بلقب ملك المسكوت (مساكيت) وأسس هناك مملكة بمساعدة العساكر الهونية وبعض قبائل داغستان، وكان هذا ينحدر مثل نظيره ملك الأرمن من أسرة أرشاكية (البرثية)[٥٦] وكان سكانها مختلطين على ما يظهر. وفي بداية القرن الثامن الميلادي أسكن مروان بن محمد في هذه المدينة الخزر الذين تقبلوا الاسلام ديناً، وسميت عند العرب أحياناً (بين النهرين) وذلك لوقوعها بين نهري سامور ورورباس. وعلى العموم فان أشهر المقاطعات التابعة لشروان بالاضافة الى شابوران هي خورسان وفردان، وكان لكل مقاطعة ملك محلي يلقب ب(خورسانشاه أو فردانشاه).

كان أهم المدن والقصبات التي تحيط ببلاد شروان هي (قبله) المدينة الألبانية القديمة التي سماها بليني كبلكه (كابالاكا)[٥٧]. وقبل

---

(٥٤) أميانوس مركلينوس، المصدر نفسه.

(٥٥) ياقوت، **معجم**، مادة مسقط. وقد جاء في كتاب **جامع الدول** لمنجم باشي: «أن مسقط أرض تشتمل على عدة حصون وقرى ومزارع يحدها نهر سمّور والبحر واللكز والشابران. كان لها حكام مستقلون قديماً انقرضوا في سنة ٢١٨هـ فاستولى عليها أمراء باب الأبواب والثغور... الخ» انظر: الحرف الثاني من الفقرة السادسة لكتاب: منجم باشي، **جامع الدول**، وكذلك مينورسكي، **فصول من تأريخ الباب وشروان**، ص ١٦، الفقرة ٣١ من النص العربي.

(٥٦) مينورسكي، المصدر نفسه، ص ٨١، ٨٢ النسخة الانكليزية.

(٥٧) بلينيوس، **التأريخ الطبيعي**، Pliny, N.H. VI, 10

قرن من الفتح الاسلامي كانت هدفاً من أهداف الأطماع الخزرية. وقال ياقوت أن:

«قبله بالتحريك مدينة قديمة قرب الدربند وهو باب الأبواب من أعمال أرمينية أحدثها قباذ الملك أبو أنو شروان»[٥٨]

وفي زمن المسعودي كان الناس فيها مسلمين، لكن المناطق التي تحيطها كانت تعج بالمسيحيين. وكان حاكم المدينة يشتهر باسمه العربي (عنبسة الأعور). وفي الواقع فإن هذا الاسم لا يدل على أنه عربي، وإنما كان ينتمي الى أسرة أرمنية ـ ألبانية مختلطة. وفي ٣٧١هـ/٩٨١م استرجع شروانشاه محمد بن أحمد مدينة قبله من عبدالبار بن عنبسة الأعور[٥٩].

وفي غرب قَبله كانت تقع مدينة شكّى (شاكي) شرقي كاخيتيا، وكانت جزءاً من ألبانيا ولكن حكامها انحدروا لبعض الأوقات من الأرمن، وكانت تشتهر بالجلود الشكيّة حسب أقوال ياقوت الحموي. وشملت هذه المدينة بعض الأراضي على الضفة الجنوبية لنهر الكر وقد سمي ملوك كاخيتيا بعض الأحيان بملوك شكّى وخاصة بين أعوام ٩٥٠م ـ ١٠٥٠م. ويظهر أن شكّى هي الصيغة العربية المتأخرة والمختصرة من شكاشيني (سكاسيني) وهي الصيغة اليونانية لموطن السكس (السكيث) في ققفاسيا خلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد.

■ ٣ ـ الباب

تقع مدينة الباب في نهاية داغستان الحالية، بين سلسلة جبال ققفاسيا التي تتجه نحو الجنوب الشرقي وتمتد الى مدينة باكو، والسلسلة

(٥٨) ياقوت، معجم البلدان، مادة . قبله .

(٥٩) مينورسكي، فصول من تأريخ الباب وشروان، ص ٨٣ النسخة الانكليزية.

الأخرى التي تتجه الى مصب نهر كوى صو (ويعني نهر الغنم بالآذرية الحالية)(٦٠)، وفروع هذا النهر التي تصب في بحر قزوين.

تفصل هذه المدينة الحوض الجنوبي لكل من أنهر سامور (سمّور) وقاسم كنده ورباس من الأنهر الشمالية وخاصة نهر كوى صو، وكان السكان في الشمال يختلفون عن الجنوب وينتمون الى عالمين مختلفين. فكان أهل الجنوب من قبائل اللزكيين (اللكز) يشكلون المجتمع الاسلامي في هذه المنطقة. وبالمقابل كانت المسيحية سائدة بين سكان الشمال وأدت الى ظهور تغييرات لغوية فيما بينهم. وقدر عدد سكان هذه المدينة في العشرينات من هذا القرن بعشرين ألفاً، وتشتهر بنوع خاص بأسوارها المرتفعة الفريدة في نوعها التي تسد الممر بين البحر والجبل، ولم يكن يزيد عرضه هنا عن ميل ونصف ميل في العهد الساساني ثم في العهد الاسلامي وكانت تحمي هذه الأسوار، جهات آسيا الغربية الوادعة من غارات بدو روسيا الجنوبية قديماً، والأرض هنا لا تشبه الصحراء المحيطة بباكو (عاصمة أذربيجان السوفياتية) فهي خصبة ملائمة كل الملاءمة لغرس الكروم والفاكهة حتى شاطىء البحر. وبناء على آراء باخوموف، يذكر مينورسكي زمن بناء هذه الأسوار ويشير الى أن لها علاقة مع زمن حكم كسرى أنو شروان (٥٣١م - ٥٧٨م) وقد تم بناؤها في السنة السابعة والثلاثين من حكمه، أي عام ٥٦٧م. ويعتقد أن يزدكرد الثاني (٤٣٨م - ٤٥١م) كان قد بنى السور الأول، كما أن المؤرخ الأرمني ليفوند (نهاية القرن الثامن الميلادي) كان قد أشار الى أن مسلمة بن عبدالملك عثر على حجر في الدربند (الباب) عليه لوحة كتابية تذكر

(٦٠) لقد دوّن أبو الفدا اسم هذا النهر في جغرافيته بصيغة (نهر الأغنام). انظر: **جغرافية أبي الفدا**، ص ٢٠٤ حيث يقول:
«وفي شرق مطرخا نهر الغنم الذي عليه بلاد السرير وقاعدة السرير على جبل متصل بجبل الألسن وهذا النهر نهر كبير يجمد في الشتاء وتعبر الدواب عليه... الخ».

بأن الامبراطور مارتسيان (٤٥٠م - ٤٥٧م) هو الذي بنى هذه المدينة مع أسوارها ووضع فيها غنائمه وخزائنه(٦١).

أما السور الداخلي فبناؤه يرجع الى زمن الملك الساساني قباذ بن بيروز (٤٨٨م - ٥٣١م) مثلما يظهر ذلك من خلال الكتابات البهلوية التي ظلت على جوانبه. وقد أوضح ابن حوقل موقع المدينة في حينه قائلاً:

«باب الأبواب مدينة على بحر الخزر في وسطها مرسى للسفن، وفي هذا المرسى الخارج من بحر الخزر، وفي هذا السد باب مغلق على الماء قد استحكم من وصيده بعقد قد عُقد على نفس الماء والماء من تحته. وللسفن مدخل مقلوب من ناحية بابه وعلى فم المدخل الذي تدخل فيه السفن سلسلة ممدودة كالتي بصور وبيروت بالشام، وعلى خليج القسطنطينية. وعليها قفل لمن ينظر في أمر البحر فلا يخرج المركب ولا يدخل إلا بأمر صاحب القفل والسدّ من صخر ورصاص وبحر الخزر بحر طبرستان ومدينة الباب أكثر من أردبيل زروعاً وثمارها قليلة إلا ما يحمل اليهم من النواحي، وهذه مدينة عليها سور منيع من حجارة وآجر طين، وهي فرضة بحر الخزر والسرير واللان وسائر بلدان طبرستان وجرجان وبلاد الغز والديلم»(٦٢).

وقد ذكر ياقوت وابن الأثير وغيرهما من الكتّاب المسلمين المتأخرين المدينة غالباً باسم (دبند شروان) ويظهر انها كانت تابعة في الواقع لدولة شروانشاه منذ القرن العاشر الميلادي. وعلى حد رأي بارثولد فإن هذه المدينة أكرهت على التسليم للمغول عام ١٢٣٩م. ويتضح من يوميات وليم الربركي الذي قضى في مدينة دربند يومي (١٧ - ١٨ تشرين الأول/نوفمبر من عام ١٢٥٤م) كما ذكر، ان المغول دمروا رؤوس الأبراج ومعاقل السورين. وعادت دربند حوالى القرن الخامس عشر لا توصف بأنها مدينة عربية وانما مدينة تركية، وسكانها يتكلمون الجركسية والتركية، كيف تم ذلك فإن له صلة بالتتريك

(٦١) حول تفاصيل خطة المدينة وأسوارها انظر: مينورسكي، المصدر نفسه، ص ٨٥ وما بعدها. الترجمة الانكليزية.

(٦٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٩١ - ٢٩٢.

التدريجي لأذربيجان وغيرها من ولايات الحدود في الشمال الغربي من ايران بعد عهد السلاجقة.

لقد ذكر اسم هذه المدينة بصيغ مختلفة في المصادر التأريخية. ففي الأرمنية قيل لها جور (وهو صول) وأطلق المغول عليها اسم كاخولكا، في حين سماها الترك دميركالي (ويعني الباب الحديد) وقد اشتق الروس اسم لجر خوّلي (أي بحر قزوين) Khopuzskoe More من الاصطلاح التركي كابوك (الباب) الذي سميت به هذه المدينة(٦٣)، لكنها تشتهر عند الروس باسم (دربنت) الآن. وصيغة الباب أو (باب الأبواب) أو (الباب والأبواب) هي تسميات عربية لمدينة دربند القديمة التي اعتبرت الحد الشمالي لألبانيا على أغلب الاحتمال، وممراً حيوياً لغارات البدو وبالأخص غارات اللان بين عامي ١٣٤م و١٣٥م. ويعتبر الساسانيون هم أول من قاموا بإجراءات فعالة في سبيل تحصين الممر وأسهمت الدولة الرومانية أيضاً في هذا العمل استجابة لرغبات الأكاسرة، ذلك أن رد جموع البدو كانت مسألة حيوية في نظر الرومان والفرس على السواء(٦٤). وكان اللان في عام ٥٦٩م لا يزالون يحتفظون باستقلالهم وهم أقرب الجيران للساسانيين على بحر الخزر. لكن ما أن حل عام ٥٧٦م حتى استطاع أحد حكام الترك من اخضاع اللان.

وهكذا بلغت دولة الترك العظيمة في القرن السادس الميلادي حدود الدولة الساسانية، وإذا كانت حصون ممر دربند (الباب) ثمرة من ثمرات هذه الوقائع فإن تشييد هذه المعاقل يعود بلا ريب إلى النصف

(٦٣) V. Vasmer, Ein Names des Kaspichen Meer, - «**Zeitschrift Fur Slavische Philologie**» (1958) No. XXIV, P. 28.

(٦٤) يشير بارثولد في هذا الموضوع إلى أقوال الكاتب الروماني كاسيوس ديون حول غارات اللان عام ١٣٤م - ١٣٥م. أنظر: **دائرة المعارف الاسلامية**، مادة - الدربند... وعلى رأي مينورسكي فإن بومبي كان قد وصل إلى هذه البلاد منذ القرن الأول قبل الميلاد، أنظر كتاب: **فصول من تأريخ الباب وشروان**، ص ٢٧ من الطبعة الروسية.

الأخير من حكم كسرى. يظهر ان هذه المدينة أصبحت ذات شأن عظيم في العصر الاسلامي حين عرفت بـ(دربند شروان)، ولم يظهر الاسم المغولي للممر (قهلقه) فيما بعد فحسب بل ظهر الاسم التركي (دمير كالي) لأول مرة في العهد المغولي.

لقد سكن العرب هنا بجانب السكان المحليين منذ عصر صدر الإسلام. ولعل من أحسن المصادر التي تشير إلى أخبارهم هو ما كتبه المؤرخ الكردي (ابن الأزرق الفارقي) في كتابه حول تأريخ مدينة (ميافارقين)(٦٥). وكان هذا مبعوثاً كردياً عام ٥٤٨هـ/١١٥٣م إلى الملك الجيورجي ديميتر (١١٢٥م - ١١٥٦م) حينما صاحبه في جولة إلى مساكن اللان (الآلان) قرب الدربند (الباب) القديمة، ثم إلى بلاد الأبخاز، ومن المحتمل إلى ليزان. وفي بداية ٥٤٩هـ/١١٥٤م وصل الفارقي إلى قرب دربند ودوّن بإسهاب أخبار لقائه واجتماعه بالعرب المحليين هناك، وهم سكان مدينتين تقعان على بعد عشرة فراسخ من الدربند نفسها واستغرب عندما لقي أحداً يتكلم بالعربية وادعى انه من أبناء بني أمية ومن قبيلة كندة وقال أيضاً أحدهم للفارقي: ان أجدادهم كانوا يعيشون قرب دربند قبل خمسمائة سنة، وفي زمن الخليفة الأموي هشام (١٠٥ - ١٢٥هـ/٧٢٤م - ٧٤٣م) وكما يذكر أخوه مسلمة، فإن ٢٤ ألفاً من العرب السوريين قد سكنوا في مدينة الباب وخصص لهم رواتب معينة(٦٦)، وهو أول من وطّد الحكم العربي في هذه المدينة. وقد دخل الهون والخزر في النصرانية في عهد متقدم أيام البطريك الأرمني اسحاق الثالث (٦٧٧م - ٧٠٣م) واستطاع اليهود أيام هارون الرشيد (١٧٠هـ - ١٩٣هـ/٧٨٦م - ٨٠٩م) ان يهددوا أمير هؤلاء الناس وأشراف مملكته(٦٧).

---

(٦٥) راجع المخطوطات الأصلية لهذا التأريخ في المتحف البريطاني Oriental تحت رقم ٥٨٠٣ بعنوان: **تأريخ ميافارقين وآميد لابن الأزرق الفارقي**.

(٦٦) حول التحقيق في هذه الأقوال انظر: مينورسكي، **فصول من تأريخ الباب وشروان**، ص ١٢٤. الطبعة الروسية.

(٦٧) **دائرة المعارف الاسلامية** . مادة داغستان.

وفي القرن الثامن الهجري حدد أبو الفداء موقع اللان في هذه المناطق كما يلي:

«قال ابن سعيد وفي شرق الانجاز (والأصح أبخاز - ج.ر) على البحر مدينة علانية وهي مدينة يسكنها قوم من العلاّن وهم ترك (؟ - ج.ر) تنصروا... والعلاّن خلق كثير في تلك الجهة وخلف العلاّن باب الأبواب ويجاورهم قوم من الترك يقال لهم الآس (وهم قسم من اللان - ج.ر) على منزعهم وعلى دينهم وقلعة العلاّن التي هي إحدى قلاع العالم تتعمم بالسحاب... الخ»(٦٨).

ويظهر من هذه الحقائق ان بلاد الباب وشروان كانت نقطة تماس اللان مع شعوب غربي بحر قزوين ومنهم الكرد.

٤ ـ أقوام شروان وحواليها

لقد سكن في بلاد شروان أقوام قفقاسية عديدة وقعت تحت تأثير العالم الاسلامي من الجنوب وضغط البدو الآتين من الشمال. ولقد أثرت علاقات هذه الأقوام بهؤلاء في تحديد مسار تطورهم في التأريخ داخل أراضي شروان أو في المناطق المحيطة بها. وأشهر هذه الأقوام هم التات والخيذاق والكرَخ والغُميق وأهل السرير (الآفار) وغيرهم من الأقوام الذين سنتطرق إليهم باختصار.

أ ـ التات: في جنوب الدربند (الباب)، حيث يشاهد خط تقسيم مياه الأنهر، وخاصة نهر روباس الذي يشكل حوضه مقاطعة(تبرسران) تشاهد بعض القرى في جهة الشمال، يسكن فيها سكان جبليون يتكلمون بلغة ايرانية يسمون (التات) ويعيش معظم المسلمين منهم في نواحي باكو وقبه وشماخي وكوكجاي. ويعيش بعضهم في لاية كنجه (جنزه) وفي جنوبي داغستان بنواحي قيتق، ولكنهم يتمركزون الآن في ايران حول قرية كرينكان في منطقة ديزمار بأذربيجان وقد سافرنا إليها يوم ١٩٩١/٥/٣٠م لدراسة لغة

(٦٨) أبو الفداء، **تقويم البلدان** (باريس، ١٨٤٢)، ص ٢٠٣.

أهلها. انها تبعد ١٤ فرسخاً عن تبريز وثلاثة فراسخ عن قصبة أوشتبين. والمنازل التي تتوزع على طريق تبريز ـ كرينكان هي على الترتيب التالي: آناخاتون ـ شيرينجه ـ شوردره ـ نوروز آباد ـ ياستي بولاق ـ ينكي اسبران ـ كلزار ـ كللوجه ـ مشكعنبر ـ شيطان آباد ـ اليرت ـ لجين ـ برخواران ـ شرفه ـ ايزاوان ـ ملك ـ كرينكان.

إن سكان قرية كرينكان هم مسلمون شيعة ويعملون في الزراعة وتربية المواشي، وتعتبر القرية مركزاً لمتداولي اللغة التاتية في منطقة ديزمار التي يتكلم بها سكان قرى جاي كندي وملك في ديزمار وأرزين ونيستان وخوى نرو وكلاسور، ودميرجي ومركز في منطقة حسنو. وهناك بعض الاختلاف في لهجتي المنطقتين لكنهما تتراجعان أمام التركية التي طغت على اللغة الآذرية القديمة تماماً حيث خلف ورائها هاتين اللهجتين بالاضافة إلى الهرزنية وهي لهجة مقاربة إلى التاتية.

لقد ظهرت الآذرية منذ العصر الميدي في اذربيجان (ميديا الصغرى) وهي في الأصل اللغة الميدية التي يعتبرها بعضهم اللغة الأم للغة الكردية أيضاً، فبذلك تصبح الكردية والتاتية والهرزنية وحتى التالشية لهجات ميدية انتشرت في ميديا الصغرى والكبرى (أذربيجان وكردستان) خلال الألف الأول قبل الميلاد وظلت أذربيجان كاسم جغرافي ديني مقدس وكمركز حضاري متميز تحتفظ بمعالمها في العصور الإخمينية والهللنية وان جرى بعض التغييرات في صياغة اسمها من أتورياتكان إلى أذربيجان مروراً بأذربادكان وأذرابادكان، وأذربايجان، وظلت اللهجات الميدية متداولة فيها إلى بداية العصر الاسلامي لحد ظهور العناصر التركية فيها أيام سلطنة الدولة الروادية الكردية في تبريز.

ومن الممكن القول ان لهجة (تاتي) الآن هي وسط بين الفارسية الحديثة والكردية واللهجات القزوينية التي يكثر فيها الإبدال أيضاً،

وتتكلم بهذه اللهجة الخاصة أيضاً جماعات أخرى عديدة من اليهود والأرمن[٦٩].

وفي الأصل فإن اصطلاح تات أو تت هو كلمة تركية مشابهة في المعنى للكلمة العربية (الأعجمي) أطلقت على العناصر الغريبة التي عاشت في البلاد التركية ولها تأريخ معقد. وقد جاء في ديوان لغة الترك الذي كتب عام ٤٦٦هـ الموافق ١٠٧٥م[٧٠]، ان كلمة تات تعني الفارسي ويضيف مؤلفه قائلاً:

«تات سيز ترك بلماس، باش سيز برك بلماس».

أي لا يخلو الترك من الفارسي كما لا يخلو الرأس من القلنسوة[٧١]. وقد أشار شمس الدين سامي في القاموس التركي[٧٢] إلى ان التات اسم أطلق من قبل الترك على الايرانيين والكرد الذين خضعوا لحكمهم بمفهوم الاحتقار:

«تات ـ اسكى تركلرين كندى حكم لرى آلتندا بولونان يرلرده اسكى ايرانى وكردلره ويرديكلرى اسم أولوب مقام تحقير ده فوللانيليردى».

والواقع فعند جميع الأتراك يعني التات الفارسي، وتطلقها قبيلتا يغما وتخسى بصفة خاصة على الأويغور. وهي تحمل في الحالين معنى الاحتقار ثم أصبح الترك الفاتحون يطلقون بعد ذلك كلمة تات على الفرس المغلوبين على أمرهم. بل إن جلال الدين الرومي قد استعمل (طط وطط جه) في أشعاره التركية للدلالة على الفرس ولغتهم قائلاً:

«أكر تات ساك وأكر رومساك وكرتورك ـ زبان بى زبانى رابياموز».

تطلق قبيلة قشقائى التركية بفارس اسم تات على غير الأتراك، أما

---

(٦٩) **دائرة المعارف الاسلامية**، مادة ـ التات.

(٧٠) **ديوان لغة الترك**، الجزء الثاني (استنبول، ١٣٣٣هـ)، ص ٢٢٤.

(٧١) المصدر نفسه، الجزء الأول، ص ٢٩٢.

(٧٢) **القاموس التركي** (استنبول، ١٣١٧هـ)، العمود الثاني، ص ٢١٩، ٣٧٠.

تركمان ما وراء بحر قزوين فإنهم يطلقون كلمة تات على التاجيك الايرانيين بجانب اطلاقها أيضاً على أجناس أخرى وفي كل الحالات فإن كلمة الفارسي أو الفرس تعني الايراني.

يطلق تتر نوغاى الآن اسم تات على جميع المسلمين الذين يعيشون على الساحل الجنوبي من شبه جزيرة القرم وهم خليط مشترك من أمم مختلفة، وان رهطاً من اليونان (أي الأرثوذكس) الذين استقروا في (ماريوبول) عام ١٧٧٨م عرفوا باسم التات، وهؤلاء التات هاجروا من الساحل الجنوبي للقرم وهم يتكلمون لهجة من لهجات اللغة اليونانية ولا يطلق اسم تات على الرهط الآخر من يونان (ماريوبول) الذين يتكلمون اللغة التركية ويكتبونها بالحروف اليونانية والذين يلوح انهم انحدروا حقيقة من قوط Goth طورس. كما ان المجر (الهُنغار) يطلقون على السلوفاك اسم توت (تات؟). ولعل هذه الظاهرة تشبه مثيلتها في بولندا حيث عرفت هذه البلاد بـ (سرماتيا) خلال القرون الوسطى نسبة إلى القبائل السرماتية، التي كانت فرعاً من السكيث، لكن تسمية السرمات لا تعني الآن سوى مفهوم التحقير أو القاتل وهذا ما ينطبق على كلمة الكرد عند الجيورجيين والنمسا (نيمتس) عند السلاف جميعاً. وعلى كل حال فإن المعنى الأول لكلمة تات أي غير التركي أو الأجنبي، الكلمة التي تعادل الأعجمي بالعربية، قد ورد في قاموس اللغتين الجغتائية والعثمانية للشيخ سليمان أفندي[٧٣]، فعرفها بقوله إن التات هم الشعوب التي حكمها الترك أي التاجيك.. وان الناس الذين من أصل أجنبي يتكلمون التركية يعرفون بالتات كما يعرف الذين يتكلمون منهم بالتاجيك[٧٤]. ويشير ملك الشعراء بهار[٧٥] إلى ما يؤيد هذا الرأي لكنه يقول ان الايرانيين استعملوا كلمة التاجيك بمعنى الأجنبي ويرادف البربر اليوناني والأعجمي العربي.

(٧٣) قاموس اللغتين، (طبعة كونوس)، ص ١٨٤.

(٧٤) المصدر نفسه، ص ١٧٩.

(٧٥) المصدر نفسه، الجزء الثالث، (طهران، ١٣٢٦هـ).

روى زكي وليدي طوغان من ان كلمة تات اطلقت اصطلاحاً في التركستان (إبان القرن الرابع عشر؟) على جميع عناصر السكان المقيمين بمن في ذلك الترك الذين استقروا في هذه البلاد قبل مجيء المغول[٧٦]. ويقول أحمد وفيق[٧٧] الذي يلوح انه تأثر في تفسيره لهذه الكلمة بالأحوال العثمانية المحلية، ان التات هم السكان الكرد والفرس الذين خضعوا لحكم الأتراك وإذا سألت أي أذري عن التات لأجابك: «تات تعني تخته قابو وآبادى نشين» أي المدني.

وعلى كل حال فإن كلمة تات تطلق في معنى من معانيها الخاصة والفرعية بطبيعة الحال على جنس معين من الأجناس الايرانية كان الفرس أنفسهم يرون أنه مختلف عنهم. وهؤلاء الأرهاط من التات يعيشون في ايران وفيما وراء القوقاز كما ذكر، وحتى إذا استعملت كلمة تات للدلالة على أولئك الذين يتكلمون اللهجات الشمالية، فإنما يقصد بها في اللغة الفارسية لهجات خاصة في الشمال الغربي، ويعيش أصحابها في قرى اشتهارد وجال وأسبيورين (أسفرورين) وشادمان وسكزى آباد وابراهيم آباد وخياره ونسفان وسيادهون وبسيادهون التي على مفرق الطريقين من قزوين إلى همدان وزنجان. وفي هذه المناطق لا يمكن تمييز التات من مظهرهم الخارجي من الفلاحين الآخرين الذين يعيشون فيما حول قزوين، كما ان هناك لهجات تاتية يتكلم بها في ناحية رستم آباد على الضفة اليسرى لنهر سفيد بجانب التاليشية والكردية، وبأذربيجان الايرانية رهط من تات هرزن بين مرند وجولفه.

ومهما يكن فإن سكان تبرسران بمن فيهم التات قد أسلموا مبكراً، وأثناء الاحتلال العربي كان لهذه البلاد ملك يلقب بـ (تبرسرانشاه). وفي زمن المسعودي كان يحكمها ابن أخت الأمير عبد الملك حاكم الباب، وكانت شروان في علاقة طيبة مع تبرسران منذ القديم. ومنذ

(٧٦) المصدر نفسه.

(٧٧) **لهجة عثماني** (استنبول، ١٣٠٦هـ)، ص ٢٨٦.

هذا الوقت غدت أسماء الحكام في هذه البلاد عربية اسلامية سواء في تبرسران العليا التي تشتهر الآن ب(مراغه) أو تبرسران السفلى جنوبي دربند، ولكن اللغة ظلت فيها آذرية التي أشار إليها بعض الكتّاب المسلمين. فذكر الخطيب التبريزي عند تحدثه عن قوة ذاكرة أبي العلاء المعري حيث كان جالساً في مسجد وقد مر على التبريزي سنتان منذ ان ترك تبريز واستقر في هذا المسجد فالتقى بأحد مواطنيه وتكلم معه فسأله أبو العلاء عن لغة تخاطبهما فأبلغه أنها آذرية قائلاً:

«... وذكر تلميذه أبو زكريا التبريزي انه كان قاعداً في مسجده بمعرة النعمان، بين يدي أبي العلاء، يقرأ عليه شيئاً من تصانيفه، قال، كنت قد أقمت عنده سنين ولم أر أحداً من أهل بلدي فدخل المسجد مغافصة بعض جيراننا للصلاة، فرأيته وعرفته فتغيرت من الفرح، فقال لي أبو العلاء: ايش ما أصابك؟ فحكيت له اني رأيت جاراً لي بعد ان لم ألق أحداً من أهل بلدي سنتين، فقال لي: قم وكلّمه، فقلت: حتى أتمم السبق فقال: قم أنا أنتظر لك، فقمت وكلمته بلسان الآذرية شيئاً كثيراً إلى ان سألت عن كل ما أردت. فلما رجعت وقعدت بين يديه، قال لي: أي لسان هذا؟ قلت: هذا لسان أهل أذربيجان، فقال لي: ما عرفت اللسان ولا فهمته، غير اني حفظت ما قلتما... الخ»(٧٨).

وفي ٣٠ أيار/مايو ١٩٩١م سألنا شخصياً أحد الآذريين قرب ساري تاش على بعد ١٣ كم من تبريز بعد ايسبيران عن التاتية فقال لنا: «لا يفهم الكرد ولا الترك ولا حتى الانكليز لغتهم» وفي الواقع فإن الترك لا يتعبون أنفسهم بتعلم التاتية وغير التاتية وهذا سر من أسرار تغلب التركية على الآذرية عبر التأريخ، وقد اجتمعنا بعائلة علي عبدالله الذي كان يتكلم التاتية بشكل جيد مع شقيقه لكن أولاده لا يعرفون غير التركية وهم يعيشون جميعاً في تبريز ودرسنا لغتهم قاعدة وصوتاً وهي أقرب اللغات إلى الكردية والكتاب الوحيد المؤلف حول هذه اللغة هو (تاتى وهرزنى دو لهجه أز زبان باستان آذربايجان) من تأليف عبدالعلي كارنكك،

(٧٨) انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، الجزء الأول (مصر، ١٩٢٣)، ص ١٧٣.

تبريز ١٣٣٣ تيرماه، فقد استنسخناه لأنه نادر جداً ومؤلفه هو أحد مثقفي التات في العصر الحديث. أما لهجة الهرزن أو هرزند فهي باسم قرية تقع بقرب جبل آفتابكير في منطقة هرزندات بين علمدار ومرند والطريق إليها وعر لا يصل إليها المرء إلاّ بواسطة الخيول أو البغال. وقد انتقل سكانها إلى قرية جديدة باسم (كلن قيه) وهي لا تختلف عن التاتية كثيراً سوف ندرسها في مجالات أخرى.

ب ـ **خيداق**: يتبع درباخ (درواق) منطقة بوغانْ وتقعان معاً على الانحدار الشمالي لخط تقسيم المياه الذي قرب دربند (الباب). في هذه المناطق بالذات يعيش جنس جبلي معروف باسم قيتاق (خيداخ) يتكلمون لغة تنتمي إلى عائلة دركين (دركوا) التي تنقسم إلى اللهجات التالية أقوشا، قيتاخ، كوباجى.

يشير اسم خيداق (قيتاق) وصوته إلى أصل ألطائي (خزري)، وقد التقى الرحالة العثماني أوليا جلبي عام ١٦٤٧م بالقيتاق الذين كانوا يعيشون بين شكيّ وشروان. ويقول في كتابه (سياحتنامه) انهم كانوا يتكلمون بالمغولية، ويشير مينورسكي إلى ان أوليا جلبي دوّن هذه التسمية بصيغة موغانلو (وهي منطقة بقرب زكاتالي). وموغانلو في الواقع هم الترك الأذربيجان المحليون الذين جاءوا من منطقة موغان (موقان)[٧٩]. وقد حدد ياقوت الحموي موقع موقان بقوله:

> «وأهله يسمونه موغان بالغين المعجمة، وهي أعجمية، ويجوز ان يجعل جمعاً للموق وهو الحمق: ولاية فيها قرى ومروج كثيرة تحتلها التركمان للرعي فأكثر أهلها منهم وهي بأذربيجان يمر القاصد من أردبيل إلى تبريز في الجبال»[٨٠].

ومع عدم معرفة ياقوت معنى التسمية التي هي صحيح صيغة جمع لـ(موغ، موق) لكن الكلمة تعني (رجل دين زرادشتي) أو ما يقابل الإمام عند المسلمين والقس لدى المسيحيين. وقد زرنا هذه المنطقة

---

(٧٩) مينورسكي، **فصول من تأريخ الباب وشروان**، ص ٩٢ النسخة الانكليزية.

(٨٠) ياقوت، **معجم البلدان**، مادة ـ موقان.

شخصياً يوم ١٩٩١/٦/١م مغادرين تبريز نحو أهر مارني من وني يار وهيريس ولكن الذي جلب نظرنا ان أراضيها مالحة وحتى ان الملح يغطي بعض جبالها. وعلى كل حال فقد ذكر بارثولد أن الخيداق حصلوا على اسمهم من طبقة أجنبية سكنت بينهم (ويحتمل ان يكونوا من الآفار)(٨١). وقد حدثت هذه الظاهرة قبل مجيء المغول إلى هذه المناطق بمدة قرن على الأقل.

أما المسعودي فقد أشار إليهم باسم (الصناريه) وأرجع أصل زعمائهم إلى قحطان وذلك لتقارب هذا الاسم مع قيتاق الذين كانوا على نظام أحسن ممن يجاورونهم من سكان تبرسران، وكان لهم علاقات جيدة مع الخزر.

ترجع أخبار حكام هؤلاء في العصر الاسلامي إلى عام ٣٠٤هـ/ ٩١٥م. وفي عام ٤٥٧هـ/١٠٦٤م أرسل أمير الخيداق غلمانه لدعم صهره الأمير منصور حاكم الباب (دربند)، وقد تزوج شقيق هذا الأمير المدعو لشكري من فتاة خيداقية، وتربى ابنه عبدالملك في بيت بيروز بن سكبان الخيداقي، وقد دعمه الخيداق عام ٤٦٠هـ/١٠٦٨م، وتلقب هؤلاء الأمراء بلقب (أوتسمى) وكانوا يقيمون في قلعة قريش (أوركموزدا) وفي غيش ومجالس (على بوغان) وكذلك في باشلي. ويحتمل ان مدينة (مجالس) قد بنيت من قبل سلطان أحمد الذي توفي في ٩٩٦هـ/١٥٨٨م وفي أرض خالية كان الناس يتجمعون فيها أحياناً(٨٢). وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كان (أوتسمى) يعيشون في باشلي، ثم استمرت اقامة هؤلاء الحكام في المناطق العالية فيما بين جنوب وشمال شرق المنطقة التي تحتوي على أراض منخفضة.

ج ـ كَرَخ: كان الكرخ قوماً مجاوراً لمدينة الباب، وقد دوّن البلدانيون المسلمون هذا الاسم بصيغة كرج. وقال المسعودي في

(٨١) W. Barthold, **Ethnograf. Obzreniye**, (1910), Vol. 83-4, PP. 1-9.

(٨٢) هذا ما يعتقده باكى خانوف. أنظر: مينورسكي، المصدر نفسه، ص ٩٤.

حينه (عام ٣٢٢هـ/٩٣٣م) ان للكرج ملكاً مسلماً يلقب برزبان (مرزبان؟) وتقع دار ملكه غرب خيداق على طريق السرير. وقد وصفهم منفصلين عن زير هكران (كوباجي) والغميق. ومن المعروف ان الآفار الذين عاشوا في أواسط طريق آفار - قوى صو (كوى صو) سموا بـ(كَرَخ)، ولكن هؤلاء وان عاشوا في قلب أراضي الآفار وعلى مسافة قريبة من مدينة الباب إلاّ انهم ليسوا بالكرخ الذين نحن بصدد أخبارهم. والحقيقة إن الكرخ هم أولئك الذين عاشوا في أرض تقع على بعد ٦٠ كيلومتراً من الباب (دربند) واحتلوا موقعاً مهماً على طريق مركز داغستان (حوض قوى صو) - خيداق ودربند، وقد اتخذ حكامهم لقب مرزبان عبر التأريخ.

تشير المصادر إلى ان الكرخ تحولوا إلى الاسلام عام ٣٨٥هـ/٩٩٥م من قبل أمير الباب. وفي عام ٤٢٤هـ/١٠٣٢م كانت مناطقهم تقع على طريق محور تحركات اللان والروس أثناء حملاتهم على مدينة الباب من جهة الشمال الغربي. ومن بعد هذا التأريخ لا نسمع عن لقب مرزبان في هذه المناطق، حيث يكون هيثم بن ميمون البالي (البابي؟) هو حاكم هؤلاء[٨٣].

د ـ **الغميق**: الغميق جماعة جبلية ذات لغة قفقاسية، لا علاقة لهم مع الترك القوميق الذين يعيشون على مقربة من بحر قزوين. وكان لهم بعض الدور في تأريخ المنطقة وخاصة في العصر الاسلامي. ففي عام ٤٥٦هـ/١٠٦٤م وبعد كفاح طويل سيطروا على الوضع السياسي في مدينة الباب وأخذوا الخراج من سكانها.

يسمى الغميق الآن غازي قوموخ (قازي قوموخ) ويعيشون في وادي فرع نهر (قوى صو) الذي يسمى هنا بنفس الاسم. ويجاورهم في الشرق أقوشا وفي الغرب الآفار. ويسمي قوموخ أنفسهم باللغة المحلية

(٨٣) مينورسكي، المصدر نفسه، ص ٩٦.

(للك)، كما سمتهم المصادر العربية الاسلامية بالسرير[٨٤] وكانوا مسيحيين[٨٥]. وقد حاربهم الجرّاح قبل وصوله إلى شكى[٨٦].

هـ ـ السرير (الآفار): يعتبر أهل السرير الذين ذكرتهم المصادر الاسلامية هم الآفار الجبليين الذين يحتلون الوديان الواقعة في أواسط مجرى نهر (قوى صو). ويقول ياقوت:

«إن مملكة السرير هي واسعة بين اللان وباب الأبواب وليس إليها إلاّ مسلكان، مسلك إلى بلاد الخزر ومسلك إلى بلاد أرمينية».

وقد قال الاصطخري قبل ياقوت ان:

«السرير اسم المملكة لا اسم المدينة، وأهل السرير نصارى، ويقال ان هذا السرير كان لبعض ملوك الفرس وهو سرير من ذهب»[٨٧].

وقد حكم هؤلاء أقواماً أخرى محلية في المنطقة، ويعتبرون من الوحدات التي تنتمي إلى مجموعة البرابرة التي غزت أوروبا، وكانوا يشكلون اتحادات قبلية كبيرة باسم (آفار) وقد لعبت العشائر ذات اللغات التركية الدور البارز بينهم.

جاء اسم الآفار بصيغة (أوبرام) في الكتابات الروسية القديمة[٨٨]، أما بصورة عامة فقد وردت صيغة (آفار) لأول مرة في التأريخ ضمن المراسلات لسفارة البان عند الهون (أواسط القرن الخامس الميلادي)، ويشهد على ذلك كل من تيوفيلاكت سيموكاتيس وميناندر

(٨٤) انظر خاصة: ابن رستة.

(٨٥) انظر: المسعودي.

(٨٦) انظر: البلاذري.

(٨٧) ياقوت، **معجم البلدان**، مادة ـ السرير ـ.

(٨٨) انظر: **دائرة المعارف التأريخية السوفياتية**. الجزء الأول، مادة آفار (موسكو، ١٩٦١)، ص ٦٢. وكذلك انظر بالروسية المصدر التالي:
Nicolskaya Z.A., Avartsi, - V KN. «Narodiy Dagestana» (M,1955).

وغيرهما[٨٩]. ويتوضح من أقوال هؤلاء بأن الآفار كانوا على ارتباط مع العناصر التركية جنوب جبال الأورال وخاصة الأغور Oghur، ثم اندمجوا بالهون ويعتقد ان إحدى القبائل الأوغورية كانت تحمل اسم اوار Uar واشتق منه فيما بعد اسم الآفار[٩٠]. ومن الجدير بالذكر هنا ان اصطلاح (آواره) الكردية يعني التشرد أو الهجرة، وله صلة بطبيعة حياة هؤلاء، ومن المحتمل ان قسماً منهم كان ينطق بلغة ايرانية كاللان، واندمج بالعناصر الناطقة بالتركية فيما بعد ثم اختلط بهم الأغور، واشتهروا ب(آوار) في وقت متأخر.

وجد الآفار في أواسط القرن السادس الميلادي في السهول الغربية لبحر قزوين وفتحوا سفارة لهم في الامبراطورية البيزنطية عام ٥٥٨م، وقد اقترحوا توحيد قواهم مع بيزنطة، واستغلتهم الآخيرة في حربها ضد القبائل (السافيرامية) على البحر الأسود. وبعد احتلالهم لبعض أراضي الآخرين توجهوا بحملات نحو أراضي شعوب أواسط أوروبا للسلب والنهب. وبالاتحاد مع اللمبارديين استطاعوا القضاء على الكيبيد (الجيبيد)، وقد احتكوا أيضاً بالسلاف، ثم شكلوا الخاقانات الآفارية في النصف الثاني من القرن السادس على غرار امبراطورية البرابرة. وتزعمهم القائد (الخان بيان) وكان مركز حكمه (بانونيا) في بلاد الكيبيد الأصلية. ومن هنا كانوا يهاجمون السلاف والفرانك واللمبارد (اللنكوبارد) والجيورجيين وغيرهم. وقد توسعت حدودهم في هذه الآونة، ووصلت إلى قفقاسيا في الجنوب ومن نهر الدون إلى الأدرياتيك في الغرب لمدة غير طويلة، ولكنهم لم يستطيعوا التحكم

---

(٨٩) ثيوفيلاكتوس سيموكاتيس، مؤرخ بيزنطي من القرن السابع الميلادي، مستشار الامبراطور هرقل ٦١٠م - ٦٤١م. ومن كتبه **(التأريخ أو تأريخ العالم)** الذي اعتمد في كتاباته على مؤرخين سابقين له من اليونان والرومان مثل هيرودوت وديودورس الصقلي وغيرهما.

(٩٠) حول هذا الموضوع انظر: **دائرة المعارف الاسلامية**، المجلد الرابع (ليدن، ١٩٧٨)، ص ١١٧٢.

في هذه البلاد الواسعة في وقت كانوا منهمكين فيه بأمور السلب والنهب لأن اقتصادهم كان يعتمد على البداوة وحياة الترحال.

دمّر هؤلاء مدناً عديدة على ساحل البحر الأسود الغربي وعلى نهر الدانوب وقاموا بغزو شبه جزيرة البلقان في نهاية القرن السادس(٩١)، وقد انهارت قواهم عام ٦٢٦م أمام القسطنطينية. وبعد ان حاربهم السلاف والفرنك والبلغار، وبالاضافة إلى الخلافات التي ظهرت بين زعمائهم، احتل البلغار مراكزهم في بانونيا عام ٦٨٠م أثناء قيام المملكة البلغارية على الدانوب. واندمجوا في النهاية بسكان سواحل البحر الأسود ونهر الدانوب بعد القرن الثامن الميلادي.

أما آفاريو ققفقاسيا فهم لا ينتمون إلى العالم الهندو - اوروبي من ناحية اللغة بالتأكيد ويقول كيريل كراهام انهم مسلمون ويستعملون ألفاظاً عربية وتركية وفارسية عديدة، ويطلق الروس والفرس عليهم تسمية لازك - يان Lasghian. بزيادة ياء النسبة وعلامة الجمع (ان أو يان) الايرانية، وتقابلها بالعربية (اللاظ) حالياً(٩٢)، وقد قدر عددهم عام ١٩٥٩ بـ(٢٦٣٣٠٠ نسمة) وهم يطلقون على انفسهم اسم (معارولال) ويعني الجبلي. أما تسمية آفار فيطلقها عليهم الآن جيرانهم من الكوميك والدركين (قوميق ودركوا) وغيرهم، ومن خلال هؤلاء استقر اسم آفار في اللغة الروسية. ويعتبر (بولماتس) ان للغتهم دوراً قليلاً عند سكان مرتفعات داغستان.

كان لاصطلاح - صاحب السرير - في المؤلفات العربية الاسلامية جذور ساسانية، وقد ذكر البلاذري هذا الاصطلاح بصيغة فهرارزان شاه(٩٣) ويرجع زمنه إلى عهد أنوشروان، وكانوا يعنون به اللكز، والزاء لاحقة ايرانية. وفي كتاب، ظفرنامه(٩٤)، الذي ألف في القرن

---

(٩١) N. Todorow; L. Dinev; L. Melnishki, **Bulgaria,** Historical and Geographical Outline, (Sofia, 1968) p. 14.

(٩٢) Cyril Graham., Ibid..

(٩٣) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ١٩٦.

(٩٤) **ظفرنامة**، الباب الأول، ص ٧٧٢.

الخامس عشر(٩٥)، جاء اسم أهل السرير بصيغة أوهار. وفي دربندنامه(٩٦) ورد اسم الآفار بصيغة اهران (وربما فهران) ونعتقد ان اسم مدينة (أهر) في اذربيجان الايرانية شمالي تبريز له علاقة بهؤلاء. وعلى كل حال فإن أصل اللفظة (أفار - أوار) يمكن ان يشاهد عند ابن رسته(٩٧) عندما يتحدث عن ملك السرير المدعو أوار، ولكنه يعني به الحاكم وليس القوم.

لقد انحدرت الأسرة الحاكمة للآفار من أصل غير آفاري وكانوا قد اختلطوا في القرن الخامس الميلادي مع غزاة الألطاي، لذا سمي أفراد هذه الأسرة بـ(خاقان الجبل) اللقب الذي أعطاه كسرى أنوشروان لحكام السرير(٩٨). وذكر بجانب هذا اللقب ألقاب القادة بصيغة طرخان وبطريق وهي تسميات ألطائية، وتدل هذه الظاهرة على التقارب بين هؤلاء والخزر، وليس من الغريب ان يكون حكام وديان (قوى صو) من أصل ألطائي.

كان الآفار نصارى حسب أقوال المسعودي وابن رسته، وقد تم زواج بين أهلي ملك الآلان وصاحب السرير لغرض سياسي وقد صادق هؤلاء الخزر كذلك في بداية القرن العاشر الميلادي (٣٠٠هـ/٩١٢م) وشاركوا شعوب قفقاسيا في تطورهم التأريخي.

و - الخزر: شعب لا يعرف أصله على التحقيق، وان كان هناك دراسات حديثة تربطهم بالاتحادات القبلية التركية القديمة، وقد عاشوا في جنوب روسيا في القرون الميلادية الأولى إلا انهم نشطوا سياسياً في بداية العصر الاسلامي(٩٩).

إن قلة المعلومات حول تأريخ الخزر تزيد من قيمة أي أثر يتعلق بهذا

---

(٩٥) مينورسكي، المصدر نفسه.

(٩٦) دربندنامة، ص ٩٤، ٢٠٠.

(٩٧) ابن رستة، ص ١٤٧.

(٩٨) البلاذري، المصدر نفسه.

(٩٩) راجع أحدث دراسة حول الخزر في: **دائرة المعارف الاسلامية** (ليدن، ١٩٧٨).

الشعب. ولكن من خلال نظامهم السياسي والألقاب الشريفة لديهم، يعتقد المرء أنهم صنف من الأتراك الذين اشتهروا بـ(كوك ـ تورك) وفي اللغة الصينية بـ(تئو ـ جويه). وكان هؤلاء يتمركزون على السواحل الشمالية الغربية لبحر قزوين ويواصلون غاراتهم إلى الجنوب. على ان البلاد القوقازية التي استولى عليها الخزر لم يستعدها الفرس وإنما خرجت من أيدي الخزر بالاحتلال العربي. والرواية التي ذكرها البلاذري[١٠٠] من ان كعولك (مدينة قَبَلَه) عاصمة أرّان القديمة كانت تسمى أيضاً خزران رواية لها أيضاً شأنها. وترجع أخبار سلب الخزر لبلاد القوقاز (القفقاس) إلى مانندیان نقلاً عن موسى كالانكاتواجى (كاكانكاتفاتسي).

كان الخزر أثناء الفتوحات الاسلامية أكبر وأعظم قوة في جنوب روسيا وشرق ما وراء القفقاس. وقد واجه العرب صعوبات جمة في محاولاتهم لفتح ثغور في حدود قوة الخزر حتى أواخر الدولة الأموية. وقد وجّه العباسيون هممهم إلى محاور أخرى لأن الخزر غدوا يهددون بغزواتهم المناطق الشمالية لايران منذ عام ١٨٢هـ/٧٩٩م[١٠١]. وتأريخ مدينة الباب يشير إلى ان الخزر كانوا في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين يكونون قوة كبيرة وخاصة عندما هاجموا الباب (دربند) عام ٢٨٨هـ/٩٠١م تحت قيادة ملك عرف بـ(ابن بلجان). وبالرغم من ان مروان كان قد أسكن فريقاً من الخزر فيما بين نهر سمّور (سامور) ومدينة شابران لكن الحكم العربي الاسلامي لم تتوطد أركانه على نهر الفولغا أو حتى في داغستان، بل إن سلطان الخزر قد امتد في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) حتى كاد يبلغ أسوار دربند (الباب) ولقد أثبتت مملكة الخزر أنها دولة عظيمة تقف في وجه الامبراطورية البيزنطية والخلافة الاسلامية، وكان المركز القديم للخزر مدينة (سمندر) الواقعة على الزاوية الشمالية الشرقية من

(١٠٠) البلاذري، طبعة دي كويه، انظر ص ١٩٤.

(١٠١) حول هذه الأخبار، أنظر الطبري، **الكتاب الثالث**، ص ٦٤٨.

القوقاز لكنه تحول في العصر الاسلامي (نحو ١٠٤هـ/٧٢٣م) إلى دلتا نهر فولغا، لذا أصبحت المناطق الخزرية على ساحل بحر قزوين في منطقة داغستان تحت النفوذ العربي الاسلامي، بالرغم من هجماتهم على الباب وشروان جنباً إلى جنب مع أهل السرير، وبالأخص حملات عامي ٩٠٩م و٩١٢م[١٠٢].

لقد ظهر الاتحاد القبلي للخزر في التأريخ خلال القرن السادس الميلادي نتيجة لسلسلة من الهجرات للقبائل الرعوية من مواطنها في أواسط آسيا. ومع انهيار دولة الهون في أوروبا عام ٤٥٤م بدأت عناصر رعوية من قبيلة (أتيلا) بالتراجع والانسحاب نحو سهول الإستبس في شمال البحر الأسود، وفي حدود عام ٤٦٣م التقوا بقبائل أغور الذين كانوا قد وصلوا إلى هنا من غرب سيبيريا. وفي القرن السادس وصل (السايير) إلى السهول الواقعة في شمال قفقاسيا وحوض نهر الفولغا. أما سيطرة (جوان ـ جوان) وهم من الآفار فقد انتهت في منغوليا في هذا الوقت بالذات من قبل الترك (كوك تورك، توركوت) عام ٥٥٢م، وتوجه قسم من الآفار (ولعلهم من الهياطلة) نحو الغرب ودخلوا منطقة سهول نهر الفولغا بعد عام ٥٥٧م وأخضعوا قسماً من قبائل الأغور[١٠٣]، وفي خضم هذه الأحداث ظهر اسم الخزر كقوة سياسية لا يستهان بها، ثم ذكروا في المدونات الأرمنية (موسى الخوريني وغيره). كما سجل أخبارهم كل من البلاذري واليعقوبي وياقوت الحموي وغيرهم. ولعل أشهر من كتب عن حالة أقوام تلك المناطق هو أحمد بن فضلان رسول الخليفة المقتدر بالله إلى الصقالبة الذي يحدد يوم رحيله من بغداد بقوله:

«فرحلنا من مدينة السلم يوم الخميس لإحدى عشر ليلة خلت من صفر سنة تسع وثلثماية. فأقمنا بالنهروان يوماً واحداً ورحلنا مجدّين حتى وافينا الدسكرة فأقمنا بها ثلثة أيام. ثم رحلنا قاصدين لا نلوي على شيء حتى صرنا إلى حلوان فأقمنا

(١٠٢) مينورسكي، المصدر نفسه، ص ١٠٥.

(١٠٣) **دائرة المعارف الاسلامية**، مادة الخزر (ليدن، ١٩٧٨).

بها يومين وسرنا منها إلى قرميسين فأقمنا بها يومين. ثم رحلنا فسرنا حتى وصلنا إلى همدان فأقمنا بها ثلثة أيام...».

ويستمر ابن فضلان في توضيح خط سيره باتجاه الري وسمنان والدامغان وآمل. ثم عبر نهر جيحون إلى آفربر ثم إلى بيكند وبخارا[١٠٤]. وهكذا لا يبقى شك من الاتجاه الشرقي لرحلة ابن فضلان بالنسبة لبحر قزوين ووصوله إلى بلاد البلغار الذين عاشوا على نهر الفولغا (إتل) وتجول بين الصقالبة (السلاف) وبالأخص الروس وتطرق إلى أحوال الخزر وقوتهم قائلاً ان:

«على ملك الصقالبة ضريبة يؤديها إلى ملك الخزر من كل بيت في مملكته جلد سمور وإذا قدمت السفينة من بلد الخزر إلى بلد الصقالبة ركب الملك فأحصى ما فيها وأخذ من جميع ذلك العشر. وإذا قدم الروس أو غيرهم من سائر الأجناس برقيق فللملك ان يختار من كل عشرة أرؤس رأساً. وابن ملك الصقالبة رهينة عند ملك الخزر. وقد كان اتصل بملك الخزر عن ابنة ملك الصقالبة ان لها جمال فوجه يخطبها فاحتج عليه وردّه فبعث وأخذها غصباً وهو يهودي وهي مسلمة فماتت عنده فوجه يطلب بنتاً له أخرى فساعة اتصل ذلك بملك الصقالبة بادر فزوّجها لملك أسكل وهو من تحت يده خيفة أن يغتصبه إياها كما فعل بأختها. وإنما دعا ملك الصقالبة ان يكاتب السلطان ويسأله ان يبني له حصناً خوفاً من ملك الخزر»[١٠٥].

---

(١٠٤) انظر: **رحلة ابن فضلان.** اعتنى باستنساخها عن نسخة مكتبة المشهد الرضوي بخراسان وقابلها مع مقتطفات ياقوت الحموي وغيره واهتم بطبعها زكي وليدي طوغان، من منشورات مجلة أنباء بلاد الشرق، الجزء الرابع والعشرون (لايبزك، ١٩٣٩)، ص ٤.

Ibn Fadlan's Reisebericht Von A. Zaki Validi Togan. Abhandlungen Für Die Kunde des Morgenlandes, Band XXIV (Leipzig, 1939).

(١٠٥) المصدر نفسه. وللمزيد من هذه المعلومات انظر بحثنا المنشور الذي قدم في الندوة العلمية الأولى لكلية التربية الأولى بجامعة بغداد: «بغداد في التأريخ» المنعقدة في ٥ - ٧ أيار ١٩٩٠ بعنوان: «مع رحلة ابن فضلان إلى مدن البلغار والتوران تشع بغداد معالم حضارتها إلى مختلف البلدان».

ويتبين ان ملوك الخزر ظلوا يدينون باليهودية حتى في العصر الاسلامي وان ادعى موسى كالانكاتواتسي المؤرخ الأرمني[١٠٦] عن دخول هؤلاء في النصرانية على يد الأسقف الألباني اسرائيل في عهد الجاثليق الأرمني سهاك الثالث (٦٧٧م - ٧٠٣م) وقد وصل إلينا في هذا المقام بعض المعلومات عن تصورات الخزر الوثنية وعن عبادة إلههم الأكبر تنكرى خان[١٠٧].

أما لغة الخزر فليس هناك دراسات تخصها ولكن على الأغلب ان لغة العامة من الخزر (مع البلغارية القديمة) كانت من تلك المجموعة التركية التي ظهرت في الكتابات البلغارية القديمة وتلك التي تسمى الآن جوفاش ولكن الاصطخري يخبرنا بأن:

«الخزر لا يشبهون الأتراك وهم سود الشعر، وهم صنفان: صنف يسمى قرا خزر، وهم سمر يضربون إلى السواد كأنهم صنف من الهند، وصنف بيض ظاهر الحسن والجمال»[١٠٨].

أما دولة الخزر فكانت متعددة الأقوام، ولم تحفظ لغة كتابية للخزر، واعتماداً إلى الفهرست[١٠٩] فإن الخزر كتبوا بالعبرية. ويقول فخرالدين مبارك شاه ٦٠٣هـ/١٢٠٦م[١١٠] ان الخزر استعملوا ألفباء تنسب إلى الروس وتحوي ٢٢ حرفاً تكتب منفصلة من اليسار إلى اليمين. يقول بارثولد ان مصدر فخرالدين غير معروف واقتبس التقرير من البعثة التبشيرية إلى الخزر برئاسة الكاهن السلافي كيريل

(١٠٦) المصدر نفسه، ص ٣٠ وما بعدها.

(١٠٧) انظر المقال الخاص عن الخزر لبارثولد في: **دائرة المعارف الاسلامية**. والمعروف ان الإله (تنكرى خان) عند الخزر هو تنكرى نفسه أو (بيرتنكرى) الذي أورده ابن فضلان في كتابه كإله يعبده الترك جميعاً، أنظر: ابن فضلان، المصدر نفسه.

(١٠٨) الاصطخري، المصدر نفسه، ص ١٣١.

(١٠٩) **الفهرست**، تحقيق فلوكل، ص ٢٠.

(١١٠) المصدر نفسه، تحقيق روس، ص ٤٦.

قسطنطين (القرن التاسع) ويعتقد ان الكتابة اليونانية دارت بين الخزر حتى بعد قبولهم اليهودية(١١١).

لم تذكر المصادر الاسلامية شيئاً عن نهاية دولة الخزر، ولقد أشار ابن الاثير خطأ (والخطأ من الناسخ على الأغلب) ان فضلون الكردي والي وأمير كنجه أغار على الخزر (والصحيح هو الجرز أي الجيورجيون) في عام ٤٢١هـ/١٠٣٠م وان الخزر باغتوه عند رجوعه وقتلوه. والمقصود بهذا هو فضل بن محمد الشدادي (راجع الفصل الخامس من كتابنا هذا)(١١٢)، على ان الاغارة على الخزر من ناحية كنجه كانت أمراً بعيد الإحتمال لأسباب جغرافية والأرجح ان الخزر، كما يؤكد ذلك بارثولد أيضاً، قد ورد ذكرهم في هذا الموضع خطأ(١١٣).

و ـ **الطاليش (الطيلسان)**: هي ناحية وشعب في شمال ولاية كيلان وأصبحت تابعة لروسيا منذ صلح كلستان (١٢ ـ ٢٤ تشرين الأول/ اكتوبر ١٨١٣م) ويسمى القوم الساكنون هناك بـ (تالش أو تالشان) محلياً والطيلسان هي الصيغة العربية لاسم القوم، كما أطلق على الناحية نفسها في تأريخ الفتوح الاسلامية (البلاذري، الطبري) الطيلسان.

يقول مينورسكي ان هذه الكلمة تعني القمر الذي يضيء نصفه(١١٤). وهناك قرية بهذا الاسم بين سلطانية وأرديبل، وقد توسعت الآن فغدت مدينة. والروس يطلقون على السكان الآن

---

(١١١) انظر بالروسية: **W. Barthold., O Pismennosti U Khazar, Kulture... Vostoka** (Baku, 1928), IV, 17.

(١١٢) ابن الاثير، **الكامل في التأريخ**، المجلد التاسع (بيروت، ١٩٦٦)، ص ٤٠٩. وانظر آراء سخاو في:
E. Sachau., **Ein Nerzeichnis Muhammedan Ischer Dynastien. Abhandl. Der Preuss Akad. Philol,** (Hist. Kl., 1923) D. Wissensch.

(١١٣) **دائرة المعارف الاسلامية**، مادة الخزر.

(١١٤) كتاب: **حدود العالم**، تحقيق مينورسكي، ص ٣٩١.

تالشى أو تالشنكي ويقيمون إلى الشمال حتى سهوب موغان ويعيشون حياة البداوة، وإلى الجنوب موغلين قرابة ٣٠ ميلاً جنوب الحدود السوفياتية وبلغ عددهم في أملاك روسيا ٧٥٨٢٤ نسمة حسب تعداد ١٩٢٢م[١١٥]. وعلى العموم فإن هؤلاء يعيشون الآن في الزاوية الجنوبية الغربية من سواحل بحر قزوين وهي مناطق جبلية تغطيها غابات كثيفة وتقدر مساحتها بـ١٢ ألف هكتار تغطيها أشجار البلوط والعفص والجنار والجوز وغيرها[١١٦]. وتمتاز هذه المنطقة بمناظرها الخلابة إذ وهبتها الطبيعة كل جمالها.

يسكن التالش عادة في بيوت خشبية متناثرة داخل الغابات وعلى هيئة أهرام مغطاة بالقصب وملطة من الداخل بالطين. لا تشتمل على شبابيك ويدخلها الضوء من خلال الأبواب فقط. وقد امتهن قسم من هؤلاء الرعي وكانوا نصف رحل يرتحلون إلى الجبال صيفاً. ويمكن التعرف على الفنون التالشية من خلال أعمالهم في نسج البسط وما تحويها من زخارف ورسوم. هذا بجانب التفنن في الأعمال الخشبية.

يدين التالش بالاسلام وأغلبهم من الشيعة دخلتهم زمن الصفويين أما التالش الساكنون في منطقة أردبيل فهم من السنّة وبالأخص في مدينة (آستارا) على الحدود السوفياتية و(بندر بهلوى) على بحر قزوين و(هشت يه ر) مركز قضاء تالش في ايران، وهم على الأغلب من أتباع الطريقة النقشبندية التي تدير شؤونها أسرة شيخ علاء الدين بياره في كردستان/العراق.

لا يزال أغلب التالش يحافظون على بعض التقاليد التي كانت لديهم

---

(١١٥) دائرة المعارف الاسلامية، مادة ـ الطيلسان.

(١١٦) Narodi Peredney Azii (M. 1957), Str. 237 i sl.
مجلة شعوب الشرق الأدنى (موسكو: منشورات أكاديمية العلوم السوفياتية، ١٩٥٧)، ص ٢٣٧ وما بعدها.

قبل الاسلام منها تقديس بعض الأشجار والأحجار، ولكي يحفظوا أنفسهم من الأرواح الشريرة يستعملون مختلف أنواع الحروز والتمائم والطلاسم التي تقيهم وتحافظ على أبنائهم وقطعانهم وبيوتهم ومنتجاتهم وحتى أسلحتهم. ولتحضير هذه الطلاسم، يقوم السحرة وفتاحو الفأل بعلاج الناس والحيوانات بأدوية شعبية متنوعة وتستحضر من النباتات والمياه المعدنية(١١٧).

لم يتطرق كتاب الآويستا، وهو أقدم مصدر ديني زرادشتي مدون في إيران، إلى الأقوام التي سكنت جنوب وغرب بحر قزوين ومنهم الطالش، لكن كتّاب اليونان والرومان تطرقوا إلى سكان هذه المناطق وصنفوهم في ثلاثة مجاميع وهي: (الكادوسيون والآمارديون والكيرتيون Kadusioi, Amardioi, Kyrtioi) وكانت المقاطعات الواقعة بين كيل وأنزالي الحالية هي بلاد الكادوسيين وهي الآن نواحي طالش الحالية في ايران والاتحاد السوفياتي. أما المقاطعات الواقعة بين كيل وتبور فكانت للآمارد التي عرفت فيما بعد بيلاد الكاسبيين. ويعتقد ان الكيليين والكادوسيين مجموعتان تنتميان إلى عرق واحد، وقد انحدر منه الطالش وعرفوا في المصادر الأرمنية التي ترجع إلى القرون الوسطى باسم الكاتيش كقبائل مستقلة تعيش في الجبال الجنوبية لنهر آراس بين الكيل والكاسبيين. ولا شك ان الكاتيش هم الكادوس في المؤلفات اليونانية، وتحول الاسم فيما بعد إلى تالوش أو تاليش، يقول بوليبيوس ان سكان البانيا لم يكونوا من الآذريين فقط بل عاش بين الآذريين والألبان قوم باسم كادوسى. ويحدد هذا مواطنهم في مناطق آستارا وطوالش ولنكران السوفياتي سابقاً. وقد عرف الكادوسيون والمارديون والكيرتيون كأقوام مستقلة ومحاربة استغلتهم الامبراطوريات في حروبها وخاصة الامبراطوريتين

(١١٧) المصدر نفسه، ص ٢٤٠.

لم تجر دراسات كافية حول اللغة التاليشية، ولعل أهمها هي ما أجراها ميللر بالروسية:

B.V. Miller., **Talishskiy Yazik** (M. 1953).

الرومانية والسلوقية(١١٨). وعندما يتكلم الجغرافي اليوناني عن (ماد آتورياتي) أي آذربيجان يورد اسم كرت Curtii والأمارد Amardi والتبور Tapuri والكادوس Cadusii. ويقول البروفيسور أحمد كسروي تبريزي ان الكرت يعني الكرد واللر والبختياريين اليوم. أما التبور فهم سكان المناطق الجبلية لشمال أذربيجان حسب اعتقاد سترابو ويعيشون كذلك في الجبال الشمالية لكركان (جرجان) وخراسان وقد حدد سترابو أذربيجان من أستارا إلى كركان. وعلى كل حال فإن (تابوران) كانت تشمل قبل سترابو منطقة مازندران وكانت تعرف بـ(تبورستان) أو طبرستان في وقت متأخر(١١٩).

أما الآمارد أو (مارد = مرد) الذين ذكروا أثناء حملة الاسكندر المقدوني على ايران، فكانوا من سكان مازندران الحالية، وقد انتقل قسم منهم إلى منطقة ماردين في كردستان/تركيا وسميت المدينة باسمهم.

ومع ما جاء فإن بلوتارخوس يشير إلى الكادوس في أيام أردشير الثاني الإخميني حيث قام بحملة على بلادهم وقاوموه بجدارة، وكانت هذه البلاد تقع في الجبال التي على شمال شرقي أذربيجان التي تسمى الآن (تالشان). ولم يكن هناك في التأريخ أية هجرة لهؤلاء إلى منطقة أخرى ولا غير هؤلاء قد احتلوا بلادهم، فمع مطلع العصر الاسلامي نرى الاسم بصيغة (الطيلسان) في المصادر العربية. لذلك يرى أحمد كسروي ان الطالش الحاليين ما هم إلاّ أحفاد الكادوسيين

---

(١١٨) حول علاقة التاليش بالكادوسيين انظر كلاً من:
محمد جواد مشكور، **ايران در عهد باستان**، ص ٢٤٨.
أحمد كسروي تبريزي، **كاروند كسروي**، به كوشش يحيى ذكاء (تهران، ٢٥٣٦)، ص ٢٨٣ وما بعدها.
ى. م. دياكونوف، **تأريخ الميديين** (موسكو، ١٩٥٦)، ص ٣٨١ بالروسية. أما عن الكيرتيين فأنظر الفصل الرابع، «دور الكيرت في التأريخ الكردي» من كتابنا: **دراسات كردية في بلاد سوبارتو** (بغداد، ١٩٨٤).

(١١٩) أحمد كسروي، المصدر نفسه.

القدماء وقد اشتق الاسم المعاصر من الاسم القديم (كادوش) أو (كادش) الذي صار في العربية (قادس) ومنه صاغوا اسم (القادسية)[١٢٠].

أما من ناحية اللغة الطالشية فهي من بقايا اللهجات الميدية القديمة التي لها صلة قوية بالتاتية والكردية. وقد التقينا في بغداد عام ١٩٨٦م بإحدى التالشيات وهي الآنسة ايران قوربان من قرية (خه رجه كيل) ببلاد الطالش ودرسنا بعض جوانب لغتها ومقارنتها بالكردية. وقالت ان لغتها تتفرع إلى لهجات محلية عديدة منها كلاسروجى وكاركه روجى ولاجيش وناجى وغيرها. ومع ذلك فكلها تعتبر أقرب اللغات إلى الكردية، وتكوّن مع لغات التات والكيلان والمازندرانيين والسمنانيين البقية الباقية من لغة القبائل الميدية التي كانت تختلف عن لغة الافيستا التي دوّنت بها الكاثات. وعندما ذهبنا إلى إيران زرنا بعض العوائل الطالشية وتحدثنا مع السيدة مريم اسكندر زاده حول لغتها فجمعنا عن طريقها معلومات قيمة عن الطالشية سوف ننشرها في دراسات أخرى[١٢١].

---

(١٢٠) المصدر نفسه.

(١٢١) تكاد تتشابه الضمائر المتصلة والمنفصلة في اللغتين الكردية والتاليشية كما ان هناك تشابه في الأعداد وتشاهد فيهما كثير من المفردات ذات الأصول المشتركة وإذا كانت اللغتان من بقايا اللهجات الميدية فإن الفرثية أثرت على التاليشية أكثر من الكردية، والتاتية أقرب إليها من الكردية، وإذا كان هؤلاء على سبيل الفرضية من سكان كردستان إلاّ أن لغاتهم لهجات كردية.

اللان (الآلان Alan)

لعب اللان دوراً سياسياً وأثنوغرافياً وعرقياً بارزاً في جهات متعددة من العالم. ففي آسيا كان هؤلاء منتشرين في السهوب التي تقع شمال بحر قزوين ويرتحلون مع قطعانهم في ما بين المناطق الجنوبية لبلاد روسيا في الغرب وأواسط قارة آسيا، ولحد الصين أحياناً، شرقاً، ووصفهم أميانوس مركلينوس ٣٣٠م ـ ٤٠٠ م كقوم لا يعرفون الزراعة والعبودية وعاشوا في عربات تجرها خيول امتازوا بها ولم يستقروا في المدن بجانب المعابد.

أما في الشرق فقد تعرف المسلمون بهؤلاء منذ الفتح الاسلامي لبلاد القبق (قفقاسيا). فتحدث المسعودي عن أصلهم قائلاً ان الناس تنازعوا:

«في أنساب أهل الصين وبدئهم، فذكر كثير منهم ان ولد عابور بن سوبيل بن يافث بن نوح، لما قسم فالغ بن عامر ابن ارفخشذ بن سام بن نوح الأرض بين ولد نوح ساروا يسرة في الشرق، فسار قوم منهم من ولد أرعو على سَمْت الشمال، وانتشروا في الأرض فصاروا عدة ممالك، منهم الديلم والجيل والطيلسان والتتر وفرغان، فأهل القبق من أنواع اللكز ثم اللان والخزر والأنجاد والسرير وكشك، وسائر تلك الأمم المنتشرة في ذلك الصقع، إلى بلاد طوابريده إلى بحر مانطش ونيطش وبحر الخزر إلى البرغر...»[1].

(١) انظر الجزء ٣١ من كتاب: أميانوس مركلينوس، وانظر كذلك إلى المسعودي، مروج الذهب، ص ١٤٩.

وهكذا فقد جمع المسعودي هذه الشعوب في أصل واحد استمراراً مع المفاهيم الدينية السائدة في الشرق وهي تتشابه مع نهج كتابة التاريخ في الكتاب المقدس، والاسلوب الخاص للعهد القديم.

ظهرت التسمية القومية للان (الآلان) لأول مرة في الكتابات الرومانية خلال القرن الأول الميلادي(٢). وعلى رأي دى كينيا de Guignes الذي اعتمد على مدونات السلالة الحاكمة في الصين، فإن الآلان كانوا في القرن الثاني الميلادي معروفين عند الصينيين(٣). وهناك بعض المصادر تشير إلى أن هؤلاء يعيشون في السهول الواقعة شمال قفقاسيا خلال القرون ١ ـ ٣ الميلادية(٤).

ان أصل تسمية الآلان من الأمور التي لم تتحدد بعد، لكن هناك نظريات ترجع في أصلها إلى قول المؤرخ الروماني أميانوس مركلينوس مفاده ان الآلان اسم يتصل باسم جبل في مقاطعة ألطاي(٥). ويربط

(٢) ظهر مثلاً عند كل من لوقيان وسينيكا ويوسف الفلاوي، انظر كتاب: **الحرب اليهودية**، ليوسف الفلاوي على سبيل المثال:

Yusif Flavi, **O Voyne Iueedskoy. V.V. Latyshev. u Latinskikh o Skiffii u Kavkaze**, t.1. vyp.2, (SPB., 1896), Str. 484.

(٣) I. De Guignes, **Histoire des Huns, Turcs, Mogols et autres Tartares Occidenteux**, T.II (Paris, 1758), p. 279.

(٤) وكذلك في منطقتي بانتساي وما وراء جبال الأورال. انظر باللغة الروسية:

W. Barthold, **Cvedeniya Ob Aralskom I Nizovyakh Amu-Dari S Drev.**

ومن جهة أخرى توزعوا في خوارزم للتفصيلات أنظر باللغة الروسية:

N. Ya. Bichurin, **Sobraniye Svedenii o Narodarii. Obimavshikh v Sredney Azii v Drevniye Vremech. G;S.P. Tolstov Drevnii Khorezm.** (M. 1948), Str. 20.

وحول تفاصيل تواجد اللان في قفقاسيا أنظر:

W. Kuznecow, **Alanskie Plemena Severnogo Kawkaza.** (M, 1962).

(٥) J. Charpatier, **Die Ethnographiche Stellung Der Tocharer.** ZDMG, BD. 71, 1917, S 361

ويقول غفوروف ان أسلاف اللان من السكيث قد خلفوا آثاراً في المساكن التي اكتشفت في ألطاي التي يرجع زمنها إلى القرنين ٦ ـ ٤ قبل الميلاد وهي مصنوعة من الجلود والصوف. حول هذا الموضوع انظر:

B.G. Gafurov., «K 2500 Letiyu Iranskogo Gosudarstov» **Istoriya Iranskogo Gosudarsiva I Kultura.** M. 1971, Str. 17.

فرنادسكي هذا الاسم بالكلمة الهندية الأوروبية (الن Elen) أو (أولين Olen)[٦]، كما يربط أبابيف أصل التسمية بـ(آريانا Aryana) القديمة، ويقول في دراسة أخرى له ان هذه التسمية تحولت من الناحية الصوتية في اللغة الأوستية إلى (آلون Allon)، كما ان هناك آراء متباينة عديدة أخرى حول هذا الاسم وأصله[٧]. لكنهم عرفوا في المصادر الروسية بالآس وفي الجيورجية بالأوفس أو الأوس.

وعلى العموم فإن الآلان كانوا متوزعين في شرقي أوروبا ثم ارتحلوا نحو أواسط آسيا ونزحوا إلى السهول التي تحيط ببحر قزوين وجنوب جبال الأورال، وهي المنطقة التي تواجدت فيها الاتحادات القبلية للسَوْرمات (السرمات) الذين اشتهروا في أوائل العصر الميلادي بالآلان والآس واشتهروا في القرن الثاني ق.م باسم الروخسلانيين.

ظهر قسم من الآلان في قفقاسيا وحاول أفراد من هؤلاء عبورها باتجاه الجنوب فانعطفوا نحو الدربند (الباب)، واشتهر محور حركاتهم بـ(دريال = باب اللان) أو الثغور. بذا التقى هؤلاء مباشرة بمناطق نفوذ

---

(٦) G. Vernandsky, «Sur L'Origine des Alains». «Byzantion» Vol. XVII, N.1, (Boston, 1944), P. 82.

يظهر انه يقصد بهؤلاء السكيث الكليبد الذين عرفوا بـ (إيلينو Eleno) وعاشوا في مدينة أوليفيا جنوبي بوك. وفي شمالهم عاش سكيث الألازون والبهارى. حول هذا الموضوع راجع: **دائرة المعارف التأريخية السوفياتية**، مادة السكيف (السكيث).

(٧) V.I. Abaev, **Osetinskii Yazik I Folklor.** (M, 1949), Str. 240. Istoriko - Etimologicheskii Slovar Osetinskogo Yazika. T.I, M-I 1958, Str.47.

ويقول المؤرخ الدانيماركي آرثر كرستنسن أن في خوارزم نجد منذ القرن الثاني قبل الميلاد شعوب أورس الذين أصبح اسمهم عند الصينيين ين تسى. وفي إبان القرن التالي أتم الأورس زحفهم إلى الغرب سالكين الطريق الذي سلكه السكيث والسرمات من قبل. وقد اختفى اسم الأورس بعد منتصف القرن الأول ق.م. ومنذ ذلك الوقت سُمي الشعب هناك اللان وهي الصيغة الايرانية الشمالية للكلمة آرى.

أنظر: أ. كرستنسن، **ايران في عهد الساسانيين** (كوبنهاغن، ١٩٣٦)، ص ٣٨. وانظر إلى الترجمة العربية لهذا الكتاب، طبعة (القاهرة، ١٩٥٧)، ص ١٨.

امبراطوريتي الرومان وايران، ثم كوّنوا علاقات دينية واقتصادية وسياسية مع سكان قفقاسيا وما وراءها من الكرج والأرمن والكرد والروم، أدت إلى تأثرهم التام بهذه المجتمعات ديناً ولغة واندمج فيها قسم منهم. أما الذين ظلوا محافظين على سماتهم القومية، فقد عرفوا عند الجيورجيين بـ(أوسيتي Ows-Etti) الصيغة التي تطورت من(الآس As) والمشتقة في الأصل من (آورسي Aorsi). وعلى هذا الأساس فقد عرفوا عند الروس والجيورجيين وغيرهم بـ(الأوسيتيين Osset أو Osetini) الصيغة المستحدثة من (أوسيثي Owsethi) التي تعني السيث أو السكيث (الاشكوزاي الآشوري وأشكناز العهد القديم)[٨]، وذكرهم سترابو كـ(أياسي Aiiasioi) وأصبح الاسم عند

(٨) هناك تحليل أتيمولوجي لتسمية(آس) من قبل ف. مينورسكي يصل فيه إلى ان هذا الاسم مشتق من كلمة (آرس) التي كانت التسمية الأثنيكية للسرمات ووردت بصيغة (آورس Aors). حول هذا الموضوع أنظر: مينورسكي، **فصول من تأريخ الباب وشروان**، ص ١٠٧، ١٤٧ من النسخة الروسية. راجع كذلك: **دائرة المعارف الاسلامية**، المجلد الثاني، ص ٥٥٦، ٥٥٧. الترجمة العربية، طبعة طهران.

وحول تواجد اللان في قفقاسيا يقول ادوارد كيبون: «ان اللان هاجروا إلى قفقاسيا بعد ان قضى الهون عليهم قضاء تاماً...». انظر:

The Decline and Full of The Roman Empire. Vol.I, by Edward Gibbon. **Encyclopaedia Britanica** (INC., 1952), CH. VII, P.99.

في الواقع يعيش أحفاد اللان (الأوسيتين) الآن في أواسط جبال القفقاس وما تحيطها من مرتفعات، وكان نفوسهم في الستينات من هذا القرن حوالي ٤٠٠,٠٠٠ نسمة، وهم يشكلون سكان وحدتين ذات الادارة الذاتية إحداهما هي الجمهورية الأوستية الشمالية التي تدخل ضمن روسيا الاتحادية، والثانية هي الجمهورية الأوستية الجنوبية التابعة لجيورجيا. هؤلاء هم البقية الباقية من مجموعة الشعوب ذات اللغات الايرانية الشمالية الكثيرة الذين اشتهروا باسم السكيث والسرمات والساكا والمساكيت والآلان. ومع ذلك فقد تأثروا بجيرانهم من الشعوب القفقاسية، وقد اشتمل هذا التأثير الناحية الانثروبولوجية واللغة والعلاقات المادية والروحية، فاللغة على العموم تتوزع إلى لهجتين رئيسيتين وهما: الإيرونية وهي الشرقية، والديكورية الغربية، والأكثرية تتداول اللهجة الإيرونية وهي اللهجة الأدبية عندهم والفرق بينهما ليس بكبير ونرى ذلك على الأغلب في الحروف الصوتية من الكلمات مثال ذلك يتحول IW إلى EW بمعنى الواحد من الايرونية إلى الديكورية وكذلك Gush إلى Qosh بمعنى الأذن. ظهرت الايرونية كلهجة أدبية في كتابات الشاعر كوستا خيتاكورف في القرن التاسع عشر (١٨٥٩م - ١٩٠٦م) ولكن بجانب =

يوليبيوس Apasiakai وعند اسطيفان البيزنطي Assatoi وهو (آس) العصر المغولي.

وفي القرن الأول الميلادي تجول الآلان في مناطق يوفيلزي وجنوب الأورال وعلى الدون وشمال القزوين وشمال البحر الأسود وتوجهت القبائل الرحالة لهؤلاء خلال القرون الأولى للعصر المسيحي إلى أوروبا، وذلك نتيجة للهجرات العظمى لأقوام آسيا البربرية الذين اشتهر منهم الهون بالدرجة الأولى. وقد، استغلتهم الامبراطورية الرومانية عسكرياً وسياسياً، كما لعبوا دوراً عرقياً ولغوياً ثانوياً في تأريخ الشعوب الأوروبية أثناء ظهور البوادر القومية لديها. لذا غدت ظواهر الحياة المادية من خيم وملابس وغيرها عند القوط الجرمان والسرمات متشابهة جداً. هذا بالاضافة إلى وجود ظاهرة التزاوج بين أفراد المجموعتين. فنرى ان (ماكسيمن) الذي أصبح سيناتوراً رومانياً، كان من ناحية أبيه قوطياً Gothic ومن ناحية أمه آلانياً، وقد اشتهر هذا أيام الامبراطور سفيروس. ويقول ادوارد كيبون ان:

«الاختلاط بين هذين العنصرين أدى إلى تحسين جيل المستقبل للآلان، حيث ابيض لون بشرتهم الداكنة»(٩).

ثم انهم بعد ان حاربوا الهون في القرن الرابع الميلادي ونازعوا الآفار في القرن السادس الميلادي، فقد لعبوا دوراً سياسياً مع قبائل الفندال في كل من بلاد الغال (فرنسا) وايبيريا (اسبانيا)، ثم في شمال افريقيا حيث عاشوا بين إلبى Elbe وجبال أطلس، واحتلوا فيما بعد المناطق الواقعة

= ذلك فهناك لهجات محلية تتصل بالابلاونية كزالجاف والكوادر) كما ان هناك عند الديكورية أيضاً. الديكورية التي لها أهمية تأريخية للغة الأوستية تعتبر من الناحية المورفولوجية والمفردات حلقة الوصل بين اللغة السكيثية القديمة والإيرونية المعاصرة. حول تفاصيل هذا الموضوع راجع باللغة الروسية:

V.I. Abaev., o **Dialektakh Osetinskogo Yazika. Indo-Jranica.** (Wiesbaden, 1964), Str. 1-7.

أما أشهر المدن الأوستية في المقاطعتين الشمالية والجنوبية هي أردون وألاكير وسادون وجافا.

(٩) راجع أدوارد كيبون، المصدر نفسه، ص ٦٩، ٤١٧.

بين طنجة وطرابلس، كما اشتركوا في تأسيس الأنظمة السياسية مع الفندال (فيما بين ٤١٨م ـ ٥٣٤م) خارج نطاق هيمنة الرومان، وقد انهارت هذه الأنظمة أمام خطة الامبراطور البيزنطي (جوستنيانوس) الهادفة إلى توحيد شطري الامبراطورية الرومانية المجزأة آنذاك في الشرق والغرب، ونجح فيها بفضل أعمال قائده الشهير (بليساريوس) إضافة إلى الظروف السلبية الدامية التي أحاطت بدولة الفندال واللان في هذه المنطقة، وما لاقاه رجال ونساء وأطفال هؤلاء من أهوال خلال رحلاتهم الطويلة من سهول سكيثيا شمالي البحر الأسود الباردة إلى بوادي افريقيا الشمالية[١٠]، وتمكن جوستنيانوس في النهاية من الحصول على لقب ملك الفندال والآلان[١١].

(١٠) يتحدث كيبون بإسهاب عن تلك الرحلات الطويلة وبالأخص في الصفحة ٦٨ وما بعدها من الجزء الأول لكتابه: **انحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية**، كما ان هناك بعض هذه الأخبار عند كل من الدكتور عبدالقادر أحمد اليوسف، **الامبراطورية البيزنطية** (بيروت، صيدا، ١٩٦٦)، وكذلك الدكتور محمود سعيد عمران، **معالم تأريخ أوروبا في العصور الوسطى** (بيروت، ١٩٨٢)، انظر للمؤلف نفسه كتابه: **معالم تأريخ الامبراطورية البيزنطية** (بيروت، ١٩٨١).

(١١) **دائرة المعارف الاسلامية**، المجلد الأول (ليدن، ١٩٦٠)، ص ٣٥٤، الطبعة الحديثة. كان الوندال (الفندال) من القبائل الشرقية للجرمان (وخاصة السيلينكك والأسدينكك منهم). في البداية كان هؤلاء يتجولون في شبه الجزيرة الاسكندنافية. وبعد القرن الثاني والأول قبل الميلاد توجهوا نحو الجنوب إلى سواحل بحر البلطيق. وخلال القرنين الأول ـ الثالث الميلاديين انتشروا في المناطق العليا والوسطى لنهر (أوديرا) ووصلوا فيما بعد لحد نهر الدانوب. وهنا التقوا بالقبائل الجرمانية الأخرى. وفي القرن الثاني الميلادي اشتركوا في حروب ماركوماني ضد روما. وبالاتحاد مع السرمات دخلوا عام ٢٧٠م إلى أراضي الامبراطورية الرومانية المسماة بانونيا، ثم عقدوا اتفاقاً مع روما. وفي القرن الرابع الميلادي اتحد الوندال مع الآلان ولكن القبائل الكوثية الجرمانية أغاروا على هذا الاتحاد في القرن الخامس، وبذلك هاجروا نحو الغرب، ومن خلال بلاد الغال(فرنسا) توجهوا عام ٤٠٩م نحو اسبانيا. وفي عام ٤٢٥م كانوا تحت ضغط قوى مختلفة وقد شكلوا هناك بعض أنظمة دويلات ذات النظام الطبقي العبودي. وفي زمن كيسيريك (٤٢٨م ـ ٤٧٧م) اعتنقوا النصرانية. وفي عام ٤٢٩م عبروا جبل طارق واستغلوا ضعف الامبراطورية الرومانية في المناطق الافريقية واستولوا على قرطاجة في ٤٣٩م.

حول تفاصيل هذا الموضوع انظر: **دائرة المعارف التأريخية السوفياتية**، مادة الفندال.

إن تواجد اللان في هذه المناطق البعيدة عن وطنهم الحقيقي كان شيئاً لا بد منه. فبعد ان دفعهم الهون فيما بين الأعوام ٣٧١م - ٣٨٠م إلى الغرب وجنوب غرب وطنهم الأصلي، هاجروا مع الفندال وكذلك السيولى نحو أواسط أوروبا وشمالها (سواحل بحر البلطيق)، ثم اتجهوا نحو اسبانيا بعد ان مرّوا بـ(كاول) عام ٤٠٦م وسكن قسم منهم قرب مدينة (أورلينس Orleans) في حين استمر الباقون في الهجرة نحو الجنوب.

وعلى العموم فإن الأوضاع السيئة التي رافقت حياة المجموعات الرعوية للآلان في آسيا وأوروبا وافريقيا أدت إلى تشتتهم في تلك الأنحاء، وقد حافظوا، ولمدة طويلة، على نظامهم الاقتصادي والاجتماعي البربري، كما ان لغتهم ومفرداتها شاركت في إغناء اللغات السلافية والجرمانية وحتى المجرية والفنلندية (الفين أوغور).

دفعت قبائل الهون (هيونك . نو) الآسيوية بالاضافة إلى الآلان أمامها مجموعات قبلية أخرى كالقوط Goth الجرمان والسلاف Slave والبلغار والآفار(الآوار) وغيرهم، وقد فاقوا في الإرهاب وبث الرعب جميع العناصر التي تعاملت مع الامبراطورية الرومانية وأثارت الخوف والاضطراب في المناطق التي مرت بها[١٢]. وأثناء تحركاتهم توقفوا في وسط أوروبا زهاء نصف قرن من الزمان واضعين تحت نيرهم القوط الشرقيين والكيبيد Gepide وقبائل الماركوماني Marcomanni وسلاف الجنوب، وكان يحكمهم أتيلا Attila ابن موندزوك Mundzuk. ولا شك ان أسباب هجرات الهون تتعلق بحاجات اقتصادية وان أرجعوا مرد ذلك التحرك الهائل لقبائلهم إلى قصة اسطورية صاغوها بقالب ديني في ذلك العصر[١٣].

(١٢) كان غرس السيف المقوس في الأرض من العادات الدينية عند الهون، وكانوا يحلقون الشعر، ويزينون خيولهم بجلود أعدائهم المسلخة كأغلى زينة. وقد احتقروا المحاربين الجبناء الذين كان لديهم عاهة من العاهات بسبب المرض أو الشيخوخة.

(١٣) كان الرمز الديني للهون خنجر مغروس في الأرض. وتقول الاسطورة ان أحد الرعاة عثر على خنجر كثير الصدأ في حقل كانت ترعى فيه ماشيته فحمله إلى أتيلا الذي=

وبالمقابل فقد أدت الحاجات السياسية والعسكرية للدولة الرومانية والايرانية، وخاصة بعد ظهور السلطة الفرثية فيها على أنقاض الأنظمة الهلينية في الشرق، اضافة إلى الضغط الذي وقع على هذه القبائل البربرية التي كانت تسكن في شمال بحر قزوين من قبل الوحدات الرعوية التركية والمغولية، إلى تحركاتهم نحو قارة أوروبا وإلى الممرات القفقاسية في آسيا الغربية في وقت واحد. ولم يغير اجتياح الهون لجبال الأورال ونهر الفولغا الواقع القومي والحضاري في شرق أوروبا وقفقاسيا وسواحل بحر قزوين فحسب، وإنما شمل هذا التغيير كل المناطق التي تقع على أنهر الفولغا والدون والدانوب وحتى المقاطعات الرومانية في قارة أوروبا بأجمعها. لقد تمزق شمل قبائل السرمات (وهم الآلان الذين سكنوا قبل ميلاد المسيح في السهول الواقعة بين توبولا ونهر الدانوب لعدة قرون حيث اشتهرت بلاد بولونيا في القرون الوسطى باسمهم سرماتيا) وكانت مجموعات من هؤلاء تنزل في وديان نهري الفولغا والدون، ثم انقسموا إلى مجموعة اللازكيين الذين سكنوا غرب نهر دنيبر، أما الذين اشتهروا بالروخلاستيين (روخس آلان = البيض) فقد استقروا بين نهري الدنيبر والدون(١٤)،

= اعتقد انه خنجر إله الحرب، وان العثور على هذا الخنجر بهذه الصورة يشير بأن أتيلا سوف يغزو العالم. وتضيف الاسطورة انه منذ ذلك الوقت رغب أتيلا (٤٣٣م - ٤٥٣م) ان يحكم الهون بمفرده فأمر بقتل شقيقه بلدا Bleda. وقد بدا أتيلا في أعين شعبه إلهاً مقدساً وسمى نفسه (سوط الإله) مضيفاً إلى ذلك ان الحشائش لا تنمو في الأرض التي تطؤها فرسه. وجدير بالذكر هنا ان الهون ينتمون إلى العنصر الفنلندي التتري، وكانت حياتهم الرحالة المتنقلة التي يقضونها في مركبات ضخمة أو على ظهور الجياد، وكانت عيونهم الضيقة وأنوفهم العريضة المفلطحة، وآذانهم الكبيرة وبشرتهم البنية وعليها الوشم، تشكل خصائص في الطباع وهي غريبة المظهر لأهل أوروبا.

حول هذا الموضوع انظر:

محمود سعيد عمران، **معالم تأريخ أوروبا في العصور الوسطى**، (بيروت، ١٩٨٢)، ص٨٤.

(١٤) Colin MC Evedy., **The PenGuin Atlas of Ancient History**, (1974), p 68.

وخاصة حوالى مدينة نوفكورد حوالي عام ٨٦٢م ثم اندمجوا في القبائل السلافية التي كانت تسكن في مناطق آزوف على البحر الأسود.

شكّل الآلان في المناطق المذكورة دولة اشتهرت بدولة الآس Oss وكانوا مستقلين عن حكم الخزر في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، بينما دخل الآلان الغربيون داخل حدود الامبراطورية البيزنطية ودافعوا عنها ووقفوا بجانب المسيحية واستعملوا النقود البيزنطية في تعاملهم الاقتصادي ودخلوا كلياً تحت التأثير البيزنطي. وتعرف البيزنطيون على الطرق التي تؤدي إلى قفقاسيا وما وراءها بشكل جيد بمعاونتهم واستعانوا بهم لهذا الغرض عدة مرات. لذا فالطريق التجاري الذي ربط بين بيزنطة وشمال قفقاسيا ثم أواسط آسيا مرّ من خلال المناطق المطلة على الروافد العليا لنهر كوباني[١٥]. وقد طغت تسمية الآلان وبلاد آلانيا ليس على سكان ومناطق كوباني وجيجنى وداغستان فحسب، بل والأراضي التي تحيط بهذه المقاطعات. وقد أشار بروكوب القيصري في حينه إلى ان الآلان:

«قبائل غير تابعين وهم مستقلون في بلادهم»[١٦].

وإذا كان القسم الغربي من بلاد الآلان قد دخل كلياً تحت التأثير البيزنطي فإن القسم الشرقي كان دائماً مرتبطاً بجيورجيا والهيمنة الساسانية. وفي أوسيتى، أي حوالى منطقة الدريال، وُجد ان الناس قد استعملوا النقود الشرقية وذلك من خلال آثار المسكوكات التي استخرجت هناك. وهكذا فقد سميت المناطق المركزية لقفقاسيا في المصادر التأريخية ببلاد الآلان (اللان) واكتشفت فيها آثار متنوعة

(١٥) A.N. Dyachkov - Tarasov., Neizvestniy Drevniy Torchoviy put Iz KHorezma v Vizantiya Cherez kavkaz «Novi Vostok», KN. 28,M. 1930, Str. 148-156.

(١٦) Prokopii Iz Kesarii., **Voyna S Gotami**, Str. 381;
Prokopii Kesariiskii., **Istoriya Voyni Rimlyan S Persami.** Perev. C. Destunisa. (spb, 1891), Str. 221.

تتصل بقبائلهم منها صناعات فخارية جيدة شوهدت ضمن بقايا مساكن ومستوطنات كمونتا وكومبولتا وروتخا العليا وكوبان، وبالتاوحمي وغيرها. هذا بجانب الأدوات والحلى المصنوعة من الذهب والفضة، كما شوهدت معها صحون ونقود بيزنطية(١٧).
وإذا كان الآلان قد تمركزوا في مناطق معينة واحدة في الشرق (قفقاسيا) فإن الغربيين منهم انصهروا في المجتمعات الأوروبية. وقد أدى هذا التعاون والاختلاط إلى تحسين الملامح والبشرة الداكنة والشعر الأسود عند الآلان، إلا انهم لم يكونوا في الأصل بقبح ووحشية طباع الهون، ومع ذلك لم يستسلموا للهون حباً بالحرية التي تعلموها في مواطنهم الأولى وظلوا يحافظون على البناء الاجتماعي القبلي لديهم. لذلك كان هذا النظام يخلو من العبيد وهم يرتحلون بعرباتهم وخيولهم في سهول أوروبا، لكن في إحدى هذه الرحلات، وعلى ضفاف نهر تانيس (الدون حالياً) اشتبكت قوة من الهون مع هؤلاء في حرب ضروس، وقد دافع الآلان بشجاعة وجرأة لا تقلان عن شجاعة الهون، لكنهم غلبوا في نهاية هذا النزاع الدموي المريع، وسقط ملك الآلان في ساحة المعركة مذبوحاً وقطع رأسه، وتشتت شعبه المغلوب في مناطق شتى، بعد ان كانت السهول الواقعة بين نهري الفولغا وتانيس موطنهم تملؤها خيم القبائل الآلانية المتنوعة وبقايا مساكنهم تشهد على تلك الأعمال الفنية التي أبقوها في هذه المناطق وبالأخص ما يتعلق بقبائل أكاثرسى وكيلوني الآلانية(١٨).
وإذا كانت هذه أعمالاً آلانية صرفة، فإن بعض العشائر من أصل غير آلاني انضمت إلى اتحاد قبائل ماساكيت الآلانية فيما بعد، كعشائر ديربيك وأوكاس أو أوكال وأتتاس وأباسياك وخوارسم(١٩). وفي

(١٧) N.P. Kandakov, **Ocherki I Zametki Poistoriya Srednevekovogo Iskusstva I Kulturi.** (Praga, 1929), Str. 338, sl., Ris. 99-101.

(١٨) ادوار كيبون، المصدر نفسه، ص ٤١٧.

(١٩) W.W. Tarn., **The Greeks in Bactria and India.** (Cambridge, 1939), p. 8-81.
كذلك أنظر: R.E.Paulus, T. XXVIII, 1930, p. 2127.

الشرق الأقصى فإن المصادر الصينية تشير إلى حقيقة وصول الآس (والصيغة الصينية لهذا الاسم هي آسانام) إلى أواسط آسيا وكان هؤلاء ينحدرون من المساكيت أيضاً. وقد شاعت نظرية انحدار الآلان من قبائل المساكيت ـ السرمات في بداية القرن العشرين بصورة خاصة(٢٠).

وإذا كانت هذه النظرية تؤيد ارتباط هؤلاء بالعالم الايراني لغة، فإن العلامة نيكولاي مار كان قد رفض في هذا الوقت بالذات وجود علاقة بين اللغة السرماتية واللغات الايرانية الشمالية، وكان يرى ان قفقاسيا هي مهبط السرمات. وقد ناقش هذا الرأي إ.أ. جافاخيشفيلي المؤرخ الجيورجي، فقال ان اسم سوروموات أو سارمات (سيورمات) هو من صيغ التعميم عند القبائل الأديكية ـ الججانية وكذلك اللزكينية(٢١).

ولكن مع ذلك فإن أفراد قبائل السكيث والسرمات والآلان كانوا يَتَسَمّوْن بأسماء ايرانية سواء كانوا قد استوطنوا في قفقاسيا أو في شمال البحر الأسود، وانهم أثروا قومياً على السكان المحليين في هذه البلدان ومنهم الأبخار في قفقاسيا، والتركمان في أواسط آسيا(٢٢). وقد تجول الآلان والآس معاً في أواسط آسيا لحد القرن العاشر الميلادي، لذا تأثرت لغتهم باللغات الخوارزمية والبيجينيثرية، وذكر البيروني أخباراً

---

(٢٠) V.F. Miller, **Osetinskye Etyudiy.** Str. 110; R.E. Paulus., T.I, (1884), P. 1282; E. Taubler., **Zur Geschichte Der Alanen.** «Klio». T. IX, (Leipzig, 1909), P. 14 ff.; M.I. Rostovtsev., **Ellinstvo I Iranstvo Na Yuge Possii.** (Petrburg, 1918), Str. 128ff, and G. Vernadsky., O **Gnezise Saltovskoy Kulturiy. Ksiimk,** Viyp. XXXVI, (1951), Str. 14 sl.

وهناك بعض الآراء التي تؤكد كون السرمات والآلان من سكان القفقاس ومنها:
Yu. Kulakovskii., **Alaniy Po Cvedeniyam Klaccicheskikh I Vizantiyskikh Picateley,** Str. 13.

(٢١) I.A. Gavakhishvili., **Osnovnie Istoriko -Etno- Logicheskie Problemi Istorii Gruzii. Kavkaza I Blijnego Vostoka Drevneyshey Epokhi.** VDI, 1939, No.4, Str. 42.

(٢٢) A.Bakhtiyarov., Oskolki «I Sckeznuvshikh» Alanov. «**Turkmenovedenie**», No. 8-9, Str. 39-4.

A.U. Yakubovskiy., **Voprosi Etnogneza Turkmen** ,V, VIII VV. SE. 1947, No.3, Str. 54.

عنهم في حينه(٢٣). وفي مطلع القرنين التاسع والعاشر الميلاديين أصبح اسم (آس) مرادفاً لاسم الآلان، واستعمل لحد القرن الخامس عشر الميلادي، بغض النظر عن بعض التمييز بينهما ورغم اتفاق ملك الآلان في وقت من الأوقات مع ملك الخزر لمحاربة ملك الآس والترك كما دون يهود الخزر تفاصيل هذه الأحداث في مدوناتهم في القرن العاشر الميلادي(٢٤). ودخل الساكنون منهم في داغستان ضمن السلطة الخاقانية الخزرية وحاربوا السلطة الاسلامية.

ومن جهة أخرى ميّزت مصادر ألفت في القرنين ١٣ ـ ١٤ الميلاديين وأثناء الهجمات التترية ـ المغولية شعب الآس عن الآلان. فيذكر صاحب (تأريخ كزيده ـ القرن الثالث عشر) بأن الخان توشي حكم الخزر والبلغار والسكسين والآلان والآس والروس وشعوباً أخرى. ويقول ان جنكيز خان أخضع سكسين والآس والروس والآلان والقرغيز. وخطا الجويني في تأريخه (جهان كوشا) الخطوة نفسها في القرن الثالث عشر عند حديثه عن بلاد كيجاك والآلان والآس والروس وغيرهم، كما حدد أيضاً أماكن البلغار والآس والروس وقبائل الكيجاك والآلان في مكان آخر. وذكر حمد الله المستوفي القزويني في القرن الرابع عشر الأسماء نفسها بالاضافة إلى ميكيس والباشكير عند حديثه عن توشى خان ابن جنكيز خان. ونرى هذا التمييز عينه عند بدرالدين العيني النويري وأبي الفدا، وقد قسم ابن رسته في القرن العاشر الآلان (اللان) في قفقاسيا إلى أربع قبائل يتزعمهم حكام ينحدرون من سلالة قبيلة (دحساس) وقد عدّل مينورسكي هذه التسمية إلى (روخساس) التي تعني (الآس

(٢٣) انظر باللغة الروسية:

S. Volin., K Istorii Drevnogo Khorezma. vdi, (1941), No.1, Str.194.

وحول عبدالريحان البيروني (٩٧٣م ـ ١٠٤٨م) وآرائه انظر:

The Chronology of Ancient Nations. Transl. and Ed., with notes and Index, by Dr. C.E. Sachau, (London, 1879).

(٢٤) انظر بالروسية:

P.K. Kokvtsov, Evreysko - Khozarskaya Perediska V. X Veke, (L.,1932). Str. 116-117.

البيض)[٢٥]. وهذا يعني ان(الآس) هم نبلاء الآلان ويمثلون الطبقة الارستقراطية القيادية لاتحادات قبائلهم[٢٦].

بناء على ما جاء، واستناداً على وقائع الأحداث في قفقاسيا، فإن الآلان الغربيين غدوا ينقسمون إلى كل من قبائل الآس والديوكور. أما الشرقيون منهم فكانوا يشتهرون بالآلان والايرون. وكذلك فإن صيغة (أرّان) التي تحولت إلى (ايرون) في اللغة الآلانية (الأوستية) التي يتداولها الأوسيتين Ossete المعاصرون الساكنون في جيورجيا بقفقاسيا اليوم ليست متطورة من (آرى) كما يذكر ذلك كل من أباييف وفلجيفسكي، وانما تأتي صيغة (أرّان) من اسم (آلان) بناء على القاعدة السائدة في اللغة الهندية الايرانية بتحول اللام إلى راء وبالعكس كما نراها في لهجتي السليمانية وأربيل من اللغة الكردية. وقد ذكرت المصادر العربية مثل هذه الظاهرة اللغوية وتشير إلى ان الآلان:

«اسم اعجمي، وأضافت إليه أداة التعريف، شأنها في كثير من أسماء الأعلام، كما فعلوا في أرّان فقد رسموه الران، ونجد هذا الاسم أيضاً مرسوماً العلان»[٢٧].

---

(٢٥) انظر: الجويني، **جهان كوشا**. تحقيق مع مقدمة وملاحظات ميرزا محمد بن عبدالوهاب قزويني (لندن: ليدن ١٩١٢، و١٩١٦، و١٩٣٧). كذلك انظر حمد الله المستوفي القزويني، **نزهة القلوب**، تحقيق كاي لسترانج (ليدن، ١٩١٢)، وانظر أيضاً إلى أبو الفدا، **تقويم البلدان**، المقالة الثالثة، النويري، **نهاية الارب في فنون الأدب** (القاهرة، ١٩٢٣)، السفر الأول، وابن رسته، **الاعلاق النفيسة**.

ويمكن ملاحظة تعديل مينورسكي في كتاب: **حدود العالم**، ص ٤٤٥. فمثلاً يقول ابن رسته ما يلي:

«واللان أربع قبائل فالشرف والملك منهم في قبيلة يقال لها دحساس (والأصح رُخساس = روخس آس أي الآس البيض والخطأ من الناسخ.. ج. ر) وملك اللان يقال له بغاير اسم لكل ملك عليهم...». ابن رسته، الاعلاق النفيسة (ليدن، ١٨٩١)، ص ١٤٨.

(٢٦) R.E Paulus., R.T.II, P. 1514.

(٢٧) **دائرة المعارف الاسلامية**، المجلد الثاني، ص ٥٥٦-٥٥٧ طبعة طهران الترجمة العربية.

وهكذا فإن الآس لم يكونوا من الآلان فحسب، بل وقد شكلوا المجموعة القيادية لها في المناطق الأوسيتية. وقد أشار وليم الربركي في رحلته إلى شرق أوروبا في القرن الثالث عشر إليهم باسم ـ شعب الآلان أو الآس ـ وفي طريقه من القرم إلى مناطق فولغا التقى وليم بالآلان الذين يسمون هناك بـ(آس)[٢٨].

وفي القرن الثالث عشر نفسه التقى رحالة أوروبي آخر وهو (بلانو كاربيني) بشعب الآلان أو الآس[٢٩]، وقد عرف هؤلاء في المصادر الروسية في هذه المرحلة بـ(ياسي) وكانت قبائلهم تعيش لا في شمال قفقاسيا فحسب بل وعلى الدون والقرم وعلى أراضي مولدافيا المعاصرة[٣٠]. ومنذ بداية العصر الاسلامي اشتهر الآلان في قفقاسيا بمجموعتيهم، الغربية (الآس والديوكور) والشرقيون منهم المعروفون بالآلان والأيرون، وكانوا جميعهم موحدين ضمن اتحاد سياسي عُرف عند غيرهم بـ(آلانيا Alania) وظهرت المجموعتان لسكان آلانيا في العصور القديمة والوسطى من خلال اتحادين قبليين حدثا بين

(٢٨) انظر رحلة روبرك بالروسية:

Gilom de Rubruk., Puteshestvie V Vostochnye Strany. M. 1957, Str. 106, 111.

وقد عاد اللان في هذا الوقت في مناطق واسعة وجاوروا التتر من الشرق كما سكنوا على نهر الدون (واسم هذا النهر مشتق من كلمة آلانية بمعنى الماء). للمزيد من هذه المعلومات انظر:

Mullenhoff, Uber Die Herkunft und Sprache Der Pontischen Scythen und Sarmaten. Monatsbericht Der K-Pr-Ak. d.w., 1866, P.549ff.

(٢٩) أنظر باللغة الروسية:

Plano Karpini., Istoriya Mongolov. M. 1957.

(٣٠) ذكرتهم المؤلفات الفارسية للقرن الثالث عشر وكذلك صاحب كتاب، **حدود العالم**، كما سجّل أخبارهم كل من ابن الفقيه والاصطخري حيث عينوا أماكنهم بين أراضي السرير (شمال داغستان) ونهر أتيل (الفولغا). انظر كل من: ابن الفقيه(أبي بكر أحمد بن محمد الهمداني)، **مختصر كتاب البلدان** (ليدن: طبعة بريل، ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م)، ص ٢٨٦ وما بعدها.

الاصطخري، **المسالك والممالك** (القاهرة، ١٩٦١)، ص ١٣١ وما بعدها وقد تحدث عنهم أيضاً بروكوب القيصري في كتابه: **الحرب مع القوط**، ترجمة ب. كوندراتيفا (موسكو، ١٩٥٠)، ص ٣٨٣، وما بعدها.

العشائر اللانية الغربية والشرقية ويعزى هذا التقسيم إلى الاختلافات اللهجوية في لغتهم لكنهم مع ذلك يشكلون شعباً واحداً. وقد قال في حينه العالم السويدي ك.شكيولد ان الآلان كانوا قد هاجروا إلى المنطقة التي اشتهرت عند الصينيين بـ(بانتساى) وليس إلى قفقاسيا[٣١]. ولكن لا نشك في أنهم سكنوا في شمال قفقاسيا في النصف الثاني من الألف الأول الميلادي، ومن جهة أخرى فإن رأي شكيولد يتطابق مع رأي أ.ناميتوك A.Namitok في اتحاد الآس مع الأوسيتيين والأبازين (الأباظة)، ثم أصبح الآلان الطبقة القيادية للآفار الداغستانيين[٣٢]. وهذا يوضح حقيقة وجود الآس في الشمال الغربي من قفقاسيا والآلان في أواسطها قبل ألف عام حيث يعرفون جميعاً اليوم بالأوسيتيين.

ظهرت العلاقات بين المجموعتين وتوطدت أواصر الوحدة بينهما بتدرج زمني تأريخي وفي الفترة الواقعة بين القرنين الخامس - التاسع الميلاديين حدث التحام حضاري وسياسي للاتحاد الآلاني وكانت هذه المرحلة هي بداية نشوء القاعدة الاقتصادية والسياسية للقبائل التي تتوحد مصالحها تحت تسمية الآلان. ومنذ هذا الوقت ظهرت بين مختلف القبائل الآلانية ملاحم بطولية تبين علاقاتهم مع مختلف الشعوب المجاورة لهم في التأريخ. لذا ليس في المصادر التي ترجع إلى هذا الزمن ذكر للآس (ما عدا الجغرافية الأرمنية). وفي الواقع فإن هذه المرحلة من تأريخهم تعتبر عصر ازدهار الحضارة والقوة السياسية والعسكرية للآلان في قفقاسيا تشير إليها كثير من المصادر، كما اشتهر بينهم اسماء زعماء اتحاداتهم القبلية في هذا الظرف، منهم سروزى (القرن السادس الميلادي) وإتاز (القرن الثامن الميلادي) وغيرهما، وقد ظهرت أسماء زعماء اللان في المصادر الاسلامية كملوك فيما بعد. ويقول المسعودي:

(٣١) H. Skold., **Die Ossetischen Lehnworter Im Ungarischen.** «**Lunds Universitits Arsskrift**» T.20, No.4, (Lund, 1925), p 73-74.

(٣٢) A. Namitok., **Origines des Circassiens** (Paris, 1939), p. 118.

«إن اللان كانت قد اعتنقت النصرانية على يد رسل من بلاد الروم، فلما كانت سنة عشرين وثلاثمائة (٩٣٢ ميلادية - ج.ر)، رجعوا عما كانوا عليه من النصرانية وطردوا الأساقفة والقسوس»[٣٣].

أما ابن رسته فيقول إن ملوكهم وحدهم كانوا من النصارى. وفي القرن الثالث عشر الميلادي نجد جميع المصادر تذكر أن اللان من نصارى الروم. وقد اتسعت بلادهم كثيراً وامتدت نحو الشرق في ذلك العهد أكثر من أي وقت مضى. وفي زمن غزوة المغول الأولى، كان الآلان يحكمون البلاد الواقعة شمال دربند (الباب) وكذلك مصب نهر الفولغا (إتيل) ويظهر انهم استولوا على هذه المنطقة على اثر اختفاء دولة الخزر ثم أخضعهم المغول وتغلبوا عليهم، فرحل جانب منهم إلى بقاع مختلفة من دولة المغول. ويذكر مبشرو الصين الكاثوليك ان في الصين نافلة من النصارى اللان. أما المصادر الايرانية التي كتبت في ذلك العهد فتقول ان الآس نصارى في خدمة أمراء المغول[٣٤]. ولعل ما جاء في كتاب حدود العالم الذي ألف في ٣٧٢هـ/٩٨٢م حول بلاد اللان ومدنها توضيح دقيق لأوضاعهم العامة قبل القرن العاشر حيث يقول صاحب الكتاب ما يلي:

«في شرق وجنوب هذه البلاد تقع السرير، وفي غربها الروم، وفي شمالها بحر الكرز وبجناك الخزر - وجميع هذه البلاد مكسورة وجبلية وقد ساعدتها الطبيعة - أن ملكهم نصراني. ولهم ألف من القرى الكبيرة، وفيهم مسيحيون ووثنيون. بعضهم جبليون والبعض الآخر يعيشون في السهول»[٣٥].

ومهما يكن من أمر فإن الآلان سواء ارتحل قسم كبير منهم نحو أوروبا أو إلى أواسط آسيا إلاّ انهم حاولوا مراراً النزوح إلى شرق آسيا وشمال غرب ايران وإلى كردستان باختراق الممرات القفقاسية

(٣٣) راجع المسعودي، **مروج الذهب**، الجزء الثاني، ص ٤٢، طبعة باريس.

(٣٤) **دائرة المعارف الاسلامية**، المجلد الثاني، ص ٥٥٧، طبعة طهران، الترجمة العربية.

(٣٥) كتاب، **حدود العالم**، ص ١٦٠، ١٦١.

لكنهم كانوا يلتقون بقوة الامبراطوريتين الرومانية والايرانية (الفرثية ثم الساسانية) ثم قوة الامارات الكردية المحلية في أذربيجان وقفقاسيا في العصر الاسلامي التي وقفت حائلاً دون تفوقهم السياسي والعسكري في شمال بلاد ما بين النهرين، وكان التوسع الكردي بشرياً وسياسياً قبل هجرة القبائل التركية من أواسط آسيا إلى غربها أحد الأسباب التي لعبت دوراً سلبياً في النزوح الآلاني نحو جنوب قفقاسيا. ومع ذلك يمكن الاعتقاد بأن الآلان اشتركوا سلمياً في التأثير على الجانب الأثني لشعوب أذربيجان وكردستان، حيث لاتزال تعيش في منطقة موكريان الكردية قبائل باسم الآلان. وعلى ما يظهر فإن قسماً من قبائل مساكيت الآلانية انحدرت من خلال الدربند (الباب) في القرن الأول الميلادي إلى كردستان/ايران بعد ان ظهروا في منطقة كامبيسيني حسب قول مؤرخي الأرمن وغيرهم.

الفصل الثالث

أسلاف اللان في التأريخ
السكيث والكيميريون والسرمات

على مسافة آلاف من الكيلومترات، بدءاً من وديان نهر الدانوب في قارة أوروبا واستمراراً بجنوب سيبيريا وإلى شمال الصين في قارة آسيا، تمتد سهول معشوشبة ومراع خضراء غنية لفتت نظر مجموعات بشرية مختلفة وأغرت الأقوام الرعوية الرحالة عبر التاريخ بأراضيها الشاسعة التي كانت بعيدة عن مراكز الحضارة في العالم القديم. لكن سهولة اجتياز هذه المراعي من قبل القبائل البدوية خلال آلاف السنين، وظهور طرق تجارية فيها، أدّيا إلى انبعاث نشاط اقتصادي وسياسي وصناعي متطور فيها، انعكس فيما بعد في التغييرات القومية التي حصلت لمناطقها المختلفة وأثرت بالتالي في الأوضاع العامة في العالم القديم آنذاك. وبعد اكتشاف الحديد والبرونز وغيرهما من المعادن، بالاضافة إلى عوامل أخرى، نشطت الزراعة هنا، وأوقف هذا النشاط تحركات قبائل بدوية عديدة وأدى بهم إلى الاستقرار الدائم، وتحولت وسائل الانتاج لديهم من الرعي إلى الزراعة. وبظهور المدن الحديثة فيها انقرضت معالم العلاقات المادية القديمة لسكانها الأصليين، ثم تحولت مظاهر الحياة البدائية لمجتمعاتها إلى مظاهر جديدة من الحياة سادت فيها مظاهر الطبقية وما يترتب عليها من عادات وتقاليد جديدة.

تداولت أغلبية هذه القبائل البدوية، ومنها ما استقر فيما بعد، مجموعة من لغات ولهجات قريبة الواحدة من الأخرى تنتمي

جميعها إلى أصل واحد يعرف الآن بالهندية - الآرية وكانت تجاورهم الى الشرق مجموعات بدوية أخرى وهم أجداد الترك والمغول الحاليين، وكان الصراع مستمراً بين جميع هذه القبائل للسيطرة على مصادر الرعي الجيدة في تلك السهول الواسعة، مما أدى إلى تداخل الحضارة ومظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية بين أفراد أغلب تلك القبائل[1]. ولعل أقدم من عرف من سكان السهول التي تقع إلى شمال البحر الأسود كان الكيميريين، حيث ذكروا لأول مرة في التأريخ من قبل هوميروس[2] كسكان يعيشون في شبه جزيرة القرم وفي أوكرانيا الحالية[3]. واعتبرهم هيرودوت

(١) A.M. Khazanov., **Zoloto Skifov.** M. 1975, Str.14.

كذلك انظر بالروسية: B.G. Gafurov., Op. Cit. p. 13,14.

(٢) Odyssey, XI, 13-19.

(٣) القرم Crimea اسم اطلق على شبه جزيرة البحر الأسود نسبة إلى المملكة الكيميرية التي قامت هناك وعرفت بدورها نسبة إلى البسفور الكيميري Cimmerius Bosphorus لتمييزه عن البسفور التراقي في الجنوب (يعرف الآن بغاليبولي Gallipoli) ويقع بين بحر مرمرة ومدخل البحر الأسود.

أسس الاغريق عدداً من المستعمرات في تلك المنطقة من جنوب روسيا، ولم يكن هناك مناص من ان ينشأ في تلك المنطقة مجتمع خليط من السكان الأصليين والإغريق المستعمرين أو على الأقل المتأثرين باللغة والثقافة اليونانية. وقد ازدهرت مملكة البسفور وأثرت ثراء واسعاً منذ القرن الخامس قبل الميلاد بفضل صيد الأسماك في المضيق الكيميري (قرطش الحالي) والتجارة على نهر تانايس (الدون)، وتصدير القمح إلى العالم الإغريقي. وقد أجريت حفائر بالمنطقة وأثارت مقابر أمراء مملكة البسفور المحفورة في الصخر، والحافلة بالحلى الفاخرة والأدوات الذهبية والأسلحة دهشة الأثريين. وفي أواخر القرن الثاني ق.م اتخذ ميثرادات ملك بنطس المثقف بالثقافة اليونانية من مدينة بنتيكابايوم في شمال البحر الأسود عاصمة لممتلكاته، ولم يبق الكيميريون على حالهم في جنوب روسيا، بل طردهم فيما بعد (منذ أواخر القرن السابع) السكيثيون. لكن لم يلبث هؤلاء بدورهم ان تعرضوا لإغارات قبائل رحل أخرى تمت إليهم بصلة وتعرف باسم السرماتيين الذين أخذوا منذ منتصف القرن الثالث ق.م يتسللون من شرق نهر الدون وعبر الكربات إلى هذه المنطقة، وكان زحفهم نحو الغرب بطيئاً استغرق ثلاثة قرون واحتلوا المناطق بين مصب استر (نهر الدانوب) وسهله الأوسط ثم تعرضوا منذ القرن الرابع الميلادي لغزوات الجرمان والغوط، وامتزج فريق منهم بالجرمان ونزح فريق آخر أو أجلى عن مواقعه فرحل إلى القوقاز.

من السكيث[٤]، كما تطرق إلى أخبارهم بعض من مؤرخي اليونان القدماء واعتبروهم سكاناً قدماء للبسفور الكيميري Cimmerius Bosphorus ـ مضيق كيرج[٥]. وفي وقت متأخر ساقهم السكيث من خلال ممرات القفقاس إلى شرق آسيا الصغرى وشمال غرب ايران (كردستان) حيث توزعوا في وديانها وجبالها.

أما سترابو، الجغرافي اليوناني فيجعلهم في جغرافيته قسماً من التراقيين المشهورين باسم (ترير Trere). ويضيف انهم عبروا شبه جزيرة البلقان والهلسيونتوس (الدردنيل) نحو آسيا الصغرى[٦]. ويؤكد أغلب العلماء على انهم عاشوا في شمال قفقاسيا وحوالي بحر آزوف وهم من نسل حضارة (كاتاكومب Catacomb) وهي منفصلة عن حضارة (سروبنا Srubna) التي تبدأ من الجهات التي تقع خلف نهر الفولغا[٧]. لذا يربط علماء الآثار المخلفات التي اكتشفت في شمال آزوف وفي مناطق نهر دنيبر السفلى من العصر الحجري الحديث ـ الدور البرونزي ـ بالكيميريين، وما وجد من آثار القرون ١١ ـ ٧ق.م في هذه المناطق سمّي بالعاديات الكيميرية. وبسبب تواجدهم في أواسط قفقاسيا ارتبطت تسميتهم بآثار حضارة (كوبان Koban ـ القرون ١١ ـ ٨ق.م) أيضاً. ترتبط كذلك هذه التسمية بآثار العصرين البرونزي والحديدي التي اكتشفت في أوكرانيا وغرب نهر الدنيبر (١٢٠٠ ـ ٧٠٠ق.م) ويربط بعضهم الآثار التراقية ـ الكيميرية من القرنين ٨ ـ ٧ق.م التي وجدت في جنوب غرب أوكرانيا وفي وسط أوروبا والتي ظلت معالمها ظاهرة في هنغاريا لحد عام ٥٠٠ق.م بالكيميريين واعتبروها من العاديات الكيميرية الغربية نسبة إلى الشرقية منها[٨].

---

(٤) هيرودوت، **التأريخ**، الكتاب الرابع، الفصول ١١ ـ ١٣.

(٥) وهو المضيق الواقع بين بحر الأسود وبحر آزوف.

(٦) Strabo, **Geography**. XIV, 1, 40.

(٧) **دائرة المعارف البريطانية**، الجزء الخامس، ص ٧٧٣، مادة Cimmerians.

(٨) المصدر نفسه. =

الكيميريون: لا يعرف بالتحديد الأصل العرقي للكيميريين، ولكن من الناحية اللغوية فإنهم كانوا يتكلمون بإحدى اللغات الآرية، تشير إلى ذلك أسماء ملوكهم مثل تيئوشبه Teuspa وتوكدامه Tugdamme (دونه هيرودوت بصيغة ليكداميس) وابنه سانداخساترا Sandakhsatra. لكنهم تأثروا أثناء توسعهم نحو الغرب بالتراقيين حضارة ولغة رغم ادعاء هيرودوت وغيره بأنهم وصلوا إلى شمال البحر الأسود من البلاد الشمالية التي تسمى بـ(البونتيك Pontic). ويقول دياكونوف:

«إنه لا توجد أية دلائل تؤكد على كون الكيميريين قد شكلوا الأغلبية الأساسية لسكان البحر الأسود أو انهم عاشوا في المناطق المحيطة بمضيق كيرج (كيرجين). واعتمد هيرودوت في حينه على التسمية التوبونوميكية (المكانية) لهذه المنطقة التي اشتهرت ببسفور الكيميريين، وشكل مضيق كيرجين قسماً منها بجانب منطقة كيميري - التي لم يحددها هيرودوت بالضبط - مع حصون الكيميريين أيضاً»[٩].

ولكن الواقع الجغرافي - البشري للكيميريين كان قد حدد تسمية الأماكن في شمال البحر الأسود. لذا فإن اسم مدينة (كيميريك أو كيميريدو) في ثمان وقرم، وثم جبل (كيميري) اللذين ذكرهما سترابو[١٠] دليل على انتشار الكيميريين في هذه المناطق. وان تسمية (بسفور الكيميريين) لم تطلق لتمييزه عن بسفور التراقي (في تركيا الحالية) كما يدّعي دياكونوف[١١]، وإنما كانت لتواجد الكيميريين

= أما حول تأريخ وحضارة السكيث والسرمات انظر المصادر التالية:
Rudenko (Sergey Ivanovich)., **Kultura Naseleniya Centralnogo Altaya v Skifskoe Vremya.** M. 1860.
Rice (Tamara Talbot)., **The Scythians** (London, 1957); Rostsvtsev M.I., **Ellinstvo I Iranstvo Na Yuge Rossii.** (Pg. 1925), and
Terenojkin A.I., **Skifskaya Kultura.** M. 1971.

(٩) ي. م. دياكونوف، **تاريخ الميديين**، ص ٢٣٠ الطبعة الروسية.

(١٠) سترابو، **الجغرافية**، الكتاب الثامن، الفقرات ٣، ٤ والكتاب التاسع الفقرات ٢، ٥. الترجمة الانكليزية.

(١١) ي. م. دياكونوف، المصدر نفسه.

في المناطق التي تحيط به بكثرة، وكذلك ليس لأن الاسم عند السكان المحليين كان (بانتي كابا Pantikapa) الذي يعني (طريق السمك) الذي بنيت عليه مدينة بالاسم نفسه بانتي كابي (كيرج الحالية). وإذا كانت كلمة ـ بانتي Panti ـ تعني في اللغات الآرية مفهوم ـ الطريق ـ وكلمة كابا Kapa تعني ـ السمك ـ فلا شك ان الاسم الثاني هو إما كيميري أو سكيثي. وهذه الحقيقة لا تتعارض مع المحور الذي سلكه الكيميريون أثناء هجرتهم إلى آسيا الصغرى إذ انهم قبل هذه الهجرة كانوا سكان القسم الغربي من شمال قفقاسيا ومن ضمنها منطقة (تامان) وكانوا كذلك يشكلون أكثرية السكان في (تاورام) داخل شبه جزيرة القرم. وفي الواقع ان جميع هذه المناطق تقع شمال البحر الأسود بلا شك، وما تسمية قرم (كرم) كشبه جزيرة إلاّ الصيغة الجغرافية النهائية للتسمية القومية للكيميريين الذين سادوا في تلك الأنحاء.

يقول سترابو:

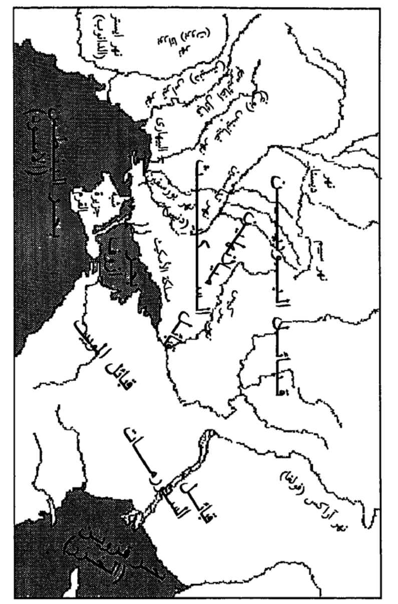
«ان الكيميريين في زمن هوميروس أو قبل ذلك الزمن بقليل كانوا يصلون إلى مناطق آئوليد وإيونيه في آسيا الصغرى»(١٢).

وكانوا يهاجمون سكان المناطق الجنوبية للبحر الأسود ولحد إيونيه في غرب آسيا الصغرى، وحتى انهم احتلوا مناطق (سارديس) بعدما دخلوا (بفلاكونيا) في الأناضول جنوبي البحر الأسود و(فريكيا) في أواسط الأناضول عقب غزوهم مع (الترير) غربي آسيا في وقت متأخر. وبعد ان انتصروا على الليديين ونهبوا عاصمتهم (سارد) عام ٦٥٤ق.م طلب ابن الملك المقتول (كيكي) المدعو (آرديس) العون من الآشوريين، وكان هؤلاء في صراع شديد مع الكيميريين في هذه الآونة.

لقد اشتهر الكيميريون في الشرق ـ الكتابات البابلية ـ بـ(أومان ماذدا) الذين تحالفوا مع أورارتو، الدولة التي سيطرت على مقاطعات

---

(١٢) سترابو، المصدر نفسه.



بلاد سيكيثيا وما جوارها خلال القرون ٢ - ٧ قبل الميلاد

كردستان وأرمينيا في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، واعتبر الآشوريون ذلك الحلف ضدهم في الوقت الذي كانوا هم في حلف مع السكيث بقيادة ملكهم (بارتاتوا) وابنه ماديا (ميدياس) الذي استطاع ان يقتل ملك الكيميريين (ليكدام) في معارك قيليقيا التي اشتهرت بانتصار آشور على الكيميريين.

السكيث: وعلى العموم فإن السهول التي تقع إلى الشمال من البحر الأسود، وبغض النظر عمن سكنها، فإن اليونانيين أطلقوا عليها تسمية سكيثيا (سكيثاى) وكانت تمتد من كرباثيا - في يوغوسلافيا الحالية - إلى نهر الدون (الاسم الآلاني الذي يعني الماء عندهم) وكانت القبائل السكيثية سائدة هنا[١٣]، وأن هذه السيادة أدت ومنذ القرن السابع قبل الميلاد إلى ان يضم مفهوم سكيثيا أو سكوذيا بلاد سرماتيا أيضاً، حتى انه شمل سهل دوبروجه الحالية في شمال بلغاريا الذي اشتهر ب(سكيثيا السفلى) في وقت متأخر، واستمرت هذه الشهرة حتى في الأزمنة البيزنطية.

ومن جهة أخرى، فقد سميت المناطق الشمالية لقارة آسيا ب(سكيثيا الشرقية)[١٤]، ولكن سكيثيا عند الكتّاب الكلاسيكيين من اليونان والرومان كانت تعني عامة كل المناطق الشمالية والشمالية الشرقية للبحر الأسود، وكانوا يعتقدون بأن السكيث (Skuth) والأقوام البربرية الأخرى إنما يأتون من تلك المناطق. ويعتبر هيرودوت أن لسكيثيا (سكوثيا = سكوذيا) مفهومين متضاربين في المعنى. فالمفهوم الأول له علاقة بحملات داريوس (دارا) الإخميني على آسيا الصغرى وعبوره لمضيق الدردنيل ووصوله إلى بلاد سكيثيا، وذلك لتعقب السكيث ومحاربتهم في عقر دارهم. وحدد هيرودوت هذه البلاد في هذا الوقت بطول ٤٠٠٠ ستاد أي ما يساوي ٧٠٠كم٢ تتخللها أنهار عظيمة وهي إيستر (الدانوب) وتيراس (دنيستر) وكيبانيس

(١٣) هيرودوت، **التأريخ**، الكتاب الرابع، الفصل الأول.

(١٤) **دائرة المعارف البريطانية**، مادة Skythiaبالانكليزية.

(بوك) وبوريسفين (دنيبر) وبالتيكاب وكيباكيريس وكيروس وتانايس (الدون). والسفر على حد قول هيرودوت في هذه البلاد يستغرق عشرين يوماً.

أما المفهوم الثاني فيتصل بمنطقة أولبيا Olbia والسكيث الذين عاشوا هناك فقط. لكن أضيفت على هذا المفهوم معلومات أخرى من قبل الرحالة اليونان كأريستياس بروكونيسوس Aristeas of Proconnesus وغيره، وظهر انه بدءًا من أولبيا في غرب سكيثيا، باتجاه الشمال، كانت تسكن قبائل كاليبيداي Callipidae على نهر هيبانيس الأسفل (بوك) وكذلك سكنت قبائل آلازوني Alazones على نهر تيراس (دنيستر) وقبائل هيبانيس كانوا بين هؤلاء وبين قبائل أروتير Aroteres المزارعين في ناحية الشمال. وكانت التجارة في هذه النواحي نشطة عن طريق مائي، في حين كانت قبائل (كيوركي) تعيش شرقها لكنهم لم يمتهنوا الزراعة وان كان موطنهم الواقع بين نهري اينكول وبوريسثين Borysthenes (دنيبر) مناطق زراعية. ويظهر ان القبيلة السكيثية التي انحدرت منها طبقة الملوك، وكذلك قبائل البدو السكيثية، كانوا يتخذون من المناطق التي تقع بين نهري بوريسثين وتانايس (الدون) موطناً لهم. وكانت خلف هؤلاء تعيش قبائل غير سكيثية كقبائل أكاثيرسى في ترانسلفانيا (على نهر ماريس = ماروس) وقبائل نيورى في بودوليا وكييف، وكذلك قبائل أندروفاكي وميلانجلايني في مناطق بولتافا وريازان وتامبوف. ولكن في وديان نهر الدون الأسفل وعلى نهر الفولغا عاشت قبائل السرمات، وهم جماعة من السكيث. أما في أواسط الفولغا فكان البوديني يعيشون بالأخص في مدينة كيلونوس Gelonus التي اشتهرت بالأخشاب، وكان السكان هنا يشبهون اليونان. وكان الطريق التجاري الهام يمر من هذه المدينة ثم يخترق جبال الأورال ويصل إلى بلاد القرغيز، وكانت القبائل السكيثية البدوية الرحالة تسلكه في رحلاتها وتصل بواسطته إلى أواسط آسيا وحتى إلى شمال الصين، وقد سكن قسم من هذه القبائل في المناطق

القريبة من هذا الطريق الذي كان يؤدي بسالكيه أيضاً إلى أركيباي وأسيدونيس في حوض تاروم (الطرم).



محاربان سكيثيان

وفي جنوب سكيثيا والقرم كان يسكن التاوري وهم من غير السكيث، ولكن السوروماتِ الذين تغير اسمهم فيما بعد إلى السرمات فقد سكنوا هنا في وقت متأخر(١٥). ويقول هيرودوت في هذا الصدد انه:

«يروى عن الساوروماتيين لما اشتبك الأغارقة في حرب مع شعب الأمازون أبحر الأغارقة بعد انتصارهم في المعركة؛ وأخذوا معهم ثلاثاً من سفنهم مليئة كلها بالنساء الأموزونيات اللواتي وقعن في الأسر. وما ان ابتعدت السفن عن اليابسة وصارت في وسط البحر حتى ثارت الأموزونيات على البحارة وقتلنهم جميعاً لآخر رجل ولما كن لا يعرفن شيئاً عن الملاحة ولا عن السفن؛ ولا يعرفن كيف يستخدمن الدفة ولا المجداف ولا الشراع، ذهبن بعد موت الرجال إلى حيث ساقتهن الريح والأمواج وأخيراً وصلن إلى شواطىء بالوس مايوتس، إلى الموضع المسمى كريمنى (أي الصخور) الواقع في أرض السكيثيين الأحرار فنزلن إلى البر وسرن صوب

(١٥) المصدر نفسه.

المناطق المسكونة. وعندما التقين بأول سرب من الخيول استولين عليه وامتطين ظهوره؛ وشرعن في نهب تلك المنطقة السكيثية».

ويستمر هيرودوت في قصته ويروي كيفية اختلاط الأموزونيات بالسكيث وتزواجهن برجالهم؛ ثم هجرة هؤلاء إلى ما وراء نهر تانايس (الدون) ويقول انهم بعد ان عبروه اتجهوا شمالاً إلى مسيرة ثلاثة أيام من بالوس مايوتيس، حيث وصلوا إلى المكان الذي كانوا يعيشون فيه في زمانه، أي القرن الخامس قبل الميلاد، ثم يشير إلى ان:

«نساء الساوروماتيين لا يزلن محافظات على عاداتهن، يمارسن الصيد وهن على ظهور الخيل بصحبة أزواجهن وأحياناً وحدهن، وفي الحرب، ينزلن إلى معمعان القتال مرتديات الزي نفسه الذي يرتديه الرجال».

أما عن لغة الساورومات فيقول هيرودوت انهم كانوا:

«يتكلمون لغة سكيثيا، ولكنهم لا يتكلمونها صحيحة قط؛ إذ تعلمتها الأموزونيات سقيمة في أول الأمر».

وفي حديثه عن القبائل الأخرى يورد هيرودوت بعض مظاهر حياتها فمثلاً:

«كانت تقاليد الثاوريين تقضي بأن يضحوا للعذراء بجميع الأشخاص الناجين من السفن المحطمة. والأكاثورسيون قوم بالغو الترف مولعون أشد الولع بالتحلي بالذهب، وزوجاتهم مشاعات فيما بينهم جميعاً حتى يكونوا كلهم أخوة كأعضاء في أسرة واحدة. وعادات النيوريين شبيهة بعادات السكيث. أما الأندروفاكيون فأشد وحشية من أي شعب آخر، فهم لا يعرفون العدالة ولا يخضعون لأية قوانين. إنهم قوم رحل، يلبسون الزي السكيثي ويتكلمون لغة غريبة عليهم هم أنفسهم وعلى خلاف أي شعب آخر في هذه المناطق، يأكلون لحوم البشر... ويلبس الميلانجلانيون (الميلانخلانيون) جميعاً عباءات سوداء، ومن هنا جاء اسمهم، وعاداتهم سكيثية. والبودينيون أمة ضخمة قوية؛ عيونهم جميعاً زرقاء وشعورهم حمراء زاهية اللون. ويتكلم أولئك القوم لغة

نصفها اغريقي ونصفها الآخر سكيثي، ولا يتكلم البودينيون اللغة نفسها التي يتكلمها الكيلونيون؛ كما انهم يختلفون عنهم في طريقة معيشتهم. انهم السكان الأصليون لهذه المنطقة، وهم شعب رحل. وعلى خلاف كل جيرانهم يأكلون القمل. أما الكيلونيون فعلى عكس ذلك يفلحون الأرض ويأكلون الخبز، ولديهم حدائق ويختلفون عن البودينيين في كل من الهيئة ولون البشرة».

وفي والواقع أن أقدم الأخبار عن هذه القبائل البدوية التي وردت في الكتابات اليونانية كانت في الياذة هوميروس لكنه لم يذكرهم بالاسم، إلاّ انه وصفهم كرعاة يحلبون الأفراس ويشربون حليبها ولا بد انه قصد بهؤلاء القبائل السكيثية[١٦].

وهكذا فالاغريق القدامى وبعض العلماء المعاصرين استعملوا تسمية (السكيث) بمفهومين: الأول جغرافي بشري قصدوا به السكان القدماء للمناطق الشمالية للبحر الأسود التي سميت ب(سكيثيا). والثاني اثنوغرافي يعني كل القبائل الرحالة التي تجول بين نهر الدانوب وبين المناطق الشمالية للصين[١٧]. وفي الواقع إن الأعمال الفنية التي اكتشفت في هذه المناطق هي ذات نمط واحد وذات أصل سكيثي. كما وجدت بعض هذه الأعمال حوالي جبال الأورال تعود للسرمات واكتشفت مثيلاتها في أواسط آسيا وفي شمال آلطاى وجنوب سيبيريا وشمال منغوليا، وتعتبر المكتشفات من مخلفات قبائل الساكا (سكيثو آسيا). وفي العصر الهليني توسع مفهوم السكيث بحيث أصبح يشمل أقواماً متعددة وخاصة الرعوية منهم وفي مقدمتهم السرمات.

تطرق بعض الكتّاب المعاصرين لهيرودوت إلى أخبار السكيث، وهذا ما نجده في أقوال المعلم العظيم هيبوكراتيس (٤٦٠ - ٣٧٧ق.م)

(١٦) انظر كل من: هيرودوت، **الكتاب الرابع**، الفصل ٣٠، وهوميروس، **الإلياذة**، الكتاب الثامن، الفصول ١ - ٧.

(١٧) A.M. Khazanov., Op. Cit. P. 12.

عندما يتكلم عن الهواء والماء والمناطق الجغرافية التي تحدد البناء الطبيعي للانسان، ويعطي بلاد السكيث والساوروموات أو السورمات (السرمات) ومناخها الجيد مثلاً لآرائه. لذا فهو يرى ان جمال الطبيعة يمكن ان نراه من خلال الحياة البدوية للسكيث والسورمات. وقد وصف هيبوكراتيس مناطق سكنى هؤلاء على انها تقع على الساحل الأيمن لنهر تانايس (الدون).

ومن جهة أخرى فقد ذكر كتّاب التراجيديا الأثينيون الثلاثة إسخيل وسوفوكل وأوريبيد شيئاً عن بلاد سكيثيا والسكيث في تراجيدياتهم. فقد وضّح إسخيل (٥٢٥ - ٤٥٦ق.م) موقع السكيث الساكنين حوالى بحر آزوف، كما أطلق على القوقاز اسم - طريق السكيث - وذلك لهجرات بعضهم إليها فصلياً وليس لتوطنهم فيها. وقد اعتبر (الخاليب) وهم قوم عاشوا في آسيا الصغرى من السكيث.

حدد سوفوكل (٤٩٦ - ٤٠٦ق.م) قسماً من أسطورته لتراجيديا الكولخيديات والسكيث والثينيين. أما أوريبيد (٤٨٠ - ٤٠٦ق.م) فقد صاغ أخبارهم على شكل أسطورة في تراجيديا (إفيكينيا في ترافريدا). وهناك أخبار طريفة عن السكيث في تراجيدياRes تشير إلى العداء بين التراقيين والسكيث. وفي كوميدا (الفكاهة Komuka) لأرستوفان (٤٥٠ - ٣٨٥ق.م) إشارات إلى حَمَلة القوس والسهم من السكيث في مدينة أثينا مع ذكر وجود معبد سكيثي هناك. أما الشاعر بيندار (٥٢٢ - ٤٤٢ق.م) فقد أشار مرة وبواقعية إلى السكيث، لكنه دوّن بعض أخبارهم على صورة أسطورة. ثم تحدث عنهم ثوكيديوس (٤٧٠ - ٤٠٠ق.م) وأشار إلى قوة مملكتي أودريس والسكيث وما لهما من حوادث ونزاع وحروب جرت في شمال البحر الأسود.

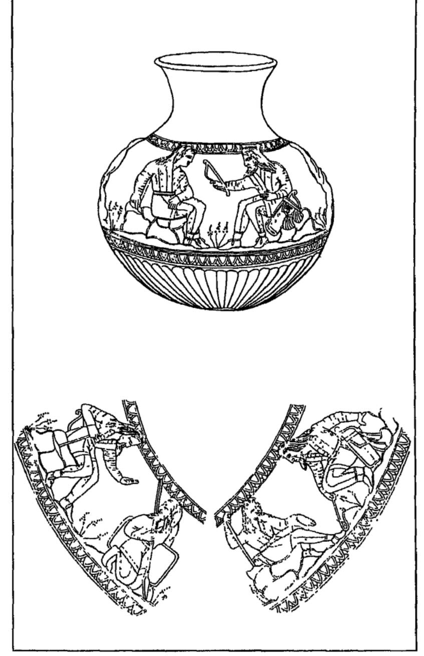
لقد دوّن أخبار سكيثيا، في القرن الخامس قبل الميلاد، كتّاب عديدون آخرون، لكننا نود القول هنا ان هذا الاهتمام ببلاد السكيث قلّ بصورة عامة في القرن الرابع قبل الميلاد وخاصة عندما بدأت حروب فيليب والاسكندر المقدونيين، أما أفور Ephor (٤٠٥ - ٣٣٠ق.م)

المؤرخ والاثنوغراف فقد ذكرهم في زمانه ونستطيع ان نتعرف إلى آرائه بصورة متقطعة في أقوال الجغرافي اليوناني سترابو Strabo الذي أشار إلى الأماكن الصحيحة لسكنى هؤلاء وعيّن بلادهم بدقة، واستقت المصادر أخباراً عن السكيث في زمن ميثرادات السادس ملك البنطس ويوليوس قيصر وأخذها ديودورس الصقلي، المؤرخ الروماني، من مدونات البسفور وظلت أساساً لسترابو إلى جانب تطرقه في الحديث إلى عادات وتقاليد السكيث والسورمات. وبالرغم من انه يورد اسم السكيث نادراً إلا ان أخباره مستقاة من هيرودوت وأفور وغيرهما بعد أكثر من ثلاثة قرون (وعاش فيما بين ٦٣ق.م - ٢٣م)[١٨].

أما ما يتصل بقضية أصل السكيث وبنائهم الاجتماعي والثقافي فلا يعتبر من الأمور الهينة بل يحتاج إلى دراسات واسعة وجدية. وبقي لنا من أقوال هيرودوت ما رواه حول هذا الموضوع مشيراً إلى الأساطير الثلاث حول أصل السكيث، وتختلف الواحدة عن الأخرى كلياً. ففي الاسطورة الأولى يقول مؤرخنا اليوناني ان السكيث كانوا قوماً يافعين عاشوا على الأرض بعدما انحدروا من صلب (تاركيث) بن الإله (زفس) وابنته (بوربسفينا) وهي دنيبر إلهة الأنهار[١٩]. أما الأسطورة الثانية فمفادها ان الموطن القديم للسكيث كان (كيليا) مناطق الأحراج الكثيفة في المناطق السفلى لنهر دنيبر وقد انحدروا من

(١٨) حول تفصيلات هذه المعلومات انظر بالروسية:
V.N. Gragov., Skifi. M. 1977, Str. 7.

(١٩) وتقول الاسطورة ان أبا البشر خلق من الإله زفس في أرض السكيث وكان يسمى (أركيتاي) وخلف فيما بعد أولاداً ثلاثة وهم ليبوكساي وأريوكساي وكولوكساي ونزل عليهم من السماء الذهب والمحراث والبلطة والقدح، ولم يستطع الولدان الكبيران ان يقبضا هذه المواد لذا احترقا فجأة، إلا ان الصغير قبض الهدايا الجميلة من السماء، وبذلك أهدى له الحكم الملكي. فمن نسل الإبن الأكبر خرج بطن عشيرة أفخاكي. ومن المتوسط خرجت عشيرة كاتياري وتراسبي. ومن الصغير ظهرت عشيرة بارالاتي، وهنا يقول هيرودوت ان الاسم العام لهؤلاء جميعاً سكولوتي Skolotiلكن الاغريق أسمتهم بالسكيث كما اسمتهم الفرس بالساكا.



اناء فضي من المجموعة التي أكتشفت في منطقة كورغـان بقفقاسيا يظهر عليه بعض جوانب الحياة العامة عند السكيث.

سكيث بن هرقل وإلهة الثعبان (ايخيدنا). والاسطورة الثالثة تقترب من الواقع عندما تصفهم كبدو رحل وصلوا إلى شمال البحر الأسود من آسيا بعدما طردتهم قبائل أخرى غربية غير معروفة.

بناءً على ما جاء لا يمكن استنتاج الحقيقة من هذه الأقوال إلاّ بالاستناد إلى ما اكتشف من آثار مادية ولغوية، وعلى ضوئها يمكن تعديل وتنظيم ما جاء في الأسطورة الثالثة من أقوال هيرودوت. واعتماداً على ما اكتشف لحد الآن من عاديات السكيث ومن خلال آراء هيرودوت يمكن استنتاج ما يلي:

١ - ان ظهور السكيث في التأريخ هو نتيجة لاختلاط السكان المحليين القدماء لشمال البحر الأسود مع قبائل رحل من العرق الآري وصلت إلى هنا من جهات نهر الفولغا كونت الطبقة السائدة للمجتمعات المحلية. وتؤكد هذه الظاهرة الأعمال البرونزية التي اكتشفت حوالى المحاور التي سلكتها تلك القبائل بين المنطقتين. وعلى الأغلب ان تلك الهجرات البدوية للقبائل الآرية وتمازجهم بالسكان المحليين جرت في الألف الثاني قبل الميلاد، وظلت في بداية الألف الأول منه مستمرة.

٢ - لقد تحرك السكيث من شمال البحر الأسود وشمال غرب قفقاسيا ودخلت قبائلهم إلى آسيا في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد من خلال الممرات القفقاسية بعدما طردوا الكيميريين من سهول سكيثيا، وان أخبار هذه المرحلة موضحة في أكثر من مصدر ومتقاربة في حقائق أحداثها وخاصة الآشورية منها.

وعلى هذا الأساس فقد أورد هيرودوت بعض كلمات سكيثية ترجع في الأصل إلى العالم الايراني، أما أسماء المعبودات فكان أصلها أوكري. وفي كل الحالات إن الكيميريين كانوا من أصل ايراني. لذلك فإن خصوصيات اللغات الايرانية تظهر في اللغة السكيثية لأنها ترجع في الأصل إلى قبائل كانت تعيش في منطقة خوارزم كما يقول

ذلك كراكوف المتخصص السوفياتي في تأريخ السكيث. ثم ان كثيراً من الكلمات وأسماء الملوك مثل آريابيف وأوكتاماساد وسايتافيرن وغيرها عند البدو منهم والمستقرين فجميعها من ذلك العالم. وقد أكد كثير من المؤلفين القدماء أن اللغة السكيثية كانت قريبة من اللغة الميدية، ودخلت فيها أثناء الهجرات بعض الكلمات الفريكية في آسيا الصغرى أو التراقية في البلقان[٢٠].

وفي القرن الرابع قبل الميلاد عبر السرمات نهر تانايس (الدون) وبقي السكيث على نهر الدانوب حتى دفعهم فيليب الثاني المقدوني في معركة ضارية وذبح ملكهم أتياس Ateas عام ٣٣٩ق.م، ونتيجة لذلك قلّ تواجد السكيث في هذه المناطق وظلوا حوالى نهر أولبيا يشكلون الأكثرية وخطراً على الآخرين، كما كانوا كذلك في منطقة تومي Tomi، ثم أسسوا هنا دولة، وفي النصف الثاني من القرن الثاني ق.م غدت هذه الدولة نواة لمملكة عظيمة تحت قيادة سكيلوروس Scilurus الاسم الذي يظهر في النقود المعدنية التي اكتشفت في أولبيا، وكان هذا يهدد شبه جزيرة القرم في حينه، ثم وقف أمام قوة ميثرادات السادس ملك بنطس الذي دمر قواته. وظل بعض السكيث أحياء إلى ان توجهوا نحو الغرب بعد ان دفعتهم أقوام جديدة يسوقهم الهون من الخلف. ثم استوطنت فيما بعد قبائل اليزكيت والروخسلانيين (الآلان البيض) السكيثية بعد انفصالها عن القبائل الأخرى في مناطق أوكرانيا القريبة من بحر آزوف وأخذت تسمية سكيثيا تختفي تدريجياً.

لقد قسم هيرودوت في القرن الخامس المجتمع السكيثي إلى مزارعين، منهم المستقرون كاليبيداي وآلازوني وأروتيرى وكيوركي الذين سكنوا في القسم الغربي من سكيثيا. أما قبيلة الملوك والرحل منهم فعاشوا في الشرق. وقد توزع الآخرون منهم في المناطق الأخرى واختلطوا بأجناس غريبة عنهم. فالسكولوتي، وهي تسمية محلية

---

(٢٠) كراكوف، **السكيث** (موسكو، ١٩٧٧)، ص ٢٢، باللغة الروسية.

للسكيث، كانوا يحملون أسماء علم ايرانية وهم من أصل سكيثي نقي، وأسطورة هيرودوت تربطهم بالمزارعين السكيث في أولبيا. وكانت العائلة الملكية ترتبط بالمجتمع البدوي. أما المجموعة الثالثة فكان أصحابها أولئك الذين نزحوا إلى آسيا بقيادة قبائل الماساكيت وعبروا نهر آراكس حسب تعبير هيرودوت ووصلوا إلى أرض الكيميريين، وكان هؤلاء الكيميريون متوجهين نحو جهتين، جهة الشرق وجهة الجنوب الغربي إلى جوار قبور ملوكهم على نهر تيراس (دنيستر) واختلطوا هناك مع التريز وعبروا الهلسبونتوس (الدردنيل) إلى آسيا الصغرى حيث التقوا بمناطق نفوذ الآشوريين الذين سموهم بـ(كيميراي) كما اشتهروا في العهد القديم بـ(جومر)[٢١] وفي القرآن الكريم بيأجوج ومأجوج.

وعلى العموم ففي المناطق المحيطة بنهري الدنيبر والدنيستر، بجانب الرعي وتربية الحيوان والزراعة التي حددت ظهور طبقات الكيميريين الاجتماعية، ظهرت عندهم طبقة ارستقراطية عسكرية. وفي القرم وآزوف كان النظام الاجتماعي يستند على الانتماء القبلي البدوي. وعلى هذا الأساس بدأ النزوح إلى قفقاسيا تحت قيادة زعماء قبليين. وبمرور الزمن بدأ صراع بين المجتمعين الزراعي والبدوي على طول الخط في سهول سكيثيا وشمال بحري الأسود وقزوين. واستطاع سكيثيو شمال البحر الأسود تنظيم أنفسهم ضمن نظام سياسي ملكي

---

(٢١) وقد ورد اسم الكيميريين في الإصحاح العاشر، من سفر التكوين في العهد القديم من الكتاب المقدس بصيغة جومر (كومر) والسكيث بصيغة أشكناز «وهذه مواليد بني نوح سام وحام ويافث. وولد لهم بنون بعد الطوفان بنو يافث جومر وماجوج وماداي وياوان وتوبال وماشك وتيراس وبنوجومر أشكناز وريفاث وتوجرمه».

وفي الاصحاح الخامس من سفر إرميا وردت أخبار عن خطورة هجراتهم إلى بلاد سوريا وفلسطين.

«ها أنذا أجلب عليكم أمة من بعد يا بيت اسرائيل يقول الرب. أمة قوية أمة منذ القديم أمة لا تعرف لسانها ولا تفهم ما تتكلم به جعبتهم كقبر مفتوح، كلهم جبابرة فيأكلون حصادك وخبزك الذي يأكله بنوك وبناتك يأكلون غنمك وبقرك، يأكلون جفنتك وتينك، يهلكون بالسيف مدنك الحصينة التي أنت متكل عليها».

وقف حائلاً دون توسع المدن اليونانية على حسابهم، وحتى ان ثقافتهم أثرت على التراقيين (سكان بلغاريا القدماء) في الغرب وظلت كلمة (سكيث) البلغارية إلى يومنا هذا تتداول عند البلغار كمفهوم عام لحياة القبائل السكيثية التي تعني اليوم في البلغارية الترحال والهروب والهجرة، كما أثرت هذه الثقافة في سكان حوض نهر الدانوب القدماء وكذلك في سكان كل من مولدافيا وغرب أوكرانيا.

السرمات: وفي القرن الثاني الميلادي، عندما جاء السرمات إلى شمال البحر الأسود، كانت أغلبية القبائل البربرية التي عاشت على أنهار أولبيا وتانايس وبانتيكابايوم ايرانية ومن ضمنهم السرمات أنفسهم. ويقول بلينيوس ان السرمات انحدروا من الميديين، ويظهر ان اسلافهم من السورمات كانوا قبيلة نصف سكيثية وتكلموا نوعاً من لهجة جنوبية غير نقية للغة السكيثية حسب ادعاء صاحب مقال سكيثيا في دائرة المعارف البريطانية(٢٢). وقد ادعى هيرودوت في حينه أيضاً بأن هؤلاء ليسوا بالسكيث الخلص، وإنما هم مختلطون من السكيث والأمازون، ويتكلمون بلهجات عديدة وتشترك نساؤهم في الحروب وهن متحررات بشكل كامل(٢٣)، ولكن هيبوكراتيس يعتبرهم من السكيث. والواقع إن الأسماء البربرية التي ظلت مدونة على اللوحات التي اكتشفت في مناطق أولبيا والتانايس هي من أصل ايراني وهي تخص أجداد الأوسيتيين المعاصرين أحفاد السرمات الذين يرتبطون بالآلان مباشرة ويعيشون الآن في قفقاسيا (جيورجيا).

---

(٢٢) **دائرة المعارف البريطانية**، مادة سكيثيا.

(٢٣) هيرودت، **الكتاب الرابع**، الفصول ١١٠ - ١١٧.

لقد عاشت القبائل الرعوية للسورمات فيما بين القرن السابع والرابع قبل الميلاد في پوڤلويا وحوالي سهول الأورال وكانوا قريبين من الساكا والسكيث لغة وحضارة وعرقاً. وقد أخبرنا كل من هيرودوت وهيبوكراتيس وسكيلاك وأفدوكس وايفور عن سيادة وحكم المرأة عند هؤلاء السورمات. وشوهدت هذه الحقيقة في آثاراهم وصورهم التي وجدت في مستوطناتهم وفيها رسوم النساء حاملات الأسلحة وهن يركبن الخيول.

لقد سكن هؤلاء السرمات (وفي اليونانية سرماتاي Sarmatae أو Sauromatae) في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد في السهول الواقعة بين توبولا ونهر الدانوب على حدود قارتي آسيا وأوروبا. وان التأريخ المبكر لهؤلاء مرتبط باسم السورمات الذين اندمجت قبائلهم المتعددة وبالأخص اليازيك والروخسلانيون منهم وكذلك السيراك وأورسا وغيرهم بالقبائل اللانية[٢٤].

كانت العلاقات الاقتصادية للسرمات تستند بصورة رئيسية على تربية الحيوانات وحياة البداوة والرعي. وقد اشتغل بعضهم في الزراعة، وبالأخص هؤلاء الذين اتخذوا من المناطق الزراعية موطناً لهم. ولكن قبائلهم البدوية ظلت تعتمد على سلب ونهب القوافل في الطرق التجارية بين قارتي آسيا وأوروبا.

أما العلاقات الاجتماعية لهؤلاء فكانت قائمة على أساس النظام الاقطاعي العسكري البدوي وتربط أفرادها قرابة الدم تقودهم مجموعة من العائلات التي كانت تتزعم الاتحادات القبلية ويحيط بها الشباب الأقوياء من مختلف أسر النبلاء، وبمرور الزمن زالت عندهم سيادة الأمومة.

لقد بدأ أغلب السرمات يسكنون في جنوب إيروآسيا (الحدود الأوروبية الآسيوية) وذلك لوجود المراعي الجيدة فيها التي تؤمن العلف الجيد لمواشيهم، ثم كانوا يحاولون التقرب من المدن المنتشرة هناك، وكان سكان هذه المدن يعملون في التجارة على العموم. وفي وقت متأخر توزع السرمات في سهول بوفلوتها الواقعة جنوب جبال الأورال وكازخستان، ثم توجه بعضهم، وخاصة السيراك وأورس منهم إلى سهول قفقاسيا. أما اليازيك والروخسلانيون فقد نزحوا إلى مناطق الدون وثبتوا سيادتهم على السهول الواقعة شمال البحر الأسود. ثم استطاع السرمات بصورة عامة تكوين علاقات قوية مع السكان المحليين لهذه المناطق عن طريق التجارة والتعامل، واندمجوا

(٢٤) دائرة المعارف التأريخية السوفياتية، المجلد ١٢، مادة السرمات.

بهم لغوياً وحضارياً، بالاضافة إلى انهم لعبوا دوراً سياسياً نشيطاً في هذا الجزء من العالم. وفي نهاية القرن الثاني قبل الميلاد أصبح السرمات حلفاء للسكيث في حروبهم أمام ديوفانتا، ثم شاركوا في أغلب المعارك التي جرت بين السلالات الحاكمة على البسفور الكيميري (كيرجين) وسكنوا تدريجياً في مدينة البسفور التي كانت الحضارة اليونانية ـ البربرية متمازجة فيها. وفي عام ١٧٩ق.م عقد الملك السرماتي كاتال حلفاً مع دولة آسيا الصغرى وأصبحوا حلفاء ملك بنطس ميثرادات السادس عندما كان يحارب الامبراطورية الرومانية في القرن الأول قبل الميلاد. وفي هذا العصر بالذات أخذت المناطق الرئيسية لبلاد السكيث تعرف عند الجغرافيين القدماء ببلاد سرماتيتي[٢٥]، كما عرفت بولونيا ـ بولنده ـ في القرون الوسطى ببلاد سرماتيا، ثم ظلت تسمية السرمات الآن كلمة في اللغة البولونية وتعني (البدوي، القاتل). أما الفرع الشرقي للقبائل السرماتية فكان أغلبه في علاقة اقتصادية وسياسية مع مجتمعات الدول التي ظهرت في أواسط آسيا وخاصة في خوارزم. وفي بداية القرن الأول الميلادي قام السرمات بحملات حربية على البلاد الواقعة فيما وراء القفقاس (أرمينيا واذربيجان وكردستان) وقضوا على الوحدات الحكومية التي ظهرت هناك. وظهروا أيضاً على نهر الدانوب، واقترب قسم منهم، وخاصة اليازيك والروخسلانيين، من حدود الامبراطورية الرومانية ووقعت بينهم حروب عديدة، ثم أخذوا يغيرون مع الآلان على عساكر الروم، ووطدوا بذلك القوات والامكانيات العسكرية للآلان في تلك الجهات.

انهارت الزعامة أو القيادة السياسية للسرمات في شمال البحر الأسود خلال القرن الثالث الميلادي وذلك اثر الهجمات التي قامت بها قبائل القوط (كوث Goth) الجرمانية. وما ان جاء القرن الرابع الميلادي حتى كانت القبائل السرماتية ـ الآلانية قد انحلت سياسياً وتحطمت قواها العسكرية أمام الهون، ثم خضعت للروman وأصبحت تشكل

(٢٥) المصدر نفسه.

فيما بعد جنباً إلى جنب مع القوط والهون القاعدة الأساسية المسودة للنظام العبودي في غرب أوروبا. وبعدما هرب قسم من الآلان إلى شمال افريقيا، اندمج كثيرون منهم في المجتمعات السلافية في جنوب روسيا الحالية وفي المجتمعات الأخرى لشرقي أوروبا. ويعتقد فيرنادسكي بأنه في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ظهر الاتحاد الآلاني ـ السلافي (دولة الآس) في مناطق آزوف وتحالفت مع الخزر وكانت بينهم علاقات طيبة(٢٦). وفي قارة آسيا توحدوا مع قبائل ذات لغات تركية فيما بعد وأصبحوا يشكلون جزءاً من الشعوب الناطقة بالتركية.

ظلت اللغة السرماتية محتفظة بخواصها عند الآلان (اللان) في قفقاسيا واستمرت حية في أفواه الشعب الذين يسميه الروس الآن ب(أوسيتيني)(٢٧)، وهؤلاء هم الآلان الذين بقوا تحت حكم الهون، ثم تجمعوا في هذه المناطق(٢٨).

■ طبائع وعادات السكيث

العلاقات المادية والروحية

يبلغنا هيرودوت بشكل جيد عن عادات السكيث(٢٩)، وتظهر أنها غالباً تتعلق بالطبقات الحاكمة. وبناء على أساس حياتهم الرعوية وما تنتجه مواشيهم وخيولهم فإن غذاءهم الرئيسي كان لحوم الخيول التي كانوا يطبخونها في مراجل خاصة بالاضافة إلى استعمالهم لحليب الأفراس الذي صنعوا منه أيضاً الجبن والزبد، أي ما يشبه الحليب المزبد المتخمر. وقد عمّى السكيث جميع عبيدهم كي يستخدموهم في

(٢٦) وكان هؤلاء من الآس البيض (روكساس = روخس آس). حول التفصيلات أنظر: G.Vernandsky, **Ancient Russia** (New Haven, 1944), and G. Vernandsky., **Origin of Russia** (Oxford, 1959).

(٢٧) **دائرة المعارف التأريخية السوفياتية**، مادة السرمات.

(٢٨) **دائرة المعارف البريطانية**، الجزء الأول، مادة الآلان، ص ٤٩٣.

(٢٩) هيرودوت، **الكتاب الرابع**، الفصل ٢٨.

إعداد ألبانهم، والطريقة التي اتبعوها هي انهم كانوا يدفعون أنبوبة من العظم - لا تختلف عن الأنابيب الموسيقية - في الفتحة التناسلية للفرس، ثم ينفخون في الأنابيب بأفواههم، فيحلب بعضهم اللبن، من تأثير نفخ بعضهم الآخر، وقالوا انهم فعلوا ذلك لأنه إذا ما امتلأت أوردة الفرس بالهواء ضغطت على الضرع وجعلته يهبط إلى أسفل. وكان يوضع اللبن الذي يحصل عليه بهذه الكيفية في جفنات من الخشب يقف حولها العبيد ليقبلوا اللبن. وتعتبر طبقة اللبن التي تطفو على السطح خير الأجزاء جميعاً، وما تحتها أقل أهمية. هذا هو السبب حسب ادعاء هيرودوت الذي من أجله كان السكيث يعمون جميع أسراهم في الحروب.

كان السكيث في رحلات دائمة للحصول على مراع نضرة خضراء، وقد عاشوا خلال الربيع والخريف في العراء والسهول. أما في فصلي الشتاء والصيف فكانوا يستقرون على الأنهر. وكان رجالهم يتجولون على الخيول كثيراً، ونساؤهم كن يقضين أغلب أوقاتهن داخل عربات مستورة عادة بغلاف من لباد كان يصنع من جلود مواشيهم. لذا كانت العربة تعتبر مسكناً خاصاً لكل عائلة سكيثية مستقلة.

خضعت المرأة بصورة عامة للرجل عند السكيث على غير عادة السرمات وكانت ظاهرة تعدد الزوجات شائعة لديهم، وتجملت المرأة عندهم ببعض المواد الطبيعية، وكان جميعهم يستحمون في العراء.

أما ملابس السكيث فتظهر معالمها بصورة مفصلة في آثارهم، ولعل ما اكتشف في (كول أوبا Kul Oba) وما وجد في أعمالهم الفنية المتأثرة بالطراز اليوناني، وخاصة الصور التي ظهرت على الأقسام العلوية لبعض الأوعية، تصور لنا ذلك الجانب من حياتهم. فكان الرجال يلبسون على العموم بدلة مشدودة بحزام مع سروال طويل مطوي على أحذية ناعمة مع قلنسوة مرفوعة على الرأس، وظلت معالم هذه الملابس عند الفرث قديماً والكرد في القسم الشمالي لكردستان وبعض الشعوب القفقاسية حالياً.

أما النساء فكن يلبسن روباً طويلاً مع حجاب يستر أجسامهن. وكان

أفراد كلا الجنسين يطرزون ملابسهم بأشكال صحون مذهبة، ويزينون خيولهم مع سروجها بالأشكال نفسها وكانت تصنع عادة من الأقمشة.

انقسمت عامة السكيث أثناء الحرب إلى ثلاث ممالك صغيرة وكانت تنقسم هذه الممالك بدورها إلى مجموعات صغيرة، وكل مجموعة يقودها قائد. وكانت تقام ولائم سنوية على شرف شجاعة القواد الذين قاموا بذبح الأعداء، ويتبعها عادة توزيع الغنائم بينهم. والمحارب السكيثي كان يشرب دم أول رجل يصرعه في الحرب كما يقول هيرودوت، ويشير إلى انه مهما بلغ عدد الذين يقتلهم فإنه يقطع رؤوسهم جميعاً ويحملها إلى الملك، وبذا يكون له الحق في اقتسام الغنائم وإلاّ يفقد حقوقه في ذلك. ولكي يسلخ جلد الرأس، يقطع حزاً حول الرأس فوق الأذنين ثم يمسك بفروة الرأس ويقذف بالجمجمة بعيداً، بعد ذلك يأخذ ضلع ثور ويكشط به ظهر الفروة حتى ينظفها تماماً من اللحم، ثم يطريها بأن يدعكها بين يديه، ويستعملها فوطة بعد ذلك. ويفخر السكيثي بفروات رؤوس القتلى هذه ويعلقها بعنان حصانه. وكلما كان عدد الفروات التي يعرضها كبيراً، عظمت منزلته بين مواطنيه، ويصنع كثير منهم لنفسه معطفاً من هذه الفراء أشبه بعباءات فلاحي الاغريق، وذلك بأن يخيط عدداً من الفروات معاً، ومنهم من يسلخ جلد الأذرع اليمنى لاعدائهم القتلى ويصنع من الجلد الذي ينزع بما فيه الأظافر كسوة لجعبة سهامه، وان جلد الانسان لسميك ولامع ويفوق في بياضه سائر الجلود الأخرى تقريباً. وبعض منهم يسلخ جلد الجسم كله ويشده فوق إطار يحمله معه أينما ذهب.

وبالنسبة لجماجم الأعداء الذين يحمل السكيث لهم أعظم كراهية. فيقول هيرودوت انه بعد ان يخيطوا أسفل الحواجب وينظفوا ما بداخل الجمجمة، يكسونها من الخارج بالجلد. هذا كل ما يفعله الرجل الفقير. أما الغني فيبطن داخل الجمجمة بالذهب، وفي كلتا الحالتين، تستعمل الجمجمة كأساً يشربون بها، كذلك يفعلون الشيء

نفسه مع أصدقائهم وأقاربهم ان كان بينهم ثأر وهزموهم في حضور الملك. وعندما يزورهم الأغراب يطلعونهم على هذه الجماجم. ويشرح لهم المضيف علاقة أصحابها به، وكيف حدثت العداوة بينه وبينهم، وكيف تغلب عليهم، وذلك لأنهم يعتبرون كل هذه المظاهر من إمارات الشجاعة. ولإثبات شجاعته كان المحارب السكيثي الاعتيادي يحاول إعطاء الدليل على تلك الشجاعة أمام الملك. ولكي يحصل على نصيبه من الغنائم كان يقوم بسلخ جلد العدو ويزخرف به لجام خيله مع ما نهبه من الأعداء، ثم يرفع جمجمة عدوه بيده.

كانت الخطط الحربية لدى السكيث بشكل عام قبلية وذلك بإزعاج العدو عن طريق إظهار تقهقرهم وتراجعهم ثم انسحابهم من ساحة المعركة وهروبهم، ثم العودة إلى التصادم وضربه على مراحل. وكانت أسلحة السكيث القوس والسهم بالاضافة إلى سيوف قصيرة وحربة بجانب طبر أو فأس، وكان الفن السكيثي يظهر بصورة خاصة ضمن هذه الأسلحة. وان ما شوهد في المدافن المكتشفة في بلاد سكيثيا القديمة كان بالتأكيد أنماطاً خاصة لأعمال سكيثية. والخناجر والسيوف القصيرة التي تميزت بنصابها ونصلها وغمدها الخاص من أغلب الطرائف في هذه الأعمال. وعلى طرف واحد من هذه الأسلحة تشاهد نتوءات مثلثة وهي من الطرق الغريبة التي احتاجها تعليق الخنجر والسيف لديهم بواسطة ربطتين (عقدتين)، حتى لا يعيق فرسانهم أثناء حركاتهم على الخيول. ولقد استعمل هذا النوع من السيوف في ايران/كردستان وشوهدت نماذجها في لوحات مدينة برسيبوليس، وعلى ما يظهر فإن أصل هذا النمط من السيوف شرقي من دون ريب. وكانت هناك أكياس القوس والسهم من النوع المقوس القصير ومن نمط خاص، اضافة إلى مرجل غريب الشكل موضوع على قاعدة مخروطية الشكل كانت توقد النار تحتها وقد وضعوا بجانبها كوباً ذا قعر مدور.

ظهرت ملامح آشورية ويونانية في الواقع في أعمال الفنانين السكيث الذين استخدموا في صنع أدواتهم بعض الزخارف ذات الأصول

الأجنبية، ولكنهم مع ذلك حافظوا على منهجهم المحلي الذي كان يتطور ذاتياً بمرور الزمن. أما جوهر هذا الفن فكان يظهر في رسوم الحيوانات كالأيل والغزلان والدببة ورؤوس الطيور التي زيّنوا بها أسلحتهم وقبورهم وفخارهم وسروج خيولهم. وعلى كل حال فإن مواضع هذه الزخرفة كانت تعبر عن التصورات السائدة عندهم، إضافة إلى البواعث العديدة الكثيرة التي تمازجت باعتقادات اسطورية. لذا نشاهد صور بعض الحيوانات الخيالية في هذه الأعمال. ومن جهة أخرى يظهر الطابع الشرقي في الفن السكيثي بشكل عام متأثراً بالفن الاغريقي بشكل خاص، وترجع معالم بعض هذه الفنون إلى عصور سحيقة في القدم وتعكس بعض جوانب الحياة عند الشعوب البدائية، وخاصة ما يتعلق بصيد الحيوانات في سهول وغابات التندرا في العصر المعدني، وساد هذا الفن بين النرويج شمالاً إلى حد شمال البحر الأسود جنوباً. وفي جنوب روسيا كانت صور هذه الحيوانات في قالب اغريقي، إلا ان هذا الفن اختلط بالفن الايراني عقب وصول السرمات إلى هذه المناطق، وذلك بزيادة الزخرفة وتعدد الألوان وتنوع الحيوانات فيه. وقد توسعت رقعة هذا الفن المزدوج مع توسع حدود رحلاتهم وهجراتهم. وانتشر فيما بعد في قارة أوروبا خلال العصور الوسطى، وظهرت انعكاسات هذا الفن، عن طريق سيبيريا ورحلات السكيث خلالها إلى حدود الصين في بداية عصرنا، وقد اثبتت اكتشافات بعض الأنواع من المنسوجات والسجاد في منغوليا من قبل كوزلوف وعليها تأثيرات فنية سكيثية ومصنوعة بديكورات من النسيج ذلك التوسع الكبير للفن السكيثي الذي وصل إلى بلاد الكرد أيضاً وظهرت معالمه في كنوز سفز.

وفي مجال البناء الروحي للمجتمع وخاصة الجانب الديني منه فكان أساسه عبادة ظواهر الطبيعة[٣٠]. وقد أورد هيرودوت أسماء مجموعة من الآلهة السكيثية كانت تشبه الآلهة الاغريقية من ناحية السلطة والسيطرة على ظواهر الطبيعة ومنها تابيتي وبابايوس وزوجته آلي (أي

(٣٠) حول تفصيلات هذا الموضوع أنظر المصدر نفسه، الفصل ٥٩.

زيوس وزوجته كي عند اليونان) ثم اويتوسوروس وكولتوروس (أي أبولو) وأركيمباسا(أفروديت أورانيا) وغيرهم. أما آثار هذه المعتقدات فقد ظلت في المعبد والهيكل والتماثيل التي تخص الإله (آريس). وللتعبير عن قوة هذا الإله ولتجسيد سلطته كان السكيث يجمعون كومة كبيرة من الحطب كل سنة وينصبون عليها سيفاً من سيوفهم في ١٥٠ موقعاً ثم يصبون دماء أعدائهم من الأسرى والسبايا عليها قرباناً لذلك الإله. ويظهر ان هذه العادة كانت شائعة بين المزارعين السكيث وذلك لكثرة الأخشاب لديهم في غابات الاستبس.

بالاضافة إلى ما ورد من اعتقادات دينية، فقد كان السكيث يؤمنون ببعض القوى السحرية، ويعالجون مرضاهم بالقيام ببعض الأعمال التي لها علاقة بهذه القوى. فإذا مرض الملك السكيثي أرسل في طلب ثلاثة من أشهر العرافين في عصره، فيتكهنون له هكذا يقولون: عادة ان الملك مريض لأن فلاناً، ويذكرون اسمه قد أقسم يميناً كاذبة بالوطيس الملكي. وهذا هو القسم العادي الذي يحلف به السكيثيون عندما يقسمون اليمين على أمر هام. وعندئذٍ يقبض على من اتهمه العرافون بالحلف كذباً، ويؤتى به أمام الملك، فيخبره العرافون بأنهم علموا أنه قد أقسم كذباً بالوطيس الملكي، وبهذا كان سبباً في مرض الملك، فينكر الرجل التهمة، ويحتج بشدة، ويؤكد انه لم يحلف قط يميناً كاذبة، ويعلن شكواه بصوت عال ويتمسك بأنه مظلوم. عند ذلك يرسل الملك في طلب ستة عرافين جدد يحكمون في الأمر بواسطة العرافة، فإذا وجد هؤلاء أن الرجل مذنب فيما نسب إليه، قطع رأسه في الحال بيد من اتهموه أولاً، واقتسموا أمواله وممتلكاته فيما بينهم. أما إذا برأه هؤلاء، جيء بعرافين غيرهم، ثم غيرهم، للتكهن في هذا الأمر. فإن برأته الغالبية العظمى منهم، أعدم من أدانوه أولاً. أما طريقة إعدامهم فكانت ان تملأ عربة بالحطب، وتربط اليها الثيران وتقيد أرجل العرافين معاً، وتربط أيديهم خلف ظهورهم، وتكمم أفواههم، ويلقون وسط الحطب ثم تشعل النار في الحطب وإذ تذعر الثيران من اللهب تجري بالعربة. وغالباً ما تحرق النار العرافين

والثيران، بيد انه يحدث أحياناً ان يحترق عريش العربة فتفلت الثيران بعد إصابتها ببعض الحروق. كذلك يحرق الكهنة الكاذبون كما يسمون بهذه الطريقة لأسباب أخرى. وعندما يعدم الملك أحدهم، يحذر من بقاء أي ولد له حياً فيعدم جميع الأولاد الذكور مع أبيهم، ولا يسمح بالبقاء على قيد الحياة لغير الإناث.

أما عن مراسيم دفن الموتى فإن هناك آثاراً كثيرة تلقي الضوء عليها، اكتشفت في مدافن بلاد سكيثيا. وتشير هذه الآثار إلى ان جثة الميت ذي المركز المتميز كانت تدفن بعد أربعين يوماً عقب حراستها من قبل أصدقاء المتوفى الذين لا ينامون لشرفه خلال هذه المدة. لكن مآتم الملوك كانت متقنة أكثر من غيرها، إذ كان السكيث يحيطون بالميت ويزيّنونه بكل ما كان يعتز به في حياته ثم يحددون قبره في منطقة (كيرهوس) قرب الانحناءات العظيمة لنهر دنيبر. وقد أشار هيرودوت إلى قبور ملوك سكيثيا في هذه المنطقة، أي أرض الكيرهيين المقيمين بأول موضع يصلح فيه نهر بوروشينيس للملاحة، فعندما يموت الملك يحفرون له قبراً مربع الشكل كبير الحجم. وبعد إعداد القبر، يأخذون جثة الملك بعد شق البطن وإخراج ما فيه وتنظيفه، وملئه بمخلوط من أوراق السنديان المغرية، واللبان الذكر، وبذور المقدونس، وبذور الأنيسون. ثم يخيطون الفتحة ويغلقون الجثة بالشمع ويضعونها فوق عربة، ويطوفون بها على مختلف القبائل. وعندما تتسلم كل قبيلة جثة الملك تقلد ما فعله السكيثيون الملكيون في أول الأمر. فيقطع كل رجل قطعة من أذنه، ويقص شعره، ويحز حزاً حول ذراعه، ويشرط شقاً في جبهته وأنفه، ويغرس سهماً في يده اليسرى. بعد ذلك يقوم المكلفون بالجثة بنقلها إلى قبيلة أخرى من القبائل الخاضعة لحكم السكيث، ويتبعها أفراد القبيلة التي مرت عليهم الجثة أولاً. وبعد اتمام الطواف على القبائل التابعة لسلطات السكيث في دولة (كيرهوس) الواقعة في أقصى منطقة، يذهب القوم بها إلى مقابر الملوك حيث توضع جثة الملك في القبر الذي أعد لها، ممددة فوق خشبة. وتغرس الرماح في الأرض على كل من جانبي

الجثة. ثم توضع ألواح من الخشب فوق الرماح لتكون بمثابة سقف يغطى بأعواد الغاب. ويدفنون مع الملك إحدى محظياته بعد شنقها، وكذلك حامل كأسه وطاهيه وسايسه وخادمه الخاص وحامل رسائله، وبعض خيوله وأوائل ممتلكاته الأخرى، وبعض الكؤوس الذهبية لأنهم لم يستعملوا الفضة ولا النحاس. بعد ذلك يشرعون في عمل كومة فوق القبر، ويتبارى كل منهم في جعلها مرتفعة قدر المستطاع.

بعد مرور عام على موت الملك، تقام احتفالات أخرى. فيؤخذ خمسون شاباً من خيرة خدم الملك المتوفى، وكلهم من السكيثيين الوطنيين، ولما كان شراء العبيد غير معروف في هذه البلاد، فإن ملوك سكيثيا يختارون من يريدون من رعاياهم ليقوموا بخدمتهم، يؤخذ خمسون من هؤلاء ويشنقون، كما يقتل خمسون جواداً من أجمل الخيول، ثم تفتح بطونها وتخرج أحشاؤها وينظف التجويف ويملأ بالتبن ويخاط الشق ثانية. وبعد الانتهاء من هذا ترفع عدة أعمدة على الأرض زوجين زوجين ويوضع نصف إطار عجلة فوق كل زوجين من هذه الأعمدة، حتى يتكون ما يشبه القبو. ثم ترفع سيقان قوية في أجسام الخيول بطولها، من الذيل إلى الرقبة، ثم ترفع الخيول فوق إطارات العجلات بحيث تستند كتفا الحصان على إطار العجلة الأمامي. ويسند الاطار الخلفي البطن والفخذين الخلفيين. أما القوائم فتتدلى في الهواء. ويوضع في فم كل حصان لجام وعنان، ويبسط الأخير أمام الحصان ويربط في وتد ثم يؤتى بالخمسين شاباً المشنوقين؛ ويوضعون في الخمسين حصاناً، ولعمل هذا تدفع ساق أخرى في جسم كل شاب بطول السلسلة الفقرية حتى الرقبة. ويبرز طرفها السفلي من الجسم، ويوضع في حفرة بالساق التي في جسم الحصان، وهكذا يرص الخمسون راكباً في دائرة حول القبر؛ ويتركون على هذه الصورة. ويمكن ان ترينا بقايا المدافن السكيثية الوصف العام لطريقة حفر القبور والأضرحة. ومع انه لم يتفق لحد الآن على وحدة معالم هذه المدافن، فإن التفاصيل تظهر على الأغلب متعلقة بعضها

يبعضها الآخر وتتشابه فيما بينها. والمواد الظاهرة للعيان عامة هي فضية ونحاسية، وقد سرقت أغلبها على مر القرون، وأن نسبة المواد التي صنعت من الذهب عجيبة وتجلب الانتباه. وتؤكد كل هذه المواد على ان ملوك السكيث كانوا يسيطرون على موارد الرزق في بلاد الألطاي. وتظهر هذه المواد بصورة مدهشة ومثيرة في مدافن أفراد الطبقات العليا للقبائل. ومما يلفت النظر هو تفوق السكيث على جيرانهم في عمل نوع بسيط من العظام الملونة وذلك بصبغها بمغرة حمراء على الطريقة البدائية. أما أثاث المدفن فكان مجرد بعض أباريق فضية الصنع وأدوات من حجر الصوان والصخور أو النحاس مع زخارف فضية ونحاسية. وكانت هذه المدافن تحفر تحت رواب عالية وتحتوي على حجرات فيها شيء من الاتقان وضعوا فيها محتويات متعددة. ويحتمل ان بعضها كانت تخص الكيميريين.

أما تخطيط المدافن فيمكن ان يقال انه كان صورة مشوهة للتخطيط الاغريقي فيما بين القرون ٧ ـ ٢ق.م وأكثر هذه المدافن اكتشفت في الانحناءات الكبيرة لنهر الدنيبر (بلاد كيرهوس) كما اكتشفت في الجنوب الغربي لمركز موطنهم وكذلك في مملكتي كييف وبولتافا مع بعض الاختلافات ـ أي كانت نسبة عدد الخيول فيها قليلة ـ وتؤكد هذه المدافن على ان السكيث كانوا قد توطنوا هنا وتوزع آخرون منهم في السهول الشمالية للقرم حتى منطقة كيرج وكول أوبا التي امتزج فيها الفن السكيثي باليوناني. وعلى العموم فإن هذا الفن كان يونانياً في الظاهر وبربرياً في المحتوى. وفي شرق مائيوتيس، وعلى طول نهر كوبان تنتشر مجموعة من الروابي هنا وهناك وهي جزء من آثار الحضارة التي كانت في كيرهوس ولكن بشكل أقل اتقاناً. ومع ذلك فإننا لا نستطيع ان نرى مدفناً واحداً متكامل الأدوات، إلا ان رابية (جيرتوملك) يمكن ان تكون نموذجاً لهذا النوع من المدافن، وكان ارتفاع الرابية ٦٠ قدماً ومحيطها ١١٠٠ قدم وقد بنيت قاعدتها وممشاها من الحجر وفيها بعض الحجرات، وفي الحجرة المركزية كان كل شيء مرتبكاً، ولكن كان الملك هنا يظهر ممدداً على

نعش، كما اكتشفت ممتلكاته وقد جمعت بجانب المكان وتشتمل على كيس القوس والسهم مع غمد سيفه بالاضافة إلى بعض الصحون الذهبية ذات معالم يونانية، ووجدت كذلك هناك ثلاثة سيوف بنُصُب ذهبية مع سوط ورؤوس سهام عديدة بجانب أدوات أخرى مصنوعة من الذهب.

أما في الحجرة الشمالية الغربية فقد وجد هيكل عظمي لامرأة مع مجوهراتها الشخصية وهي في الغالب أعمال يونانية، وكانت المرأة ممددة بجانب رجل. وفي الحجرات الأخرى دفن ثلاثة رجال آخرون وجُهّزوا بأسلحة بسيطة وبعض الزخارف وكانت ملابسهم مزركشة بصور مئات الأوعية الذهبية وبأشكال مختلفة وبجانب كل هيكل عظمي وضعت كؤوس شراب مع ست جرار حفظت فيها ذخيرة شراب العنب. وكانت هناك آثار لعظام الضأن لا تزال تشاهد في مرجلين برونزيين، وأبدع أثر ضمن مخلفات هذا المدفن كان مزهريتين ارتفاعهما ثلاثة أقدام وهما للتعليق، وكان أجمل شيء في المزهريتين هو صور النباتات ذات الأشواك بأوراقها الخضراء، وعلى كتفي المزهريتين نوع من الافريز يصور بعض البدو من السكيث يصيدون أفراساً وحشية، وهذا النوع من الصيد كان مألوفاً وشائعاً عندهم.

وعلى غرب المدفن المذكور كانت هناك ثلاث حفر مربعة فيها بقايا عظام الخيول مع أدواتها وسروجها. ووضعت هياكل بشرية في حفرتين أخريين بجانب تلك الحفر الثلاث. ومن خلال الأشكال الفنية ذات النمط الاغريقي في هذه المواد نرى أنها ترجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد. وفي الكسندربول وسولوخا الواقعتين في المنطقة نفسها، اكتشفت مدافن مشابهة كان بعضها غنياً بالآثار، ولعل أشهرها مدفن (ملكونوف) الذي اكتشف عام ١٧٦٠م وقد ظهرت فيما بين موادها أعمال متأثرة بالفنين الآشوري واليوناني يرجع زمنها إلى القرن السادس قبل الميلاد، كما كان الحال في مدفن كول أوبا. وتعبر هذه المواد عن بعض العلاقات الاجتماعية عند طبقة الملوك.

فكان للملك على ما يظهر زوجة خاصة وخادم خاص وخيل خاصة وجرة خاصة للشراب مع مرجل خاص لطبخ لحم الضأن مثلما تشير إليه آثار عظام هذا الحيوان. هذا بالاضافة إلى الكؤوس الخاصة بالشراب وأسلحة الملك الشخصية. وكل هذه المواد مصنوعة بصورة بدائية.

أما في شرق مائيوتيس وعلى نهر كوبان فثمة مدافن عديدة وأشهرها مجموعة تشتهر باسم (الاخوان السبعة) وكذلك مدافن كوستروسكايا وأول وكليرمس وغيرها.

من كل ما جاء تعرفنا على المراحل والأوضاع التأريخية التي وصلتها المجتمعات السكيثية، ومن ضمنهم الكيميريون والسرمات، وأحفادهم من الآلان بعدما شاهدت قبائلهم البدوية المحن والأهوال أثناء هجراتها في مساحات شاسعة بين ثلاث قارات آسيا، أوروبا وافريقيا، واستطاع قسم منها الاستقرار النسبي في شمال كل من قفقاسيا والبحر الأسود، لكن الباقين ظلوا في طريقهم نحو ممرات قفقاسيا واحتكوا بمراكز الحضارة في شمال بلاد ما بين النهرين وكردستان حيث تأثروا بها كثيراً ونقلوا بعض معالمها إلى بلادهم الأصلية سكيثيا.

الفصل الرابع

مظاهر لقاء الأسلاف

أ ـ اللقاء على المستوى القومي في عصر ما بعد الميلاد

أشرنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب الى أن قسماً من اللان (الآلان) ظهروا في قفقاسيا، وحاولوا العبور نحو الجنوب، وكان لهم شأن فيها في وقت من الأوقات. وقد تحدث عنهم المؤرخ الأرمني موسى الخوريني في القرن الخامس الميلادي بالاضافة الى أنهم ذكروا في الأغاني الملحمية الأرمنية. لذلك فلا غرابة من أن تلك البلاد التي اشتهرت في العصر الاسلامي بالثغور، عرفت في الأصل بباب اللان (دريال Darial).

ذكر ابن العبري، المؤرخ الكنسي المشهور بار هيبرايوس ١٢٢٦م - ١٢٨٦م، أخباراً حقيقية عن نزوح هؤلاء الآلان نحو الجهات الجنوبية من قفقاسيا، تشمل البلاد الآذرية والأرمنية والكردية آنئذ، وذلك خلال النصف الأول من القرن العاشر الميلادي حيث يقول:

«توغل الآلان مع الصقالبة واللاظ الى أذربيجان خلال حكم الخليفة المستكفي ابن المكتفي واستولوا على مدينة برذعه وقتلوا ما يقارب عشرين ألف رجل»[1].

(١) The Chronolography of Bar Hebraeus. Vol. I, p. 163.

والواقع أن المستكفى بالله (عبد بن علي) هو ابن الخليفة المكتفي (٣٣٣هـ - ٣٣٤هـ المصادف ٩٤٤م - ٩٤٥م) عزله معز الدولة البويهي ومات سجيناً في بغداد.

وكانت ظاهرة التوغل من الممرات القفقاسية نحو تلك البلاد من الأمور السائدة منذ أقدم الأزمنة، وتصدى للأمم المتوغلة الأكاسرة والقياصرة مراراً، إلا أن مدينة برذعه، وكذلك الاقليم الذي اشتهر باسم (أرّان)، وهو بلاد أذربيجان السوفياتية سابقاً، مع مدن دوين وآني ونشوى وغيرها أصبحت ومنذ هذا الوقت واسعة وقاعدة لنظام سياسي كردي ذات طابع اسلامي اشتهرت بالدولة الشدادية. لذلك أشار أحمد بن لطف الله منجم باشي الى أن:

«أرّان هو إقليم مشهور يتاخم أذربيجان من جهة الغرب منها ويحدّدها من الغرب حدود أرمينية ومن الشرق والجنوب أذربيجان ومن الشمال جبال القبق ومن قواعدها نشوى وهي نقجوان وباب الأبواب يقال لها في زماننا هذا باب الحديد عبارة عن ناحية واسعة لها حكام مستقلون ومن قواعدها كنجه... ومن مدن أران المشهورة تفليس وشمكور والبيلقان وسرير اللان».

ويضيف منجم باشي قائلاً:

«... إن بني شداد حكام أران الأكراد كان دار ملكهم مدينة دَبيل ثم جنزه (كنجه) وابتداء ظهورهم ٣٤٠هـ/٩٥١م وانقراضهم في سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٥م ومدة امارتهم ١٣٨سنة»(٢).

---

(٢) انظر الفقرة الرابعة من (باب الشدادية) لكتاب: **جامع الدول**، تحقيق مينورسكي. ويعتقد أن مدينة جنزه (كنجه) هي مدينة دوين (دفين Divin) التي سكنها أيوب والد صلاح الدين الأيوبي مع أهله عندما التجأوا الى عند الشداديين، وكانت هذه المدينة العاصمة القديمة للأرمن ثم جعلها الشداديون عاصمة لدولتهم الكردية الاسلامية قبل أن ينتقلوا الى عاصمتهم الثانية (آني). ويقول ياقوت الحموي بأن «دوين بلدة من نواحي أرّان في أخر حدود آذربيجان بقرب من تفليس منها ملوك الشام بنو أيوب»، انظر: **المعجم**، مادة دوين والحقيقة أن هذه المدينة لم تكن قرب تفليس التي غدت فيما بعد عاصمة لجيورجيا. ويضيف ياقوت قائلاً أن «أرّان اسم أعجمي لولاية واسعة وبلاد كثيرة. منها جنزه وهي التي تسميها العامة كنجه، وبرذعه وشمكور وبيلقان. وبين آذربيجان وأرّان نهر يقال له الرس (ويقصد آراس أو آراكس... ج.ر) كل ما جاوره من ناحية الغرب والشمال فهو من أرّان، وما كان من جهة المشرق فهو من آذربيجان»، انظر: **المعجم**، مادة أرّان. =

وقد سبق المسعودي منجم باشي بعدة قرون عندما حدد بعض جهات هذه البلاد مشيراً الى مناطق سكنى اللان حيث يقول:

«بعد مملكة السرير تلي مملكة اللان وملكها يقال له كركنداج هذا الاسم الأعم لسائر ملوكهم، وكذلك فيلان شاه، فهو الاسم الأعم لسائر ملوك السرير ودار مملكة اللان يقال لها معص (والصحيح مغص = مكس... ج.ر) وتفسير ذلك الديانة [الدماثة] (والصحيح الذبابة... ج.ر) وبينه وبين صاحب السرير مصاهرة في هذا الوقت... وبين مملكة اللان وجبل القبخ قلعة وقنطرة على وادي عظيم يقال لهذه القلعة قلعة باب اللان»[3].

= تعرف جنزة عند الروس ومنذ عام ١٨٠٤م باسم يليساوتيبول Jelisawetpol ولا يزال سكان المدينة يعرفونها باسمها القديم (كنجه). ويذكر موسى كالانكاكاتسي المؤرخ الأرمني انها أسست في عهد الحكم الاسلامي عام ٨٥٤م. أما حمدالله القزويني فيذكر أنها أسست عام ٣٩ هجري ويوافق سنة ٨٥٣ - ٨٥٤ ميلادية. ولم يذكر البلدانيون المتقدمون المسلمون مثل ابن خرداذبه واليعقوبي شيئاً عن هذه المدينة. ويظهر أن جنزه اشتقت اسمها من عاصمة آذربيجانية كانت قائمة قبل ظهور الاسلام وهي تشاهد الآن من خلال ضرائبها المعروفة بتخت سليمان. واقتصر الاصطخري على القول بأنها بلدة صغيرة على الطريق من برذعه الى تفليس. وأصبحت هذه المدينة قصبة أرّان بعد اضمحلال برذعه واتخذها البيت الشدادي مقراً لحكمه حوالى عام ٣٤٠هـ/ ٩٥١م ثم قضى السلطان ملك شاه (٤٦٥هـ - ٤٨٥هـ المصادف ١٠٧٢م - ١٠٩٢م) على الحكم الشدادي فيها ثم أقطع ولده محمد مدينة جنزه. وفي عام ١١٣٨م - ١١٣٩م (على رأي عمادالدين الأصفهاني) وفي ١١٣٩م - ١١٤٠م (على رأي ابن الأثير) حدث زلزال دمّر هذه المدينة ومات بسببه ٣٠٠ ألف نسمة. وقد نهب ديمتريوس ملك الكرج (الجيورجيين) مدينة جنزه المخربة وحمل معه أحد أبوابها... وكانت تعد في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) من أجمل المدن في آسيا الغربية. وقد عاش الشاعر نظامي كنجوى (وهو من أب تركي وأم كردية) في ذلك العهد. ولم يجسر المغول عندما ظهروا أمام جنزه عام ٦١٨هـ/١٢٢١م على مواجهة حصونها المنيعة، وقد برهن سكانها على شجاعتهم في عدة وقائع نشبت بينهم وبين الكرج. وفي عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م استولى جلال الدين خوارزمشاه على جنزه، واستولى المغول على المدينة في سنة ١٢٣٥م ثم أحرقوها. **دائرة المعارف الاسلامية**، مادة جنزه.

(٣) المسعودي، **مروج الذهب**، الجزء الأول، ص ١٩٨ (طبعة بيروت، ١٩٦٥). وقد ذكر ياقوت الحموي دار ملك اللان بصيغة (مغص). انظر: **معجم البلدان**، =

وهكذا فإن هذه المناطق كانت نقطة تماس بين اللان والكرد. وإذا كان الكرد لم يتوغلوا أكثر شمالاً فإن اللان استطاعوا اختراق المجتمعات الكردية جنوباً، حتى انهم أتوا من ممرات الدريال وهاجموا اقليم أرّان في أعوام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م و٤٥٧هـ/١٠٦٥م(٤). ومن خلال ما أبقوه من تسمية قومية وتراث لغوي وأدبي في بلاد الكرد يمكن أن نعتقد بأن مجموعات من هؤلاء اللان قد انتشروا بين القبائل الكردية. ففي قفقاسيا ظل الأوسيتيون هم الوحيدين في العالم الذين يتميزون بمحافظتهم على اللغة الآلانية التي كانت تتداولها مجموعات كبيرة من القبائل عاشت في رقعة واسعة بين قارتي آسيا وأوروبا ولمدة غير قصيرة كما توضح في الفصل السابق، لكن البقية الباقية منهم تسكن الآن في أواسط قفقاسيا، ولغتها تتفرع الى لهجتين شرقية وغربية أي الإيرونية والديكورية(٥)، وقد جاءت تسميتهم متطورة من اسم (ياس) الذي ظهر في المصادر الروسية القديمة وهو مشتق من (آس) الجيورجية(٦).

= مادة اللان. والحقيقة أن الاسم في الأصل هو (مكس) في الكردية والآلانية واللغات الايرانية الأخرى ويعني (الذبابة) وليس (الدماثة أو الديانة) التي نسخها الناسخ خطأً في كتاب المعجم. ويذكر الدكتور فريح بأن هناك قصبة كردية باسم (مكس) واقعة في ولاية (وان) يسكن حواليها بعض من عشائر الشكاك الكردية. انظر: الدكتور فريح، كردلر (استنبول، ١٣٣٤)، ص ٦٣، بالتركية العثمانية كما أن هناك قضاء آخر بنفس الاسم في ولاية هيكاري الكردية في جنوب شرق تركيا، ولد فيه الشاعر الكردي فقي طيران عام ٧٠٢هـ المصادف ١٣٠٢م - ١٣٠٣م.

(٤) انظر كتاب: مينورسكي، **فصول من تأريخ الباب وشروان**، ص ١٤٥ من النسخة الروسية وكذلك ص ١٠٧ من الترجمة الانكليزية.

(٥) وقد جاوروا التتر من الشرق كما سكنوا على نهر الدون. للمزيد من المعلومات حول هؤلاء انظر:

Mullenhoff, Uber Die Herkunft Und Sprache Der Pontischen Skythen und Sarmaten. Monatsbericht Der K. Pr. AK. d.w., (1866), p. 549 ff.

(٦) **دائرة المعارف التأريخية السوفياتية**، الجزء الأول، ص ٣٣٠، مادة الآلان ويقول بارثولد بأن تسمية (آس Ass) دونت في الكتابات الشرقية فقط، أما عند الرحالة الأوروبيين والبعثات التبشيرية فكان هؤلاء معروفين بـ(آلاني Allani). وفي زمن الفتوحات المغولية أصبحت مناطق سكنى اللان شمال دربند (الباب)، انظر **دائرة المعارف الاسلامية**، الجزء الأول (لندن؛ ليدن، ١٩١٣)، ص ٣١٢.

أما بين الكرد فقد ظل اسم الآلان كما هو بالمعنى الأثني العشائري ويشكلون الآن بطناً من بطون قبيلة (سوسني) التي تنقسم الى عشيرتي برياجي وميلكاري اللتين تسكنان بين منطقتي سردشت ووزنه. وظل هذا الاسم كذلك بمفهوم جغرافي في المنطقة الكردية الواقعة على الحدود العراقية ـ الايرانية قرب كه لادزي (قلعة دزه). هذا بالاضافة الى أن مناطق سنندج (ولاية كردستان بإيران) تسمى لحد الآن محلياً بأردلان (أي أرض اللان). وهنا أيضاً منطقة باسم آلان وسيُويل تقع جنوب السليمانية في منطقة شهرزوز وتشتمل الآن منطقة آلان في الحدود العراقية ـ الايرانية على قرى عديدة منها بيزو Beju وبيتوش Betush وكرماوان Garmawan وأشكان وميركاسه Mergasa ومزناوه ودولكه وكرويس Girwess وهرزنيّ Harzane وغيرها، وتسكنها عشائر ميراودلي وبابير آغالي ومجموعات أخرى. وهناك في مقاطعة درسيم بكردستان/ تركيا وفي وسط الزازا الكرد، الآلان كعشيرة كردية معروفة عاشت في منطقة نظامية (قزل كيلسه = الكنيسة الحمراء)(٧). ويرى فلجيفسكي المتخصص السوفياتي في الأثنوغرافيا الكردية أن:

«هؤلاء الآلان كانوا قد سكنوا في منطقة موكريان الكردية خلال القرن الحادي عشر الميلادي».

وبالرغم من هذه الحقيقة فإنه أخطأ عندما أشار الى تطور اسم الآلان من الكلمة السريانية (عالو) التي تعني القلعة أو الحصن، لكنه أوضح قائلاً ان:

«أصل الآلان في قفقاسيا وأولئك في موكريان الكردية هم الألبان القدماء الذين سكنوا على سواحل بحر الخزر... وتطورت تسمية أرّان في القرون الوسطى من مصطلح آري».

ومع صحة أقواله الأخيرة فإن بعض حججه غير مؤكدة لتبريرها كلياً(٨).

---

(٧) بالتركية Dr. Vet. M. Nuri Dersimi, **Kurdistan Tarihinde Dersim** (Helep, 1952), S. 56.

(٨) انظر بالروسية: O. Vilghevsky, **Kurdi**, M (1961), Str. 136.

وهناك حقيقة تأريخية تشير الى أن المقاطعة الواقعة غربي تبريز حالياً المشهورة بـ(كوني Guni) دونت اسمها في الوثائق القديمة وخاصة المالية منها باسم (آرونق) وقد دوّن خطأً بصيغة (أرْوَنَق). والاسم آرونق هو صيغة عربية اسلامية لـ(آرانك) أي أرّان الصغرى وكانت تشكل جزءاً من أران الكبرى التي شملت بلاد أذربيجان وكانت توأماً لها اسمياً. وبما أن هناك تبايناً في المناخ بين الشمال والجنوب بأذربيجان، فقد أصبحت آرانك اصطلاحاً مرادفاً للمنطقة الحارة في العصرين المغولي والتركي، لذلك فالكلمة التركية المحلية (آرانلوق) حالياً تعني في أذربيجان معنى المناطق الحارة.

أطلق الرومان اسم ألبانيا على بلاد أرّان، وشوهد في المدونات الأرمنية بصيغة (آغوان) وقرىء كذلك (آلوان)، وكل هذه الصيغ لها علاقة باصطلاح آر Ar (أير Er) نسبة الى الآريين وبالدقة قبائل آري زانت الميدية التي انتشرت هنا في مطلع الألف الأول قبل الميلاد.

ترسخت آثار الأحداث التأريخية في التراث اللغوي والأدبي والأثنوغرافي للشعوب تناقلتها الأجيال لتظهر فيما بعد بشكل وبآخر أساساً من الأسس الذاتية القومية في زماننا سواء عند الكرد أو الأرمن أو الأذربيجانيين، فالمغنون في منطقة (كوختانا) يسردون أخباراً عن هجمات الآلان على أرمينيا، كما يتغزلون بجمال الملكة الآلانية (ساتينيك)، ويتحدثون في أغانيهم عن زواجها من (أرتاشيز ملك أيكازيان)[٩]. وبالرغم من أن الآلان وأسلافهم من السكيث والسرمات لم يخلفوا لنا نصوصاً مكتوبة ذات أهمية، إلا أن ألقاب شخصياتهم البارزة وأسماء قبائلهم التي دونت في مصادر مختلفة، توضح مدى تأثرهم وتأثيرهم لغوياً ليس بلغات شعوب جنوب غرب آسيا من أرمن وكرد وآذر فحسب، وإنما في جميع اللغات السلافية وبالأخص الروسية والبلغارية والبولونية، حتى إننا نشاهد ذلك في

(٩) انظر مقال نالبنديان باللغة الروسية:

G. M. Nalbandiyan., «Armiyanskie Lichniye Imena skifo - Alano - Osetinskogo Proiskhojdeniya. Akademiya Nauk Gruzinskoy Ssr Yugo - osetinskiy Nauchho - Isslodavatelskii Filologii» (Tbilisi, 1977), Str. 260.

اللغة المجرية (الهنغارية) أيضاً التي لا تدخل ضمن اللغات الهندية الأوروبية وهي غريبة عنها. ومن المفيد الاشارة هنا الى أن أشهر زعيم للاتحاد القبلي البلغاري الذي قاد البلغار القدماء الى شبه جزيرة البلقان (بلغاريا حالياً) من موطنهم الأصلي على نهر الفولغا، كان يحمل اسماً آلانياً وهو الخان (أسبروخ Asparukh) وكوّن البلغار بذلك دولتين في أوائل القرون الوسطى، احداهما على نهر إتيل (الفولغا) والأخرى على الدانوب شمال بلغاريا[١٠]. وتأثر البلغار الذين هاجروا

---

(١٠) انظر: **دائرة المعارف الاسلامية**، مادة البلغار. والواقع أن بلغار اسم شعب لا يعرف أصله على وجه التحقيق، تكونت منه دولتان في أوائل القرون الوسطى احداهما على نهر ايتل (الفولغا) والأخرى على نهر الدانوب. وقد ورد اسم البلغار لأول مرة في القرن السادس الميلادي في التأريخ الكنسي لزكريا الخطيب حوالى ٥٥٥م بين قبائل القوقاز الرحل الذين يسكنون الخيام ويقتاتون لحوم الماشية والأسماك. انظر:
F. J. Hamilton, and E. W. Brooks., The Syriac Chronicle Known as that of Zachariah of Myrilene Anecdota Syriaca (London, 1899), P. 328.
ويذكر يوحنا الأفسوسي حوالى عام ٥٨٥م قصة ورد فيها اسما بلكاريوز Bulgarioz وخزريج Khazarig الذين انحدر من صلبهما البلغار والخزر على أنهما أخوان. ويقول الاصطخري (طبعة كويه، ص ٢٢٥) أن لغة البلغار في مناطق أتيل تشبه لغة الخزر. وهذه الرواية على جانب كبير من الأهمية، ذلك لأن هذا الجغرافي يؤكد وحدة اللغة بين جميع الشعوب التركية من الخرخيز (القرغيز) والتغزغز في الشرق الى الغز في الغرب، ووحدة الأصل التركي للبجناك أو البشناك. ولا يمكن أن تكون لغة الخزر والبلغار هي عين لغة الترك والروس عامة - والصورة التي رسمها ابن فضلان للبلغار وبلادهم أكمل من سواها . وما هو جدير بالذكر أنه اطلق اسم الصقالبة على بلغار نهر أتيل، وقد قطع ابن فضلان المسافة من الجرجانية بالقرب من المدينة الحديثة المعروفة بـ(كنية أو كنح) في خيوة الى حاضرة البلغار في سبعين يوماً. وتحدد خرائب بلدة بلكارسكوى أو أوسينسكوي في مركز سيسك من أعمال قازان موقع الحاضرة (بلغار)، وهذه الخرائب على مسيرة ٢/١ ٦كم من الضفة اليسرى لنهر أتيل. وهذا يتفق تماماً ورواية ابن فضلان. ونستنتج من ذلك أن المدينة ومجرى النهر لم يتغير موضعهما منذ القرن العاشر الميلادي. ولا يوجد وصف سوى هذا في رسالة ابن فضلان ولا فيما نقله عنه ياقوت الحموي، كما أنهما لم يتعرضا لمدن أخرى في هذا الاقليم. وقد ذكر الاصطخري مدينتي بلغار وسوار وهما قريتان أحدهما عن الأخرى وخرائبهما اليوم بالقرب من (كوزلجيخة) وكان بكل منهما مسجد. ولابد أن يكون انفصال البلغار عن الخزر قد تم قبل قيام الحكم الخزري في أوروبا الشرقية. واعتاد ملك البلغار على الإتيل أن يسير راكباً خلال عاصمته =

الى جهات نهر الدانوب واحتلوا المناطق الجنوبية منه في القرن السابع الميداوي باللغات السلافية كلياً بعدما تركوا لغتهم الأصلية التي كانت من صنف اللغة الخزرية أصلاً(١١)، لكنهم، في الوقت نفسه، حافظوا على مفردات كثيرة آلانية وسرماتية التي تشترك معها اللغة

= بمفرده من غير أن يصحبه أحد من حرسه وكلما رآه أفراد رعيته قاموا عن مقاعدهم وكشفوا عن رؤوسهم. وكان البلغار كأهل خوارزم يغطون رؤوسهم بالقبعات المرتفعة التي يسميها العرب القلانس.

ومهما يكن من أمر، فإن علاقة بلغار إتيل ببغداد لم تنقطع. ويقول المسعودي في: **مروج الذهب** (الجزء الثاني، ص ١٦) ان أحد أبناء ملك البلغار حج الى مكة في عهد المقتدر، أي قبل عام ٣٢٠هـ/٩٣٢م وانه اهتبل الفرصة ومر على بغداد وقدّم فروض الطاعة للخليفة. وكان البلغار أكثر اتصالاً بمملكة السامانيين لأسباب جغرافية. وهناك سكة فضية تحمل اسم الأمير البلغاري طالب بن أحمد ضربت في سوار عام ٣٣٨هـ/٩٤٩م - ٩٥٠م وكذلك في ٣٤٠هـ/٩٥١م. كما أن هناك سكة للمأمون بن أحمد، ويحتمل أن يكون أخا طالب وخلفه الذي كان أيام الخليفة المطيع الى عام ٣٦٣هـ/٩٧٤م، وكان للمأمون بن الحسن أمير البلغار في عهد الخليفة الطائع حق ضرب السكة.

ويقال ان الروس غزوا أراضي البلغار والبرطاس والخزر كلها وتركوها خراباً بلقعاً خلال القرن العاشر الميلادي وفر الذين نجوا من القتل الى شبه جزيرة سياه كوه (منغشلق) وباب الأبواب في بحر الخزر. ويقول المؤرخون المسلمون أن سقوط مملكة البلغار النهائي وتدمير عاصمتها حدث في خريف عام ١٢٣٦م بينما يروي مؤرخو الروس أن ذلك حدث عام ١٢٣٧م. وقد زار يوليان المجري الدومنيكي بلغاريا الكبرى عام ١٢٣٤م وعاد الى المجر عام ١٢٣٦م وبعد أن ضم المغول مملكة البلغار على نهر إتيل الى مملكتهم القبلية الذهبية يظهر أن العاصمة (مدينة بلغار) استعادت بعض ما كان لها من ازدهار بعد ذلك بقليل. والروس خربوا بلاد البلغار بعد ذلك عام ١٣٩٩م، ومن المحتمل أن تكون هذه المدينة قد تأثرت أكثر من ذلك بظهور مدينة قازان التي أسسها قبيل ذلك (باتوخان). ويقول بارثولد بأن للغة البلغارية صلة بلغة الخزر واللغات التركية والفنية وهي لغة البرطاس أحسن تفسير، والمعروف أن الجواش هي لغة تركية ولكنها غير مفهومة من الشعوب الأخرى التي تتكلم التركية، وعلى هذا الأساس أن الجواش المحدثون لم ينحدروا من سكان نهر أتيل، ولكنهم انحدروا من جماعات بلغارية كانت تعيش دائماً في الغابات، ولم تتأثر بالثقافة الحضرية الاسلامية إلا قليلاً. للاستزادة من هذا الموضوع انظر **دائرة المعارف الاسلامية**، مادة البلغار.

(١١) انظر المصدر نفسه، وانظر أيضاً الى: **رحلة ابن فضلان**، تحقيق زكي وليدي طوغان.

الكردية أثناء عبورهم سهول سكيتيا القديمة. ومن جهة أخرى لاريب في أن الأعداد Ezer ۱۰۰۰، Sata ۱۰۰، Dasa ۱۰، Het ۷ «الألف، المائة، العشرة والسبعة» في اللغتين الهنغارية (المجرية) والفنلندية وفي غيرهما من لغات مجموعة الأوكرو- الفنية مشتقة من الآلانية التي تقابل (هزار، ست، ده، هفت) في الكردية.

ثم ان المفردات الكردية ر هـ سه ن Rasan (أصيل)، جو Jo (شعير)، مير Mer أو ميرد Merd (رجل) وكورك Gurg (الذئب) تقابلها في الآلانية (راسين، جو Jaw أو جيفا Jiva، مورت، وورك أو فورك[١٢].

وعلى ما جاء من حقائق، نستطيع القول ان الآلان الذين ارتحلوا نحو البلاد الكردية، وإن تمازجوا لغوياً وعرقياً مع الكرد ونسوا لغتهم الأصلية التي كانت تتقارب مع الكردية، إلا أن اسمهم ظل مستعملاً في تلك البلاد الى يومنا هذا. وان التقارب اللغوي بين هذين الشعبين (الكرد والآلان) ليس بظاهرة جديدة، وإنما ترجع الى مراحل مبكرة من العصر الميلادي. فمثلاً كانت الأسماء المركبة مع لفظة (أسب Asp) التي تعني الخيل في الكردية سائدة في السكيثية والآلانية واللغات التي تأثرت بها. فنرى زعيماً في شمال قفقاسيا يشتهر باسم (أسبوراك Asporak) عاش في القرن الرابع الميلادي ودون اسمه عند الأرمن[١٣]. كما اشتهر أسباروخ البلغاري في القرن السابع الميلادي في جهات البلقان دوّن اسمه في المؤلفات البيزنطية[١٤]، وكذلك أسبابار، الذي يعتبر أقدم اسم ميدي من العائلة الايرانية

---

(١٢) V. I. Abaev, **K Voprosi o Prarodine I Drevneyshikh Migratsiyakh Indoiranskikh Narodov.** Drevnii Vostok I Antichni Mir. M. (1972), STr. 28, 30.

(١٣) G. M. Nalbandiyan., **armyanski Lichnye Imena Skifo-Alano-Osetinskogo** Proiskhojdeniya-Yugo-Osetinskiy Nauchno-Issledovatelskii Institut an Gssp. Voprosi Iranskoy I Obshchey Filologi (1973), Str. 208.

(١٤) N. Todorov, op. cit. p. 20.

وكان أحد زعماء مقاطعة إيليبي في القرن الثامن قبل الميلاد في كردستان[١٥]، دونه الآشوريون في لوحاتهم ويعني (الفارس). وقد ظل هذا الاسم بالصيغة نفسها عند الآلان، فنرى (أسبابارا) في القرن الخامس الميلادي زعيماً آلانياً وقائداً رومانياً كاد أن يصبح صاحب الكلمة الأولى في العاصمة البيزنطية بعد موت مرقيان ٤٥٠م - ٤٥٧م[١٦].

أما عند السكيث فاشتهرت أسماء من نمط أسباباروس Aspa - bar - us (وهو أسبابارا مع زيادة لاحقة يونانية - وس - على الاسم) وبوراسبوس Bor - asp - us وأسباخوس Aspa - xos وغيرها[١٧]. والواقع إن معاني هذه الأسماء في الكردية والآلانية - السكيثية هي الحصان الأبيض (أسباروخ) وحمل الخيل أي فارس (أسبابارا) وقد أخذ في الكردية الآن صيغة (سواره) التي تطورت عبر سباباره - سباره - سواره واشتقت منها كلمة (سوبا) أي الجيش الذي تكون في الأصل من الفرسان. كما أن بوّراسب بدون اللاحقة اليونانية يعني الآن في الكردية الحصان الرمادي Bor Asp أو Aspa Bor.

وهناك أسماء آلانية - سكيثية مثل بازوك وأمبازوك الأخوين الملكين الأوسيتيين اللذين حكما في قفقاسيا في القرنين الأول والثاني الميلاديين اشتقت من كلمة (بازو) التي تعني (العضد) بالكردية والآلانية، وقد ذكر هذا الاسم كذلك الأرمن[١٨]، وتتداول الكلمة في الكردية وهي شائعة بصيغة (بازنك) أو (بازنه) بمعنى سوار

(١٥) وانظر الى ي. م. دياكونوف، **تاريخ الميديين**، (موسكو، ١٩٥٦م).

(١٦) محمود سعيد عمران، **معالم تأريخ الامبراطورية البيزنطية** (بيروت، ١٩٨١ م)، ص ٤٠.

(١٧) V. I. Abaev, **Osetinskiy Yazik I Folklor.** T.A.M-L, zd-vo an SSSR (1949), str. 157.

(١٨) G. Acharyan., **Slovar Armyanskikh Lichnikh imen.** T.I, str. 361.

وجمعها الأساور وهي بازو الأفغانية وبازك البلوجية وبازو الأوسيتية القديمة. وسمي أحد ملوك أربيك في أواخر العصر الوثني ومطلع العصر المسيحي باسم (مونو بازوس) وهو مونوباز شقيق وزوج الملكة هيلينا وهم من العوائل السكيثية التي حكمت منطقة أربيل الكردية في العصر الهليني.

وعلى هذا المنوال تتلاقى المفردات في اللغتين الآلانية ـ السكيثية والكردية فتكون مزده (البشرى) السكيثية بصيغة مزده Mijda الكردية وسادي (الفرح) بشكل شادي، لكن أخشين تتحول الى نخشين بمعنى السمراء وساوه الى سياه أي الأسود، ومن هذه الكلمة اشتقت التسمية العامة للسورمات (سرمات). كما شوهدت في المخطوطات التي ترجع الى القرن الخامس الميلادي اسم علم مذكر مشتق من هذه الكلمة بصيغة (سورماك)[١٩]. ولكن صيغتها المؤنثة شاعت بين الكرد بشكل سورما (سورماخانم) التي تعني أصلاً (الكحل) ولا تزال تستعمل بهذا المعنى في اللغة الكردية.

وهناك كلمات عديدة سكيثية تشبه مثيلاتها في الكردية منها: زوردو Zordo، بولون Bolon، ده رك Darg، أورويتين Oruytin، أونين Unin، خودين Khudin، زونين Zonin وأرازين Arazin، وتكون هذه الكلمات في الكردية بصيغة زراو (القلب)، به وران (في لهجة الزازا)، دريز Drej (الطويل) وتكون ده رك Darg في لهجة الزازا، هناردن (الارسال)، بينين أو وينين (الرؤية)، كه وتن (الوقوع)، خنين (الابتسامة)، زانين أو زونين (المعرفة) ورازاندن (التجميل) وترجع أصول كل هذه المفردات الى لغة واحدة وهي الآرية القديمة.

أما من ناحية التراث الأدبي فيمكن الشعور بالارتباطات الكردية ـ الآلانية من خلال القصة الفولكلورية والأدبية الكردية ممى آلان Mam E Alan حيث كانت شائعة في بلاد الكرد منذ أزمنة قديمة

(١٩) المصدر نفسه، ص ٥٨٩.

وتروى شفاها ثم درست دراسة أدبية وليست تأريخية، وجاءت نتائجها ناقصة.

يقول روجيه ليسكو Roger Lescot أنه:

«في القرن السابع عشر عندما حاول أحمد خاني الشاعر الكردي أن يرفع من شأن لغة قومه الى مرتبة اللغة الأدبية الرفيعة نظم عملاً أدبياً من وحي كردي صرف واختار (ممى آلان) موضوعاً لقصيدته».

ولكنه يضيف:

«إننا نجدُ أمامنا قصيدتين متميزتين في روحهما وأسلوبهما وأحياناً في محتواهما المختلف تماماً وهما ممى آلان كما يرويها القصاصون و(م وزين) لأحمد خاني».

لكن الدكتور عزالدين مصطفى رسول أشار الى أن الشاعر أحمد خاني (عاش فيما بين ١٦٥٠م - ١٧٠٦م)، كان قد اقتبس حججه ومقدمة قصته الشعرية من هذه القصة الفولكلورية (أي ممى آلان) ويضيف إلى ذلك قوله ان:

«هناك صوراً أو روايات ممزوجة بين - مم وزين - خاني وقصة - ممى آلان -»[٢٠].

وما تفسير حجة كون (مم) ابن ملك المغرب عند خاني غير تلك الحقيقة التي تؤكد على كون (مم) من أبناء الطبقة الأرستقراطية للآلان الغرباء الذين اعتقدت المجتمعات الكردية أنهم جاءوا من المغرب، أي

---

(٢٠) انظر: Roger Lescot., Mame Alan. Textes Kurdes, Deuxieme Partie. (Beyrouth, 1942),

ود. عزالدين مصطفى رسول، **أحمد خاني ١٦٥٠م – ١٧٠٧م شاعراً ومفكراً وفيلسوفاً ومتصوفاً** (بغداد، ١٩٧٩م)، ص ٤٥، ٤٦.

وقد أعاد كل من المهندس صلاح سعدالله ود. بدرخان السندي أقوال جيروك نفيس نفسها الذي اقتبس بدوره أقوال روجر ليسكو. لكن من الواضح أن هذه القصة قديمة جداً ويرجع أصلها الى عهد السيد المسيح وانها ظهرت بأشكال مختلفة واتخذت ألواناً متعددة بمرور الزمن، وان أحمد خاني نفسه كان قد اقتبس موضوع قصة (م وزين) من (ممى آلان).

من جهات الغرب وكانت هذه القصة متداولة على ألسن الكرد قبل أن يكتب خاني قصته (مم وزين) عام ١١٠٥ هجرية ويضعها في قالبها الشعري القصصي ويمنحها الخلود على حد قول الدكتور عزالدين مصطفى رسول[٢١]. ويظهر أن الناس ربطوا أصل بطلها بمناطق اللان في العصر الاسلامي، لذلك لجأ خاني في ملحمته الى ذكر نهري الكر وآراس اللذين يلتقيان في نقطة ليست بعيدة عن موطنه (بايزيد) ولا عن موطن اللان في شمال هذين النهرين. ولا غرابة في أن يصرح مم الآلاني انه لم ير بلاد جزيرة بوتان بالرغم من ادعائه انه من سليل سلاطين الكرد حينما يقول:

Bajare Ku Dibejy Bajare Cizyra Botana Mind Umre Xuada Aw Na Diyab Chava Na Jy Bihytiya B Guhana.

مدينة جزيرة بوتان لم أشهدها ولم أسمع عنها طيلة عمري

J Min Ra Dibejin: «Chalang Mame Alana Xuwarzeye Shexy Gurayshyyana».

يقولون عني مم آلان الشجاع أنا ابن أخت أمير القريشيين.

Amr Bage «Almas Bage Sultany Kurdana An Dar Bajary Magribyana Bajary Magriby Bajaraky Mazin» Pir Grana.

ابن أخ عمر بك وألماز بك سلاطين الكرد هنا مدينة المغرب مدينة المغرب مدينة عظيمة حافلة.

---

(٢١) يعتقد أن أصل الشاعر أحمد خاني من منطقة الهيكاري، وهو من قبيلة خانيان قدم الى مدينة بايزيد عام ١٠٠٠هـ/١٥٩١ - ١٥٩٢م وسكن فيها. انظر: معروف خزندار، **مخطوطات فريدة ومطبوعات نادرة**، الجزء الأول، (بغداد، ١٩٧٨م)، ص ٧٣. ويقول خاني في فصل الختام من ملحمته (مم وزين) بصراحة انه قد ولد في العام ١٠٦١ الهجري (أحمد خاني، **مم وزين** (موسكو، ١٩٦٢م)، ص ١٩٧، الهامش رقم ١) إلا أن جميع المصادر تكاد تؤكد ولادته في بايزيد ويبدو أن ذلك قد جاء اضافة على التواتر، من واقع أن خاني قد دفن في بايزيد الشرقية وأن ضريحه (لا يزال مزاراً للناس) فيها، غير أن واحداً من أحدث المصادر ينسبه الى قرية (خان) قرب بايزيد. انظر باللغة التركية:

أحمد خاني، **مم وزين**، ترجمة م.أ. بوز أرسلان (استنبول، ١٩٦٨م)، ص١٤.

وفي نسخة أوسكارمان نجد أن مم آلاني هو أمير اليمن، لكن الشاعر أحمد الخاني يقول في ملحمة (مم وزين) ان مم هو من احدى العوائل النبيلة في منطقة بوتان الكردية، غير أن هذا يشكل خرقاً كبيراً للأحاديث الشفوية المنقولة الأكثر دقة والأكثر انتشاراً حسب تعبير روجر ليسكو Roger Lescot حيث يقول متشائماً:

«انه يجد لزاماً أن يعترف ان كل الأحداث لا تسمح بتكوين فرضية حول أصل بطل قصة مم الآلاني»[٢٢].

ومع انه لجأ الى مقارنة هذه القصة مع روايات أخرى واعتمد في الأخير على نص شاري دي ميتيلين Chares de Mytilene الذي يبدأ القصة بوجود أخوين هما هيستاسبيس وزاريادريس، حكم أحدهما ميديا (وتشمل بالطبع كردستان وأذربيجان حالياً... ج.ر) وحكم الثاني الاقليم الواقع شمال بحر قزوين وحتى نهر تانايس (أي نهر الدون الذي هو مركز بلاد اللان)[٢٣] لكنه لم يستطع تفسير تلك العلاقة التأريخية بين الكرد واللان (راجع تفصيل القصة في الهامش). فيقول ان القصتين مبنيتان على الموضوع نفسه ولو ان الحبكة فيهما تختلف وان الخاتمة فيهما مختلفة أيضاً. ويمكن ايجاد

(٢٢) انظر كل من:

مه مى ئالان، جمع وتقديم جيروك نفيس، كتبها بالحروف العربية كل من صالح علي كوللي وأنور قادر محمد (بغداد: المجمع العلمي الكردي، ١٩٧٧)، ص ٥٠.

كذلك انظر ترجمة الدكتور سعدي البرزنجي لمقدمة القصة التي كتبها ليسكو في الجزء الثاني لسلسلة نصوص كردية في بيروت عام ١٩٤٢: روجيه ليسكو، **مه مى آلان Mame Alan**. ترجم مقدمته د. سعدي اسماعيل البرزنجي، **مجلة المجمع العلمي العراقي**، هيئة اللغة الكردية (بغداد، ١٩٨٩م)، ص ٣٦٧ - ٣٨٣.

وانظر أيضاً الى ترجمة النص الكامل للقصة بعنوان: **الأسطورة الكردية المغناة مم الآلاني**، جمع روجر ليسكو، ترجمها عن الكردية، د. بدرخان السندي (بغداد، ١٩٨٥)، ص ١٦.

(٢٣) يقول إدوارد كيبون بأن السهول الواقعة بين نهري الفولغا وتانايس (الدون) كانت مليئة بخيم ومساكن قبائل الآلان. حول تفاصيل هذا الموضوع انظر: ادوارد كيبون، **انحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية**، المجلد الأول (لندن، ١٩٥٢)، ص ٤١٧ باللغة الانكليزية.

شبه بين زاريادريس وم دون عناء. فإذا كان الأول ابن كل من أفروديت وأدونيس فإن ولادة الثاني مقترنة أيضاً بمعجزة، وبوز Boz حصان م حيوان خرافي خارج من البحار. وبين أوداتيس وزين، وبين هومارتيس وميرأزين، بين سائق العربة وبكلى. فقط الأشخاص الثانويون كملك الجن وبكو Beko وجلالي فقدوا في الرواية اليونانية المختصرة جداً في الحقيقة.

وفي الواقع ان أسماء الشخصيات في قصة الكاتب اليوناني شاري الميتيليني جاءت في صيغ إيرانية وقد ربطها المؤرخ الدانماركي آرثر كريستنسن بالروايات التي جاءت عند الفردوسي والثعالبي فصار هيستاسبيس فيشتاسيا وزاريادريس زاريفاري وكلاهما ابن لوهراسب، وبذلك فأصل القصة يرجع الى شرق إيران حيث حكمت أسرة هؤلاء الأمراء لا الى ميديا في الغرب التي حددتها رواية المسافر اليوناني بشكل تحكمي كموطن لأملاك تلك الأسرة. لكننا نخالف رأي روجيه ليسكو عندما يقول أن كريستنسن استنتج بحق أنه حصل تغيير في المكان نحو الغرب يشبه ذلك التغيير الذي جرى في زمن ما لمسرح أحداث وشخصيات القسم الأعظم من الأساطير الايرانية، فلا يوجد، والحالة هذه، ما يستبعد الاعتقاد بأن هذا التطوير قد تحقق بعد تبني الكرد للأسطورة الشعبية المحبوبة دائماً بين الأعاجم الساكنين في آسيا، وبأن زاريادريس قد تحول شيئاً فشيئاً الى ملك المغرب.

وحقيقة الأمر هي أن الأسماء الواردة في القصة هي آلانية (والأحرى سكيثية) واللغة السكيثية هي احدى اللغات الايرانية الشمالية الغربية بمفهومها الواسع التأريخي. وعلى هذا الأساس فأصل القصة يرجع الى العالم السكيثي عندما كان هؤلاء لا يزالون بدواً يرتحلون فيما بين شمال البحر الأسود في الغرب الى حدود الصين في الشرق. وبذلك لاريب في أن تنتقل القصة من الغرب الى الشرق وبالعكس. أما انتقالها الى الكرد فكان عن طريق الاحتكاك المباشر للآلان مع هؤلاء في العصر الاسلامي. لذلك فقد استطاع ليسكو أن يستنتج بتحفظ شيئاً من هذا

القبيل عندما أشار الى أن الأراضي التي حددت على أنها أراضي زاريادريس، وهي الموانيء القزوينية (القوقاس) وتانايس (الدون)، كانت في الواقع تلك الأراضي التي سكنها اللانيون في عصر أسبق، والحال أن اسم هذه العشيرة (آلان) لدى الكتاب الشرقيين يشبه بشكل جلي ذلك الذي ورد في رواية ممى آلان التي ليست كردية بحتة في الأصل. ولاشك انه افتراض خطير أن يحول ملك الكرد هذا ملكاً للآلانيين ولكنه افتراض مغر على كل حال. ونحن نتفق معه على أن الآلان قاموا في عهد الساسانيين بغزوات عديدة لجنوب قزوين متصلين هكذا بسكان جبال زاكروس ويحتفظ الفولكلور الأرمني بذكريات هذه العلاقات في أسطورة حب أنداشيز وأميرة اللانيين، كما احتفظ الكرد بقصتهم (ممى آلان)، والفرق هو أن الأميرة عند الأرمن كانت آلانية، لكن الأمير عند الكرد أصبح آلانياً.

لقد أورد كل من الدكتورين عزالدين مصطفى رسول وبدرخان السندي والمهندس صلاح سعدالله وجيروك نفيس آراء روجيه ليسكو نفسها على أنه لا يمكن تحديد زمن هذه القصة حيث يرجع أصلها، على حد قولهم، الى عهد السيد المسيح[٢٤]، وهذا إخفاق في البحث التاريخي.

(٢٤) انظر: **ممى آلان: ملحمة فولكلورية كردية**، ترجمة الدكتور عزالدين مصطفى رسول (بغداد، ١٩٨٤)، ص ١٨. وانظر أيضاً المصادر السابقة: ومع ذلك، وكعادته في الكتابات التأريخية والأدبية واللغوية، فقد أكد المهندس صلاح سعدالله بأن معرفته حول الآلان لا تتعدى مجرد التخمين. انظر: **ممى آلان**، بقلم جيروك نفيس، ترجمة المهندس صلاح سعدالله. (بغداد، ١٩٧١)، ص ١٣. وقد اعتمد هذا المترجم في ايجاد أصل هذه القصة على أقوال أوردها المؤرخ الدانيماركي آرثر كرستنسن ووقع في أخطاء مقصودة، وهذا ما يعرف عنه. فمثلاً حدد المواقع الجغرافية في القصة، فغير اسم نهر تانايس (الدون) الى نهر دجلة وهذا ما لم يورد في أقوال كرستنسن التي مفادها هو:
أن كاتباً يونانياً اسمه شاريس ميتيلني
Chares de Mitylene, Fragment in F. Jacoby. Die Fragmente Der Griechischen Historirer (Berlin, 1921). I. II B, p. 660.
قد وضع قصة مماثلة قبل الميلاد بخمسة قرون وينقلها كرستنسن كما يلي: «كان يوجد شقيقان اسم الكبير هيستاسبي واسم الصغير زاريادريس ويقال انهما كانا من=

إذا كان الفولكلور الأرمني قد حفظ ذكرى هذه العلاقات في أسطورة الحب بين أنداشيز (والأصح أرتاشيز) وساتانيك أميرة الآلان كما ذكر، فإن المصادر التأريخية قد حفظت حقيقة تلك الأحداث. ففي العصر الهليني حاول أنطيوخوس الثالث بن سلوقس الثاني والملقب بالكبير إنشاء امبراطورية جديدة على غرار امبراطورية الاسكندر المقدوني يكون هو حاكمها. وهكذا حاول فتح جوف سوريا ولكن بطليموس الرابع ملك مصر، أفسد خطته وهزمه في معركة رفح عام ٢١٧ قبل الميلاد،

= أبناء أدونيس وأفروديت. وكان الأخ الكبير يسيطر على ميديا والمناطق التي أسفلها (تحتها)، بينما كان زريادريس يحكم الأقليم الواقع في أعالي ميناء قزوين الى نهر تانايس، في حين كان الملك هومارتيس Homartes يحكم في مناطق ماراثيس Marathes فيما وراء ذلك النهر وكانت له ابنة تدعى أوداتيس Odates.

يروى أن أوداتيس رأت زاريادريس في حلمها وأحبته، وحلم زاريادريس بأوداتيس وعشقها في حلمه، ووقع الاثنان في حب عميق وبقيا مخلصين لحلمهما. كانت أوداتيس أجمل نساء آسيا وكان زاريادريس مشهوراً بوسامته. بعث زاريادريس رسالة الى الملك هومارتيس والد الفتاة طالباً يدها، إلا أن الملك لم يوافق ورفض الطلب، فلم يكن له وريث للعرش وأراد أن يزوج ابنته من أحد أفراد أقاربه. وذات يوم، دعا هومارتيس أقرباءه من أمراء مملكته وأصدقائه وأقربائه وزعماء البلاد الى اجتماع كبير بقصد تزويجها ولكن دون أن يفصح عن الشخص الذي اختاره زوجاً لابنته، وبعد انتهاء الضيوف من الأكل والشرب نادى الملك ابنته وقال لها بحضور الضيوف: ابنتي أوداتيس، نحن نحتفل بزواجك الليلة فانظري الى الضيوف جيداً فتمعني في جميع الحاضرين، ثم خذي كأساً ذهبياً واملئيه شراباً وناوليها الى الشخص الذي تختارينه زوجاً لك. تأملت أوداتيس في جميع الحاضرين، ثم انسحبت غارقة في البكاء. كانت تتحرق شوقاً لرؤية زريادريس وكانت قد أعلمته بأن زواجها قد اقترب، لذلك عسكر زريادريس في شاطىء تانايس. وفي الليل غادر مخيمه خلسة برفقة حوذيه فقط فتوجه بسرعة نحو حبيبته متنكراً، حيث رأى أوداتيس واقفة أمام الضيوف تملأ الكأس ببطء وتبكي فاقترب منها وهمس لها: أوداتيس، جميلتي ها أنا قد جئت طالباً يدك، أنا زاريادريس. وبرؤية هذا الغريب البهي الطلعة الذي فيه ملامح الرجل الذي رأته في حلمها طفت على الفتاة موجة من الفرح ثم ابتسمت وقدمت له كأس الشراب بسرور عظيم، فيأخذ زاريادريس الكأس ويرشف من شرابها ثم يمسك بذراع الفتاة ويخرجها من القصر ويضعها في عربته وينطلق. والضيوف والخدم الذين كانوا على علم بالحب بين هذين العاشقين تظاهروا بعدم المعرفة، وقد أجابوا على استجواب والد الفتاة بالنفي عن وجهة هروب الحبيبين، انظر:

A. Christensen, **Les Gestes des Bois dans les Traditions de l'Iran Antique** (Paris, 1936).

فيمم وجهه شطر الشرق والشمال، وقام بحملة عسكرية واسعة احتوت السنوات ٢١٢ - ٢٠٦ قبل الميلاد أعاد خلالها فتح أرمينيا وألحقها من جديد بالدولة السلوقية بعد أن أجرى مصاهرة مع ملكها أكسر كسيس Xerxes (خسرو) الذي تزوج بأخت أنطيوخوس الثالث نفسه وهو ينتمي الى الأسرة اليروانتية. وقد وصل حكم هذه الأسرة الى نهايته إثر مقتل ملكها الأخير يروانت الرابع، فإن أنطيوخوس نصب أرداشيس الأول حاكماً على أرمينيا الكبرى كخليفة للملك القتيل - مناطق شرقي نهر الفرات ومنها مدن أرضروم وموش ووان واربوان (يريفان) - كما عين زاريادريس حاكماً على مملكة سوفيني - المناطق التي تشمل مدن سيواس وأرزنجان وملاطية - ويشمل قسم كبير من هذه المناطق الآن بلاد الكرد. وعندما هُزم أنطيوخوس الثالث في معركتي ترموبيل ثم ماجنيسيا عام ١٩٠ (أو ١٨٩ قبل الميلاد)، أعلن أرداشيس الأول استقلال بلاده ونصب نفسه ملكاً عليها، وهو ما فعله زاريادريس أيضاً، حيث اعترفت روما بهذين الإعلانين. ورغم أن محاولة الملك أرداشيس (أرتاشيز) الأول (١٨٩ - ١٦٠ق.م) محاصرة المناطق الكردية التي اشتهرت في التأريخ بأرمينيا الصغرى وضمها الى أملاكه، قد بدت غير موفقة، إلا أنه نجح من جهة أخرى، في جعل دولته تغطي كافة المرتفعات الأرمنية - الكردية التي تمتد من الفرات غرباً الى بحر قزوين شرقاً، ومن القفقاس شمالاً، وحتى جنوب طوروس جنوباً بالاضافة الى قسم من بلاد الكرج (جيورجيا). وقد أجرى أرداشيس (أرتاشيز) تقسيمات إدارية، داخل دولته، ساعدت على تنظيمها وإعمارها. ثم ما عتم أن اهتم بالثقافة الهلينية فعمد الى نشرها وتعميمها بين مختلف الأوساط، بالاضافة الى نشاطه في المجال الاقتصادي حيث بنى الجسور والطرقات، واعتنى بالزراعة وتنشيطها. كما صد غزوات قبائل الآلان التي هاجمت بلاده، وانتهى الأمر بينه وبينهم الى زواجه من ابنة ملكهم[٢٥].

(٢٥) راجع تفاصيل هذا الموضوع في كتاب: **الأرمن في التأريخ**، لمؤلفه مروان المدور (بيروت، ١٩٨٢).

وهكذا فالواقع أن الأحداث المرتبطة بين قصة مم الآلان وقصة ميتيلني وشخصياتهما قد حدثت في البلاد الأرمنية والكردية، والمصاهرة حصلت فعلاً بين أرتاشيز والأميرة الآلانية، وإذا لم يكن التأريخ قد حفظ لنا خبراً عن زواج زاريادريس بأميرة آلانية فإن هذه القضية لم تكن مستحيلة في الحدوث آنئذ، إلا أن الأجيال اللاحقة وضعت فصول تلك الأحداث التأريخية ضمن قالب تراثي أسطوري تداولتها شعوب المنطقة فيما بعد على مر العصور.

ويتبين مما ذكر أن أصل القصة يرجع الى العصر الهليني، وبالتحديد القرن الثاني قبل الميلاد وليس كما ذهب اليه كل من د.عزالدين مصطفى رسول ود.بدرخان السندي والمهندس صلاح سعدالله وجيروك نفيس (نورالدين زازا) على أنه لا يمكن تحديد زمن القصة، الكلام المقتبس من ليسكو نفسه. وقد أشار د.عزالدين مصطفى رسول الى موضوع القصة على أنه أقدم من زمن الشاعر أحمد الجزيري الذي عاش فيما بين ١٤٠٧م - ١٤٨١م الذي ذكر في أشعاره اسمي مم وزين قائلاً:

Muyaky Ay J Ta Na Dam B Du Sad Zyn u Shirynrn Ch Dibit Gar Tu Hiseb Kay Ma B Far-had u Mame.

أنا لن أبدل شعرة منك بمائتي زين وشيرين
ما الذي يحدث إن اعتبرتني فرهاداً أم مماً(٢٦).

أو

شعرة منك توازي مائتي زين وشيرين
مثل فرهاد أو مم ما الضير لو حسبتني(٢٧).

---

(٢٦) البيت الأول من **العقد الجوهري في شرح ديوان الشيخ الجزري**، الجزء الثاني (القامشلي، ١٩٥٩م) ص ٦٨٦، الهامش رقم ٥.

ولقد ترجم الدكتور عزالدين مصطفى رسول في كتابه: **ممى آلان**، ملحمة فولكلورية كردية، ص ١٩ هذا البيت الى العربية كالتالي:

لن أبدل شعرة منك بمائتي زين وشيرين
فما لو حسبتني مثل فرهاد أو مم

(٢٧) ترجمة المهندس صلاح سعدالله، **لممى آلان**، ص ٨.

والدكتور عزالدين يعيد في هذا المجال آراء ليسكو التي استندت على أقوال كريستنسن مفادها أن قصة شبيهة بمم الآلان قد انتشرت بين الأمم الآرية قبل المسيح بألف عام، وهذا ما نراه في مؤلفات نورالدين زازا وبدرخان السندي وصلاح سعدالله ولم يضيفوا رأياً جديداً على ما قدمه ليسكو من قبلهم.

أما الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي فقد استطاع عام ١٩٥٧م وكذلك في ١٩٥٨م أن يترجم قصائد مم وزين نثراً الى العربية في يوم كانت النزعة الأدبية تفيض في كيانه، حسب تعبيره، وقد أعاد طبع هذه الترجمة عام ١٩٧٧م وأبدع في عمله(٢٨).

أصبحت هذه القصة الآلانية تشغل جزءاً من الفولكلور الكردي بعد نزوح قسم من الشعب الآلاني واستيطانه في كردستان في أواخر العصر الساساني وبداية العصر الاسلامي، ولكن القرابة التي تظهر بين فحوى هذه القصة وقصة روميو وجوليت في الأدب الانكليزي تأتي لتؤكد أصالة القصة عند قبائل الآلان ثم انتقالها عن طريقهم الى الجزر البريطانية بعد أن ساقتهم الامبراطورية الرومانية الى هناك في بداية العصر المسيحي، وانتشرت فيها كقصة فولكلورية الى أن صاغها شكسبير (١٥٨٣م - ١٦١٦م) في قالب شعري قصصي تماماً كما فعل أحمد خاني (١٦٥٠م - ١٧٠٦م) ذلك في المرحلة نفسها تقريباً.

وإذا جرت حادثة من هذا القبيل في المجتمع الكردي فلا بد أن البطل كان شاباً آلانياً اسمه (مم) الشائع في البلاد القفقاسية وشمال إيران وانتشر بين الكرد والديلم، إما بالصيغة نفسها أو بصيغة مملان المركبة (م + لان). ويظهر أن أجداد بطل قصة مم الآلان قد نزحوا من قفقاسيا الى الديار الكردية وخاصة في الوقت الذي كان اللان موالين لبيزنطة سياسياً وللكنيسة الجيورجية مذهباً. وكما كانت قارة أوروبا،

(٢٨) أحمد الخاني، مم زين: قصة حب نبت في الأرض وأينع في السماء، نقلها الى العربية وأقام بنيانها القصصي الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (دمشق، ١٩٧٧).

في أوائل العصر المسيحي، مسرحاً لنشاط القبائل البربرية ومنها القبائل اللانية فإن الجبهة القفقاسية كانت لا تقل في هذه الآونة نشاطاً بهجرة هؤلاء نحو الجنوب. ولا يخفى على أحد من أن مدينة بايزيد، موطن الشاعر الكردي أحمد خاني صاحب القصة الشعرية (مم وزين) كانت ولا تزال تقع على التخوم القفقاسية.

وإذا أردنا أن نكون أكثر دقة، فيجب أن نقول ان الاسم (مملان) هو غير متطور من اسم (محمد) ولا هو تحوير له، وإنما هو من الأسماء المحلية الشائعة في العصر الساساني مثل بيرمم (بير + مم). وقد اشتهر أحد أمراء الدولة الروادية الكردية في تبريز (أذربيجان) خلال القرن الحادي عشر الميلادي باسم مملان بن وهسوزان ٤٥٤هـ/١٠٦٢م. وما ذهب اليه الأستاذ أحمد كسروي تبريزي في ربط الاسم بمحمد وتبناه كل من مينورسكي والمؤرخ الكردي حسين حزني الموكرياني نتيجة لا يستند الى الواقع(٢٩) لأن (محو) أو (حمو) أو (ممو) هي

(٢٩) راجع هذه الآراء في:

أحمد كسروي تبريزي، **شهرياران كمنام** (تهران، ١٩٢٨ - ١٩٣٠)، الجزء الثالث، ص ٩. وانظر كذلك الجزء الثاني من هذا الكتاب الصفحات ٤٤، ٤٥، باللغة الفارسية؛

ف. مينورسكي، **دراسات حول تأريخ قفقاسيا** (لندن، ١٩٥٣)، ص ١٦٩ بالانكليزية؛

وحسين حزني موكرياني، **كردستان موكريان يا آتروپاتين** (رواندز، ١٩٣٨)، ص ٢٤٣ باللغة الكردية.

لقد أعاد الدكتور حسام الدين علي غالب النقشبندي في رسالته المقدمة الى كلية الآداب بجامعة بغداد للحصول على شهادة الدكتوراه والتي اطلعت عليها في حينه عندما كنت مدرساً للتأريخ القديم بقسم التأريخ في الكلية ذاتها الآراء نفسها الواردة في المصادر السابقة، وبالرغم من أنه استقى معلومات جيدة من الأجزاء الثلاثة لكتاب: **شهرياران كمنام**، لكنه لم يعط لصاحبه حقه حينما يشير الى أن كسروى تبريزي لم يفصل هذا التأريخ (ويقصد تأريخ الروادية والأحمديلية في أذربيجان) وذلك لقلة المصادر التي اعتمد عليها أولاً، حسب تعبيره، بعكس تقييم مينورسكي لهذا المصدر الذي أورده في بداية كتابه: **دراسات حول تأريخ قفقاسيا**. والواقع تعتبر أعمال العالم الجليل المرحوم كسروي تبريزي ولحد الآن من أبرز الدراسات التأريخية العلمية الجدية في إيران وأبدعها.

الصيغ الكردية لمحمد، وإذا كان (ممد) أو (مهمت) هو الصيغة التركية للاسم فظهور (مملان) في المنطقة يسبق هجرة الترك اليها. قد استند السيد حسام على غالب النقشبندي في رسالته المقدمة الى مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد لنيل شهادة الدكتوراه والموسومة ب(أذربيجان ٤٢٠ - ٦٥٤هـ/١٠٢٩ - ١٢٥٦م [٣٠]، على أقوال حسين حزني دون ذكر مرجعه فترجم العبارة الكردية الى العربية كما يلي:

«ويسمى محمد في آذربيجان (قمى) وأحياناً (ممل) على وزن (عمل) فالألف والنون في آخر الاسم (مملان) مزاده وكان شائعاً مثل هذا الاسم بين الايرانيين آنذاك، ومن جملة ذلك: فيروزان، روزبهان، مهران، سهلان، فضلان... والأصل هي: فيروز، روزبه، مهر... إلخ ومن المحتمل أن جستان ووهسودان أيضاً يعتبران في عداد ذلك. وهكذا فمملان (بفتح الميم) محرف عن (محمد)...».

وهذا ما لا يجب أن يؤخذ به لأن محمداً لا يتحول الى (قمى) ولا الى (ممل) في التركية بتاتاً ولا (ال) مزاد ل(مملان). ولكن الأستاذ أحمد كسروي تبريزي كان قد ذكر هذه العبارة بالفارسية في الجزء الثاني من كتابه شهرياران كمنام[٣١]، وكذلك في (الجزء الثالث)[٣٢]، الخاص بتأريخ السلالة الشدادية الكردية التي حكمت في القفقاس قائلاً:

«ان محمد كان والد كل من مرزبان وفضلون سمي ب(ممى Mame) لأن في آذربيجان يقال لمحمد (ممى)، وان هذا الاسم دوّن في المدونات الأرمنية بصيغة (مامى) وقد اختلط معنى هذا الأسم عند المؤرخ الأرمني وارتان Vartan (عاش في القرن الرابع عشر... ج.ر) وغيره فقصدوا به والدة كل من مرزبان وفضلون، لأن (مام) في الفارسية تعني الأم».

---

(٣٠) دراسة في أحوالها السياسية والحضارية، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٣٩.

(٣١) الحكام المنسيون، ص ٤٤، ٤٥.

(٣٢) المصدر نفسه، الجزء الثالث، ص ٩.

وفي الكردية تعني العم. ولكن كل هذا لا ينفي كون (ممالان) اسم علم مركب من مم وآلان في اللغة الكردية. وهذه الحقيقة تؤكد كون قصة (ممى آلان) ترجع أصولها الى عصر ما قبل الاسلام وقبل انتشار اسم محمد في كردستان وقفقاسيا. وهذا ما تؤكده أبيات هذه القصة التي تتعلق التسمية بالبطل ودوره فيها حيث يقول الراوي:

Ikhtyarak Hat, Go Hun Ch J Vy Kurke Dikhwazin? Nave Wy Danen Mame Alan.

جاء الشيخ وقال ماذا تطلبون من هذا الطفل، لنسمِّهِ ممى آلان.

وإذا كانت الأسماء العربية قد دخلت الى الكردية من الجنوب في العصر الاسلامي فان أسماء قفقاسية قد دخلتها من الشمال سواء قبل الاسلام أو بعد ظهوره، وأبقت علاقات الجوار بين الكرد وأقوام أخرى تسميات قومية كأسماء علم عند هؤلاء مثل (عرب شمو) و(جركس بكاييف) وججان وكورج وغيرها، وهذه الظاهرة نشاهدها في العربية كأسماء (كريدي وتركي وأرناؤطي) وغيرها وتعبر عن دور كل هؤلاء، وفي وقت من الأوقات في التأثير على الأحداث التي مرت بالشعب الكردي في تأريخه الطويل.

تترسخ الأحداث التأريخية في عقول ووجدان أبناء الشعوب المختلفة والأجيال المتوالية لتظهر فيما بعد كجانبٍ أو ركنٍ من أركان القومية، ويمكن تلمسها في أدبهم أو لغتهم أو فنونهم الشعبية. وبناء علي ما جاء فليس من الغريب أن يستشعر الكرد بصورة أو أخرى نوعاً من العلاقات التأريخية مع اللان. وقد كان المؤرخ الكردي الأمير شرف خان البدليسي قد أشار في حينه،ولأول مرة، في كتابه (الشرفنامه) الذي ألفه في أواخر عام ١٠٠٥هـ/١٥٩٧م الى هذا الموضوع، وصنف حكام وأمراء الكرد في جميع أنحاء كردستان وخصص فصلاً لذكر أمراء إيرون، وهي تسمية احدى لهجتي اللغة اللانية (الأوسيتية) قائلاً:

«شعبة دويم در ذكر إيرون بالفعل مير ملك بن مير حسن أز أولاد مير شمس الدين بن مير حسن است كه قلعة إيرون را يدرش درهنكام قسمت ولايت موروثي بمير شمس الدين

أرزاني داشته بود بطريق زعامت منصرفست وأو جوانيست در ما بين كردستان بسمت شجاعت وسخاوت معروف...»[٣٣].

وقد نقل الدكتور فريج في أواخر العهد العثماني هذا النص ودونه في كتابه (كردلر) باللغة التركية خلال حديثه عن أمراء شروان ويقول:

«مير حسنك أوغللرندن ديكر بريسي أولان مير شمس الدين الدينك حصنه (إيرون Iroun) ناحية سي أصابت ايتمش ايدي..»

ويضيف: ان ما يتعلق بهذه الناحية من أخبار ليس له أية معلومات حولها[٣٤]، وفي الواقع فإن فصول هذا الكتاب ما هي إلا ترجمة تركية لكتاب الشرفنامه مع مقدمة مختصرة حول منشأ الكرد ولغتهم وآدابهم وتحليل تأريخي لأصل كلمة الكرد، وقد ترجم الأستاذ الملا جميل بندي روزبياني ذلك النص من الشرفنامه الى العربية كما يلي:

«الشعبة الثانية في ذكر ايرون

الأمير ملك بن الأمير حسن

ان الأمير ملك هذا من سلالة الأمير شمس الدين بن الأمير حسن الذي منحه أبوه قلعة إيرون حين تقسيم ولايته الوراثية بين أولاده، ويقوم الآن بتصرف هذه القلعة كزعامة، وهو شاب جميل، اشتهر في جميع أنجاء كردستان بالشجاعة والكرم الى جانب الزهد والتقوى وكثرة العبارة»[٣٥].

ويُحتَمل أن قلعة إيرون التي قصدها الأمير شرف خان البدليسي هي

(٣٣) راجع كتاب: **الشرفنامه**، تحقيق وليامينوف زرنوف:
Scheref - Nameh, ou Histoire des Kourdes par Scheref, Prince de Bidlis, Publiée Pour la Premiere fois tragduite et annatée par V. Veliaminof - Zernof. Tom I, (st. Petersbourg, 1860). Commissionnaires de l'Académie Impériale des Sciences A St. Petersbourg a Riga a Leipzig.

(٣٤) فريج كردلر، **تأريخي واجتماعي تدقيقات** (استانبول، ١٣٣٤)، ص ٢٨، من منشورات أكاديمية الشرق في برلين.

(٣٥) راجع كتاب: **الشرفنامه**، ترجمة وتعليق ملا جميل بندى روزبياني (بغداد، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م)، ص ٢٤٣ بالعربية.

(ايرون Iroon) نفسها التي تتصل بـ(سي كوره) و(جوقور) التي ذكرها ريج Rich في رحلته عام ١٨٢٠م(٣٦).

وأهم ظاهرة تأريخية ملفتة للنظر حول علاقة اللان بالكرد هي أن أولى الولايات لإقليم كردستان في التأريخ الذي نظم إدارياً زمن السلطان السلجوقي سنجر في القرن الثاني عشر الميلادي (توفي في سنة ١١٥٧م) كما دونها حمدالله المستوفي القزويني في كتابه (نزهة القلوب) كانت ولاية آلاني وبالشكل التالي:

«آلاني، آليشتر، بهار [قلعة بهار]، خفتيان، دربند تاج خاتون، دربند زنكي (زنكه نه؟)، دزبيل، دينور، سلطان آباد جمجمال، شهرزور، كرمنشاه، كرندوخوشان، كنكور [قصر اللصوص]، مايدشت، هرسين، وسطام»(٣٧).

■ ب ـ اللقاء على المستوى القبلي في عصر ما قبل الميلاد

ومع ما ذكرنا من حقائق فإن العلاقة اللانية ـ الكردية لم تبدأ في العصر الاسلامي، وإنما ترجع جذور هذه العلاقة الى بداية الألف الأول قبل الميلاد عندما بدأ أسلاف اللان وطلائعهم يلتقون باسم السكيث والكيميريين بالميديين في البلاد الكردية ويضعون مع السكان القدماء لهذه البلاد البوادر القومية للشعب الكردي. والواقع إن هذه المسألة تتوزع إلى مرحلتين متميزتين، ولكل مرحلة ظروفها الخاصة. فالمرحلة الأولى تسبق حالة استقرار القبائل المهاجرة الى غرب آسيا وتأثيرها على السكان المحليين والتحولات التي تشهدها المنطقة لغوياً ودينياً. ثم المرحلة الثانية التي تتعلق بظهور القوميات واستقرارها في بلادها المحدودة أثنوغرافياً وديموغرافياً والصراعات التي تظهر بين

(٣٦) رحلة ريج Rich، الجزء الأول، (بغداد، ١٩٥١)، ص ٣١٠ الترجمة العربية.

(٣٧) وقد أنهى القزويني كتابه في ٧٧٤هـ/١٣٤٠م. راجع القزويني (حمدالله مستوفي) نزهة القلوب، المقالة الثالثة. تحقيق كاي ليسترانج (طبعة ليدن، ١٩١٣م)، ص ١٠٨ وما بعدها. بالفارسية.

هذه القوميات على أساس الانتماء الديني الذي سيتوضح في الفصل التالي من هذا الكتاب.

لقد اتخذت مجموعة من الاتحادات القبلية ذات اللهجات المتقاربة التي عرفت بالقبائل الميدية (ماد) من البلاد الواقعة حوالى بحر قزوين ومن جهة الجنوب والجنوب الغربي ثم غرب وشمال غربي إيران الحالية وطناً لها ومنتجعاً ومراعيَ لمواشيها في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد. وعاش هؤلاء، فيما بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد في أعالي نهر (فيزل أوزن) لحد دشت كافير. وقد قسم الآشوريون هؤلاء الى صنفين، منهم الميديون الأقوياء (ماداي داننوتي)، ومنهم الميديون البعيدون (ماداي روقوتي)، وجاءت أخبارهم لأول مرة في السجلات الآشورية أيام شلما نصر الثالث(٣٨).

توجهت القبائل الميدية من المناطق المذكورة نحو الجهات الشرقية لآسيا الصغرى من خلال مرورها في جبال زاكروس منذ النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، واشتدت حدة ذلك التوجه أثناء المعارك النهائية مع دولة آشور وسقوطها في نهاية القرن السابع قبل الميلاد بعد أن كانت دولة أورارتو سبقت آشور في السقوط ببعض الوقت. وزالت هاتان الدولتان لا بسبب هجرات الميديين والسكيث والكيميريين وقيام الحروب بين هؤلاء جميعاً فحسب، وإنما كان الصراع الطويل الموجود بين الدولتين لأجل السيطرة على البلاد الكردية قبل وصول تلك القبائل هو من الأسباب الرئيسية لزوال الدولتين بيد هؤلاء.

سجّل ملوك آشور منذ القرنين الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد أخباراً عن عدد من الملوك المتحالفين لبلاد نايرى (أورارتو) في جنوب

(٣٨) انظر حول هذا الموضوع الى المصادر التالية:

T. Cuyler. Young, Jr., «The Iranian Migration in to the Zagros» Iran. **Journal of Britsh Inst. of Persian Studies.** vol. v, (1967), pp. 11-34;
I. M. Diyakonov, **Istoriya** Midii. M. (1956), p. 225;
O. Vilchevsky, **Kurdi**, M-L (1961). P. 49, and
Horodotus., **The History.** I, 103, 104, 106.

بحيرة وان الحالية، وغدا هذا التحالف يعرف فيما بعد بدولة ملوك (بياينا) واشتهرت عند الآشوريين بمملكة (أوروئاتري = أورارتو) وكانت حدودها تمتد الى جبال قفقاسيا شمالاً ـ جبال آرارات ووديان نهر أراكس (آراس) وبحيرة سيفان ـ كما امتدت غرباً نحو ميليتين (ملاطية حالياً). وفي الجنوب وصل نفوذ هذه الدولة الى (موساسير) مركز عبادة الههم الكبير (خالد) شمال شرق أربيل الحالية، قرب رواندز. ثم تداخل النفوذ الأورارتي في مصالح دولة (ماننا) المحلية التي ظهرت في جنوب بحيرة أورميا بكردستان/إيران. وفي نهاية القرن الثامن قبل الميلاد عصى حكام الأقاليم الأورارتية ضد الملك روسا الأول الأورارتي ٧٣٠ ـ ٧١٢ق.م مما أدى الى ضعف سلطته، وفي هذا الوقت كانت آشور قد استرجعت قواها، وقام سرجون الثاني الآشوري بحملة قوية الى هذه البلاد عام ٧١٤ق.م حيث قضى على الجيش الأورارتي قضاءً مبرماً، لكن الملكية الأورارتية ظلت الى زمن روسا الرابع ٥٩٠؟ ـ ٥٨٥؟ق.م، لذلك فقد ورد في العهد القديم من الكتاب المقدس[٣٩] خبر عن بابل يقول:

«قدسوا عليها الأمم نادوا عليها ممالك أراراط ومنى وأشكناز..
وقدسوا عليها الشعوب ملوك مادي».

ويعني ممالك الأورارتيين والمانيين والسكيث والميديين.

وبعد زوال الأورارتيين والآشوريين أصبحت لهجات القبائل المادية منتشرة في أراضي الدولتين عن طريق الهيمنة السياسية والتسلط الديني مما فتح طريقاً للهجرة المباشرة لهذه القبائل واستيطانها في أذربيجان وكردستان وذلك على حساب السكان المحليين القدماء بالقضاء على لغاتهم تدريجياً وانصهار هؤلاء في المجتمع الجديد بتداخل مصالحهم الاقتصادية والسياسية في صفوف مصالح المهاجرين الجدد.

لقد صاحب توجه الميديين من الشرق الى جبال زاكروس وكردستان

(٣٩) الكتاب المقدس، الاصحاح ٥١.

هجرة السكيث والكيميريين اليها من الشمال والغرب وخاصة محور غربي قزوين وطريق باب الأبواب (الدربند) الذي يؤدي الى أذربيجان وكردستان.

استطاع كل من الزعيمين السكيثيين (بارتاتوا) وابنه (ماديس) أن يحكما المناطق الواقعة جنوب بحيرة أورميا (موكريان) في كردستان/إيران وتوسعت رقعة سلطتهما السياسية لحد نهر هاليس (قزل ايرمق حالياً) في أواسط آسيا الصغرى، وجعلا مدينة (سقز) الكردية في إيران عاصمة لهما(٤٠). وقد أشار مينورسكي في تقريره المقدم الى المؤتمر العالمي العشرين للاستشراق عام ١٩٣٨م في بروكسل(٤١) الى:

«أن المصادر القديمة توضح ظهور الكيميريين والسكيث في بلاد الميديين والماننا، وخاصة أثناء سقوط نينوى وآشور».

وأضاف على قوله موضوع الاصطلاح الآشوري العام (أومان ماندا) الذي قصدوا منه قبائل الكيميريين والسكيث(٤٢). وقد دلت الآثار التي استخرجت في منطقة (كوبان) بقفقاسيا على تواجد السكيث هنا ومرورهم منها نحو المناطق الجنوبية.

■ حالة البلاد الكردية خلال هجرة الميديين والسكيث اليها

لو غضَضْنا النظر عن المستوى السياسي والعسكري والاقتصادي

(٤٠) انظر كل من: **دائرة المعارف البريطانية الحديثة**، ١٩٧٣، مادة سكيثيا، و Horodotus, op. cit.

(٤١) V. Minorsky, «**Les Origines des Kurdes**». Travaux du XX Congres des Orientalistes. (Bruxelles, 1938).

(٤٢) كان اصطلاح (أوفمان ماندا) يعني عند العراقيين القدماء مفهوم (ناس بعيدون أو غير معروفين) وقصدوا منهم البدو الشماليين من السكيث والكيميريين، قد ظل المفهوم نفسه يطلق على أخلافهم من اللان من قبل العراقيين بصيغة (العلاّن والفلتان). ومن جهة أخرى فقد ذكر هؤلاء في سفر التكوين (الاصحاح العاشر) من **الكتاب المقدس**: باسم جومر وأشكنار مثلما إشتهروا عند الآشوريين كـ(كيميراي وشكوزاي).

الذي وصلت اليه الامبراطورية الآشورية خلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، والدور الذي بدأت تلعبه القبائل الميدية سياسياً وعسكرياً في القرون الأخيرة من حياة تلك الامبراطورية، بالاضافة الى الضغوط التي كانت تمارسها مملكة أورارتو على الآشوريين وغيرهم، فإن مملكة ال(ماننا) اتخذت المكانة البارزة من بين جميع الممالك المحلية القديمة في بلاد الكرد من النواحي السياسية والحضارية، واقفة تصارع تلك الحالة غير الطبيعية بهجرة القبائل الرعوية الميدية والسكيثية الى أراضيها. وفي أواخر القرن الثامن قبل الميلاد اتخذ قسم من بلاد زاموا القديمة (موطن اللولوبيين) الواقعة في منطقة السليمانية ولحد جنوب بحيرة أورميا تسمية (ماننا) سياسياً، ووقفت قبائل مانية على رأس اتحادات قبلية قوية أخرى في تركيب اشتمل على عشائر السونديين والتيئوليين والداليين والكومورديين والميسيين، وكلهم سكان محليون ينتمون إما الى الكوتيين أو اللولوبيين القدماء.

كانت الزراعة في هذه البلاد متطورة اضافة الى تربية الماشية والخيول. وفي حملة الآشوريين على أورارتو عام ٧١٤ق.م موّن المانئيون جيش الآشوريين بالطحين والشراب. هذا بالاضافة الى تطور الحرف هناك الذي تشهد عليه مكتشفات سقز وزيويه بكردستان/إيران وهي نتاج صناع مانيين محليين مَهرة. وكانت الحضارة المادية في دولة ماننا بمستوى حضارة أورارتو. وكنوز زيويه التي ترجع الى القرنين ٩ - ٨ق.م يقرب فنها وأشكالها من فنون أورارتو وآشور، وتتشابه كذلك مع الكنوز السكيثية وخاصة القسم الذي يرجع زمنه الى القرن السادس قبل الميلاد والتي استخرجت منها في منطقة كوبانيا والبحر الأسود، ولا يزال بعض المتخصصين مهتمين بالتفتيش عن آثار دولة ماننا وأخصهم بالذكر الأخ م.يدرام المسؤول عن دائرة الثقافة والتراث بمدينة مهاباد الكردية في إيران وقد أسمعني بعض ملاحظاته المدونة والمنشورة بالفارسية عن اكتشافاته وآرائه الخاصة في شهر مايس من عام ١٩٩١م.

لقد رفض فلجيفسكي في حينه أقوال دياكونوف كلياً التي تدعي بوجود مجتمع عبودي متطور في بلاد الماننا، لأن المعلومات والمصادر تؤكد على أن نظام هذا البلد، وخلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، كان بشكل يمكن وصفه بنظام قبلي، ولم يكن قد ظهر فيه النظام العبودي. ومن ذلك النظام القبلي تأسست الدولة المانئية، وكان يشبه النظام السائد في المملكة الحثية في الأناضول، ويمكن تعريفه بالأوليكاركية الطبقية المبكرة، يحكم الملك مع أقربائه من الشيوخ المعروفين مع امكانية اعطاء الحرية للسكان في نشاطهم ونضالهم مع الطبقة الحاكمة ضد الآشوريين(٤٣).

ظهر اسم هذه المملكة في الكتابة المسمارية بصيغة (مانا، ماننا، موننا ومانناش) وفي العهد القديم من الكتاب المقدس بصيغة (مينني) واعتبرت احدى الممالك القوية التي ظهرت في جنوب بحيرة أورميا. ويمكن اعتبار الدور الذي اضطلع به سكان هذه المملكة في تأريخ الشعب الكردي كدور الأورارتيين في تأريخ الشعب الأرمني. وكانت دولة الماننا تضم في البداية المقاطعات التي تشكل الآن حوض نهر (جغتو) وعاصمتها كانت مدينة إيزرتو (زيرتة) بكردستان/إيران.

ذكر الآشوريون بعض الأخبار عن هذه البلاد لأول مرة عام ٨٤٣ق.م أثناء حملاتهم العسكرية نحوها. وفي خلال الحروب التي دارت بينهم وبين الأورارتيين، لأجل السيطرة على ممتلكات تلك البلاد، استطاعت المملكة المانئية المحافظة على شخصيتها الرسمية رغم محاولة الامبراطوريتين التوسع على حسابها مراراً. وقد دخلت هذه المملكة الحرب مع آشور وأورارتو عدة مرات في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد ولم تهزم مع أية دولة منهما، وان كانت أقل شهرة من الدول الكبرى في ذلك العصر، لكنها أصبحت فيما بعد عماد

(٤٣) ف. فلجيفسكي، المصدر نفسه، ص ٥٤، ٥٥ باللغة الروسية. وراجع أيضاً **دائرة المعارف التأريخية السوفياتية**، مادة ماننا. بالاضافة الى هذين المرجعين، فقد استقيت أغلب المعلومات المتعلقة بتأريخ (الماننا) من كتابي: دياكونوف، **تأريخ الميديين** بالروسية وكريشمان (إيران، لندن، ١٩٥٤) بالانكليزية.

الامبراطورية الميدية من الناحيتين الحضارية والاقتصادية في القرن السابع قبل الميلاد.

ان العلاقات الاقتصادية والبناء الاجتماعي في دولة المانناء كانا لا يزالان قبليين وفي طريقهما نحو التطور، والمجتمع الماننيي واجه أثناء هذا التطور وفي باكورة تنظيم نفسه سياسياً وحضارياً ضغوطاً قوية من أربع جهات. آشور وأورارتو والميديون والسكيث، وكل الصراع كان في نقطة واحدة وهي المنطقة الكردية التي كانت دولة المانا تتمركز فيها. ففي القرن التاسع قبل الميلاد مزق آشور ناصر بال ثلاثاً من ممالك زاموا الصغار، وهي دكارا التي كان يحكمها نور ـ أداد (في دربند بازيان) وبونايس التي كان يحكمها الملك موساسينا ولاربوسا التي حكمها الملك كيريتارا، وقد نهب جميع الأنعام فيها وفرض على سكانها الكثير من الضرائب كالأحصنة والمعادن من الذهب والفضة.

أما شالماناصار فقد أناط قيادة قواته بكل من نورتان ودايان آشور لمهاجمة المناطق الكردية ونهبها. فتوجه دايان آشور الى خوبوشكيا عن طريق سواحل نهر الزاب الكبير، وكانت هذه البلاد تقع جنوب بحيرة وان الحالية، وبعد أن عبر أراضي ماكدوبو ـ مالخيس اتجه نحو الجنوب الشرقي ودخل أراضي (أوثالكي) ملك ماننا والتجأ هذا الى الجبال مع قبائله، ولكن الآشوريين نهبوا مواشي كثيرة كانت تعود للمانيين، وقد احتل المهاجمون مركز هذه البلاد الذي كان يسمى (ايزيرتو أو زيرتو) المحصن. ثم عبروا مملكة (خارون) التي كان يحكمها (شولوسونو) وكانت احدى القواعد السياسية المانية، وقد استطاع ملكها أن يتفق مع المحتلين بدفع الجزية لهم سنوياً وكانت عبارة عن أعداد كبيرة من الأحصنة الجيدة لجر العربات. وأخيراً دخلت القوات الآشورية بلاد (شوردورا) على السواحل العليا لنهر الزاب الصغير (مناطق سردشت وقلعة دزه) وكان يحكمها (أرتاسه رى) الذي دفع لهم ضرائب باهظة وهدايا ثمينة.

لقد كرر دايان آشور حملاته على هذه البلاد وجعل الآشوريون هذه المناطق على مر السنين بحيرة من دماء البشر. وبسبب معارك ٨٣٤ ـ

٨٢٧ق.م غدت الأراضي والممتلكات الواقعة جنوب بحيرة أورميا تحت هيمنة ملوك محليين أقوياء مثل أوبو وكيلزان وأوثالكي وشولوسونو وأرتاسه رى وغيرهم. وقد تجمعت ممالك ينك ديارا وينك ديما ونينى وآريدو مع الممالك الأخرى في تجمع سياسي اشتهر بمملكة ماننا التي ظلت تصارع الأطماع الآشورية في بلادها لأكثر من قرن.

ومن جهة أخرى، تحالف حكام أقاليم زيكيرتو (وسكانها من القبائل الميدية البدوية) في أعوام ٧١٩ - ٧١٤ق.م مع أورارتو ووقفوا بوجه ملوك المانّنا، إلا أن هؤلاء الملوك استطاعوا في هذه الآونة جعل الآشوريين حلفاء لهم، وتمكنوا من القضاء على أعدائهم. وغداة الانتصار على أورارتو وعلى قبائل زيكورتو الميدية علا شأن مملكة المانّنا منذ عام ٧١٤ق.م. وقد ضمّ المانّيون المقاطعات الواقعة بين شرقي بحيرة أورميا لحد نهر أراكس شمالاً الى دولتهم. وفي النصف الأول من القرن السابع امتد حكم المانّنا الى الغرب ووصل الى نهر الزاب الكبير، ومن جهة الشمال لحد المناطق الجنوبية الشرقية لقفقاسيا، وبذلك شملت أغلب البلاد الكردية الحالية.

بجانب مملكة المانّنا، ومع بداية القرن الثامن قبل الميلاد وأثناء توسيع مملكة أورارتو لفتوحاتها على حساب آشور داخل المناطق الجبلية الكردية، ظهر فيها (أي في مملكة أورارتو) أسياد جدد لعبوا دوراً بارزاً في المجالين السياسي والعسكري. فبالرغم من ندرة المصادر التي تطرقت الى أخبارهم، أشارت الكتابات الأورارتية والآشورية اليهم والى قوتهم السياسية التي نورتها لوحة (كيله شين) التي نصبت في كردستان وعلى الحدود العراقية - الايرانية قرب شنو (اشنويه)، والمدونة من قبل الملك الخلدي (أشبويني) وابنه (مينوا) الذي اشترك مع والده على العرش الأورارتي في حكم مملكة اشتهرت بمملكة الإله (خَلْدي)[٤٤] عام ٨١٠ق.م.

(٤٤) خَلْد (خَلْدي) هو اسم كبير الآلهة عند الأورارتيين، وكان يتمثل على صورة رجل=

استطاع الملك (مينوا) الشاب أن يحتل جميع المناطق الواقعة على المجرى العلوي لنهري دجلة والزاب الكبير، وكذلك الأراضي التي كانت ضمن نفوذ الماننا في جنوب بحيرة إورميا. ثم بدأ ببناء مجموعة من الحصون والقلاع والمدن كحصن (موساسير) التي اعتبرت مركزاً سياسياً ودينياً رئيسياً مهماً في المنطقة الكردية الجنوبية آنذاك. واستمراراً مع فتوحاتهم في الجنوب، وكما كان في الشمال، فقد أسس كل من اشبويني ومينوا مملكة احتوت مساحة توازي مساحة الامبراطورية الآشورية وحتى انها جاوزتها في الحدود على حد قول المؤرخ كريشمان(٤٥). وقد خدما دولتهما بشق الطرق

= ذو لحية يقف على ظهر أسد أسطوري، واعتقد الناس بأن زوجته هي الإلهة أروباني (باكبارتو). وكان لهذا الإله معابد منتشرة في أرجاء مختلفة من الامبراطورية الأورارتية وأشهرها كان المعبد العظيم في موساسير الذي زاره ورممه الملك مينوا ووالده أشپوني. وبشكل عام فإن الكتابات الأورارتية تتحدث غالباً عن الإله خلدي، ثم ان السكان في الامبراطورية عرفوا في التأريخ باسم الخلديين.

عن هذا الموضوع انظر:

دائرة المعارف السوفياتية الكبرى، مادة خلدي.

Bolshaya Sovetskaya Entsiklopediya, Khaldi.

(٤٥) **R. Chrishman, (Iran, London, 1954), p. 93.**

تحمل مسلة (كيله شين) التي كانت قائمة على الحدود الايرانية - العراقية في منطقة شنو (أشنويه) الكردية، وقد أقلعت من مكانها ورميت بباب متحف مدينة أورميا في السنين الأخيرة والمصنوعة من حجر البازلت الأسود وعلى وجهيها كتابة مسمارية باللغتين الأورارتية والآشورية (منها ٤١ سطراً بالأورارتية و٤٢ سطراً بالآشورية). أما طول المسلة فيقرب من مترين وعرضها ٦٠سم وسمكها ٣٠سم وقد ارتكزت على قاعدة مربعة الشكل كانت تقع في الفجوة الواقعة بين جبال سيكاو والمرتفعات الايرانية وكانت منصوبة عند مدخل جبلي الذي يعتبر بداية وادي طويل للسلسلة الجبلية الممتدة نحو الشمال الغربي وقد أتلفت أغلب جوانبها بسبب اصابتها بطلقات نارية أثناء الحرب الكردية - العراقية.

كان البروفيسور م. شولتز M.Schltz هو أول من تحدث حول هذه المسلة في المحافل العلمية، وقد كان موفداً من قبل الحكومة الفرنسية للتنقيبات العلمية في إيران ودراسة العاديات القديمة فيها، حيث وصل تبريز عام ١٨٢٩م لكنه قتل أثناء تجواله في منطقة هيكاري الكردية داخل حدود الامبراطورية العثمانية.

لقد كتب الميجر سير هنري ويلوك **Major Sir Henry Willok** الى الكابتن =

والقنوات وتحويل مساحات واسعة من الأراضي الصخرية الى مناطق زراعية مثمرة في هذه البلاد الجبلية.

كانت موساسير من أقدم المراكز المقدسة لدى الأورارتيين ومقراً لعبادة الإله (خلدي) الذي كان يسمى محلياً (آلدي) وزوجته الإلهة (آروباني؟) التي اشتهرت فيما بعد باسمها الايراني (باكبارتو) مع اللاحقة الآشورية والذي استعمله قسم من الأورارتيين في لهجتهم المحلية، وموساسير تشتهر الآن في الكردية بصيغة (موجيسير) وهي قصبة تقع على بعد ١٨ كيلومتراً شمال رواندز وإلى غرب قرية طوبزاوه. وخلف كل من اشبويني وابنه مينوا حوالى هذه المنطقة مجموعة من اللوحات الكتابية مؤكدين فيها أعمالهما الحربية وتوسيع رقعة مملكة الإله خلدي التي جاء اسمها في النصوص الآشورية كمملكة نايري وفي النصوص الخلدية مملكة بيايناً. وذكرا الاصلاحات الدينية التي قاما بها من ترميم المعابد وزخرفتها برسوم الحيوانات والمزهريات والأعمدة النحاسية وخاصة معبدي الاله الكبير خلدي في موساسير ومدينة آرديني، أي مدينة الإله (آردي)

= هاركنيس Capitain Harkness خبر هذه الحادثة ثم ظهر كمقال (رقم ١٦) في **مجلة الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية** عام ١٨٣٤م (J.R.A.S) يتهم كاتب المقال السكان المحليين في قيام هذا الحدث ويقول:

«استطعت الذهاب الى كردستان إثر مقتل هيسي Hesse في خريف من عام ١٨٢٩م ولم ير ثمرة جهوده حيث لم يطبع كتاباته، وكان يعمل في المجلة الملكية الآسيوية نفسها وكان له معلومات وافية عن آسيا..! وعين شولتز من قبل الحكومة الفرنسية للتنقيبات العلمية في إيران ووصل تبريز في ١٨٢٩م وفي منطقة أورميا أوصاه الحاكم الرسمي عسكرخان بأن لا يثق مواطنيه (كذا) الذي يحكمه الأمير الأعظم ولكنه دخل الى كردستان بالرغم من ذلك». ومع أن الكاتب يشهد بالاستقبال الجيد الذي لاقاه هذا من قبل أهالي هيكاري لكنه يشير الى مقتله من قبل هؤلاء الذين وصفهم ب«الوحوش». ومع الأسف فالكاتب لا يلفت أنظار القارىء الى الغرض الحقيقي الذي دفع هؤلاء بالتجوال في تلك المناطق، وكان في حقيقة الأمر دراسة الأضاع السياسية والقومية والدينية في شرق الامبراطورية العثمانية والدخول اليها بطريقة غير رسمية من جهة إيران. حول هذا الموضوع انظر: **المجلة الآسيوية الملكية البريطانية** (١٨٣٨م).

الذي كان معبوداً بجانب الآلهة شيفيني وخلدي وتيشيبا في المجمع الإلهي الأورارتي. وبالاضافة الى هذه الأعمال خلف هذان الملكان بعض الأخبار على صخرة (ميهر كابوسو) على جبل زم زم داغ بتركيا الحالية ويوردان فيها موضوع عبادة ٦٩ إلهاً في بلاد أورارتو. ثم بنيا معبداً للإله خلدي في (أرناور تبه) شمال بحيرة وان، إضافة الى بناء بعض القلاع في (زفستان) في جنوب شرق البحيرة نفسها، وفي (أنزني) على طريق مدينة خوى Khoy في غرب إيران. وهناك بعض الكتابات ترجع لهذين الملكين وجدت في منطقة (قلعة كاه) في جنوب بحيرة أورميا وكذلك في مياندواو (ميان دوآب) بجانب المنحوتات التي صنعاها في (قره كوندوز) قرب بحيرة (أرجك). شرقي وان. وبهذه الصورة كان الخلديون في صراع مع المانئيين والآشوريين معاً.

وفي بداية القرن الثامن قبل الميلاد، وبالضبط أيام حكم الملك الأورارتي (أركيشتي) بن (مينوا) أغار هذا الملك ثلاث مرات على بلاد ماننا ودخل مناطق ثارسيتا ومدينتي بوشتو وباروتا في سنين ٧٧٥، ٧٧٤، ٧٧٢ق.م واحتلها لبعض الوقت، ولم يمر وقت طويل إلا وانفصلت ماننا عن أورارتو واستطاعت أن تحكم كافة المناطق الواقعة حوالى بحيرة أورميا عدا الغربية والشمالية منها، ودخل المانئيون في معارك شديدة مع الأورارتيين ووقفوا بوجههم بحزم بحيث لم يتمكن الأورارتيون بعد هذا التأريخ من اخضاع المانئيين وجباية الضرائب منهم.

أما الملك ساردور بن أركيشتي فقد حاول خلال الأعوام ٧٥٠ - ٧٤٤ق.م الانقضاض على الميديين عن طريق بلاد ماننا، فبذلك التقى في معركة بقوة الماننا وقد توقفت الحملات الأورارتية ضد ماننا بسبب النكسة التي أصابت الدولة الأورارتية من قبل تجلات بلاسر الثالث الآشوري عام ٧٤٣ قبل الميلاد. وهكذا أحرز المانئيون سلسلة من الانتصارات على الآشوريين في بداية القرن السابع قبل الميلاد، لكن تحالف السكيث مع الآشوريين حوالى عام ٦٧١ - ٦٧٠ق.م

عقّد الظروف السياسية في البلاد الكردية، وخاصة عندما بدأت القبائل السكيثية تعادي المانيين وتتعرض لهم بالهجرة الى أراضيهم.

وفي خلال عامي ٦٦٠ - ٦٥٩ق.م تعقدت الأمور الى درجة كبيرة أدت الى قيام انتفاضة شعبية ضد السلطة الحاكمة في بلاد المانا وكان من نتائجها مقتل الملك الماني (أخشيري)، كما التجأ ابنه (أوالي) الى الآشوريين لمساعدته في الرجوع الى السلطة مقابل دفعه لأتاوة محددة لهم. وبهذه الصورة غدت المانا حليفة لآشور واشتركت معها في معاداة الدولة الكلدانية في بابل، هذا بالاضافة الى مواجهتها للمشاكل الداخلية وضغوط الميديين حلفاء البابليين من الشرق ومن الجنوب.

اندحرت قوات المانا عام ٦١٦ق.م بتحالفها السياسي والعسكري مع قوات آشور أمام قوات العاهل البابلي نابو بولاصر في معركة (كابلينا) على نهر الفرات. وخلال أعوام ٦١٥ - ٦١٠ق.م سيطر الميديون على جميع بلاد المانا ونهبوها، ثم خضعت لهم سياسياً. وخلال أعوام ٥٩٠ - ٥٨٠ق. م أصبحت هذه البلاد تشكل جزءاً من الامبراطورية الميدية.

أما بالنسبة لسكان وأهالي دولة المانا فقد درست أوضاعهم وتأريخهم نادر. وكانت مجموعات بشرية ذات لغات متباينة بعض الشيء تسكن في المناطق التي احتوتها الدولة المانية على ما يظهر، وكان أغلبها ينحدر من الأقوام المحلية القديمة كالكوتيين واللولوبيين وحتى الخوريين الذين خضعوا فيما بعد الى تحولات لغوية وحضارية بتأثير القبائل الميدية والسكيثية المحاربة التي طغت عليهم من الشمال والشرق وكونت لها مراكز تجمع سياسية في كل من سقز وهمدان وهما مستوطنتان ذواتا واقع مختلط يقول دياكونوف إن:

«المانيين والكوتيين يرجعون الى المجموعة (الكاسبية أو

القزوينية) من ناحية اللغة، كما كانت لهم صلات لغوية مع الخوريين»(٤٦).

ولكن هذا الرأي لا يزال غير مؤكد في الواقع العملي وانما هو نظرية مطروحة لا غير.

أما من ناحية البناء الاقتصادي القومي، فكان يتمثل الاقتصاد المانني في تربية الحيوانات والرعي وهما من الأمور التي كانت متطورة في بلاد المانا، ومن ضمنها تربية الخيول. هذا بجانب إدارة المزارع والحقول المتطورة التي يشهد لها نوع القمح الذي اشتهر في ذلك الزمن بالحنطة المننية(٤٧). واكتشفت كذلك الآثار المعدنية التي كانت تعبر عن مدى رقي الصناعة في المدن المانية وأظهرت مستوى جيداً لما وصله الفن هنا وهو يضاهي مثيله في بلاد آشور وأورارتو. ولعل ما اكتشف في مدينتي سقز وزيويه في كردستان/إيران من مخلفات المانيين هو من أجمل ما تحتويه متاحف العالم من الآثار التابعة لهذه البلاد. وعلى بعد ٤٢ كيلومتراً من مدينة سقز شرقاً، كانت تقع مدن مانية كبيرة، وكان سكانها يمتهنون مختلف الحرف، حيث أصبحت تلك المدن بعد سقوط الدولة المانية مراكز اقتصادية مهمة للدولة الميدية. ونتيجة لهذا التطور في العلاقات الاقتصادية داخل المدن المانية، ظهرت في زمن الملكية المانية طبقة أرستقراطية غنية الى جانب الطبقات الاجتماعية الأخرى التي ساعدت على تفاقم التناقضات بينها من خلال الصراع الداخلي بين الطبقة الحاكمة والكتل الرئيسية والسكان الأحرار، وتدل على ذلك انتفاضة عامي ٦٦٠ - ٦٥٩ق.م.

---

(٤٦) I. M. Dyakonov, «**Narody Drevney Peredney Azii**» Peredneaziatskiy Etnograficheskiy Sbornik I, M. 1958, Str. 23-38.

وراجع الفصل الثالث من رسالة دكتوراه جمال رشيد أحمد باللغة البلغارية الموسومة بـ«**دراسات حول تأريخ كردستان قديماً**» المجمع العلمي البلغاري، (صوفيا، ١٩٧٣م).

(٤٧) راجع **الكتاب المقدس**، الاصحاحات السابقة نفسها.

ومن مظاهر الحضارة عند المانيين الكتابة التي كانت من الأمور المعروفة في هذه البلاد، وتشبه ملامحها عند ظهورها مثيلتيها في بلاد أورارتو وآشور بالاضافة الى تواجد صنف من الكتابة الرمزية (الهيروغلوفية المحلية) التي اكتشف قسم منها ضمن آثار وكنوز مدينة سقز الكردية بإيران. وهنا يمكن القول ان الفنون الميدية والإخمينية والسكيثية فيما بعد مدينة بشكل أو بآخر لفن بلاد مانا (أي فن كردستان الشرقية). وهكذا يظهر أن هذه البلاد كان يشع منها بريق حضارة مختلطة ومتأثرة بحضارة وادي الرافدين مع تمتعها بالسيادة المحلية. وكانت هذه الوضعية تميز بلاد المانا عن المناطق الأخرى من كردستان وشمال بلاد ما بين النهرين التي ظهرت فيها أقوام كالميتانيين والخلديين والكردوخيين وغيرهم. وبتعبير آخر ان الواقع التأريخي للطبيعة القومية واللغوية والحضارية لسكان مناطق جنوب بحيرة أورميا (كردستان الشرقية) وسكان غرب هذه البحيرة (كردستان الوسطى) وكذلك سكان كردستان الجنوبية، ومع بداية النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، لم يكن ذا ارتباط قوي ومتجانس مثلما جرى ذلك الارتباط والتفاعل بعد سقوط دولة آشور في نهاية القرن السابع قبل الميلاد (عام ٦١٢ق.م). وبالرغم من ذلك التفكك السياسي الذي جاء نتيجة لأطماع الطبقات السائدة والحاكمة في الامبراطوريات والممالك المحلية لشمال وادي الرافدين المتباينة، فإن الواقع الجغرافي والظروف الطوبوغرافية التي تكون الجبال والوديان الوعرة طابعها الخاص حالت دون تحقيق اتصال بين هذه المناطق في الأزمنة القديمة، أو بالأحرى بين المنظومات الحكومية المحلية الصغيرة التي ظهرت في تلك المناطق. ومن جهة أخرى فقد حدد هذا الواقع محاور تحرك قوات آشور وأورارتو، ثم القبائل الرعوية القوية للميديين، عند توجههم نحو غرب إيران وجبال زاكروس. فبالاضافة الى كون بحيرة أورميا عارضاً طبيعياً فقد حددت توجه جموع الميديين نحو الغرب، وشكلت دولة المانا من نفسها ساتراً قوياً ولعدة

قرون أمام هؤلاء لحساب آشور، كما شكلت مملكة أورارتو ساتراً آخر أمام قبائل السكيث والكيميريين لصالح آشور أيضاً.

بناءً على ما جاء فإن الواقع يشير الى أن الاتجاه الذي اتخذته قبائل اللان القدماء من السكيث والكيميريين والآس نحو شمال بلاد ما بين النهرين منذ العصر الآشوري، كان من جهة الشمال (مروراً بقفقاسيا) نحو الجنوب، بينما اتجهت القبائل الميدية من الشرق (مروراً بجنوب بحر قزوين) نحو الغرب الى جبال زاكروس كما أشار اليه ملوك آشور في سجلاتهم. ان هذه المحاور لاتجاهات الهجرة حددتها الظروف الجغرافية الطبيعية، من بحر قزوين وصحراء لوط (دشت لوت) لتندفع قبائل بلاد الصغد وخوارزم باتجاه جبال زاكروس كما أكد تلك العلاقة بين سكان هذه المناطق البعيدة بعضها عن بعض العالم الاسلامي البيروني عبدالرحمن أيضاً[٤٨].

ان أول خبر مدون عن وجود أسلاف اللان من السكيث في شمال وادي الرافدين وكردستان كان على لوحة الملك آشور ناصر بال الثاني في الربع الثاني من القرن التاسع قبل الميلاد[٤٩]. ومن بعد ذلك فقد تعرف الآشوريون على هذه القبائل باسم إشكوزاي وكيميراي، أي السكيث والكيمير. ويعتقد المؤرخ كريشمان أن هؤلاء وصلوا هنا من القرم Crimea، ويضيف ان:

«هذين القومين كانا متلازمين وكان الناس غيرهم يتكلمون بلغة مشتركة واحدة وفي زمن الملك أسرحدون الثاني الآشوري، كانت بلاد أورارتو أولى البلدان التي عانت من غزوات الكيميريين. وقد آلت البلاد الى درجة من الظروف

---

(٤٨) W.B. Henning, «Metteliranisch», in: B. Spuler, et Al., **Handbuch der Orientalistik**, BD. 4, AB. I, (Leiden, 1958), pp. 105 - 108.

(٤٩) T. Cuyler. Young. JR., op. cit. p. 20.

وانظر أيضاً:

T. Sulimirski., «Skythian Antiquitlies in Western Asia», 17, (1954), pp. 290 - 293.

السيئة، أدت بالنهاية الى انتحار الملك الأورارتي روساس الأول»[٥٠].

يظهر أن السكيث، بعدما اخترقوا ممرات قفقاسيا، توجهوا الى جبهتين ضمن مجموعتين من الاتحادات القبلية. توجهت المجموعة الأولى، حسب أقوال كريشمان، نحو سواحل بحيرة اورميا، واحتكوا بالنفوذ الميدي مباشرة. أما المجموعة الثانية الكبيرة فقد استمرت في الهجرة في آسيا الصغرى نحو الغرب. ويعتقد كريشمان أنهم:

«استقروا في الجهات الجنوبية من البحر الأسود بجوار (سينوب) على مصب نهر هاليس لحقبة من الزمن».

ثم يضيف:

«بأنهم وضعوا النهاية للحكم الفريكي هناك وانتحر على إثره ملكهم (ميداس). ولم تكن بلاد ليديا أكثر حظاً، فبالرغم من دعم المدن اليونانية لها، فقد قتل ملكها كيكيس، لكن الملك الآشوري آشور بانيبال استطاع أن يهزمهم في مضايق قيليقيا والتحقت شراذمهم الباقية بالوحدات السكيثية الأخرى»[٥١].

مما جاء أعلاه يجب الاقرار بحقيقة منطقية وهي أن السكيث جميعاً اتخذوا ممرات قفقاسيا محوراً لعبورهم الى آسيا الصغرى وشمال وادي الرافدين ولكن هذا المحور لم يكن خلال ممر واحد. فقد اتخذت المجموعة الأولى لفرسانهم الكيميريين زمن الملك الآشوري أسرحدون محور طريق همدان في غرب إيران واستقروا في حدود بلاد الماننا، كما جاءت أخبارهم بجانب أخبار الميديين والمانيين في حوليات ملوك آشور. وقد أشار كريشمان الى أن:

«الملوك ذكروا هؤلاء حينما غزوا مناطق سكناهم لجلب الخيول منها وكانوا تحت راية ملكهم (بارتاتوا Partatua الذي سجل هيرودوت اسمه بصيغة (بروتوثيس Protothyes) وكانت مملكته تشمل القسم الأكبر من مقاطعة أتروباتيني

(٥٠) ر. كريشمان، المصدر نفسه.

(٥١) المصدر نفسه.

(كردستان/إيران) وكان مركزها يقع جنوب بحيرة أورميا (مقاطعة موكريان) وقد اعترف الملك المانني بسيادته»[٥٢].

وبكل تأكيد فان السكيث المتواجدين هنا لابد وقد سلكوا الممر الواقع غربي بحر قزوين[٥٣]، عابرين بلاد السرير، سالكين الدربند والدريال مخترقين نهري سامور (سمور) وقاسم كند وبلاد مسقط (مساكيت القديمة) نحو شروان وموكان، ومن خلال الطريق الرئيسي لمدينتي خوى - أورميا متجهين نحو بلاد المانا من جهة غربي بحيرة أورميا. وقد أشار هيرودوت الى هذا المحور بقوله:

«ان المسافة بين (بالوس مايوتيس) الى نهري فاسيس والى كولخيس هي ثلاثون يوماً من المشي نهاراً. ومن كولخيس الى ميديا لا يستغرق أكثر من هذا، ويخترق العابر أرض قوم واحد وهم (الساسبير) ثم يجد نفسه في ميديا»[٥٤].

ويقصد بالساسبير الجيورجيون حالياً. ثم يتحدث هيرودوت باسهاب عن مواطن المساكيت (وهم قسم من اللان سمي باسمهم مدينة مسقط) في شمال نهر أراكس (آراس) وغرب بحر قزوين وعلاقاتهم السياسية أيام ملكتهم (توميريس) مع الميديين ثم مع كورش الإخميني حوالى نهر أراكس[٥٥]. ومن الجدير بالذكر هنا هو أن قيام مملكة في أربيل وكركوك خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد التي أسستها عائلة سكيثية عائلة كل من (مونوبازوس وإيزدين) واشتهر أفرادها بإيمانهم باليهودية ثم المسيحية عند أوائل عهدها، ما هو إلا امتداد لنفوذ القبائل السكيثية التي سكنت قبل هذا الوقت في جنوب أورميا

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٩٨.
والواقع فإن الاسم عند هيرودوت مدون بصيغة (Prtotohyes).
انظر هيرودوت، **التأريخ**، الكتاب الأول، الفصل ١٠٣.
كما أشار الآشوريون الى (بارتاتو Partatua) بلقب (شارو) أي الملك. انظر: دياكونوف، **تأريخ الميديين**، ص ٢٨٠ باللغة الروسية.

(٥٣) وهذا ما يراه دياكونوف أيضاً. انظر: المصدر نفسه، ص ٢٣٠.

(٥٤) هيرودوت، **الكتاب الأول**، الفصل ١٠٤.

(٥٥) حول تفصيلات هذا الموضوع انظر: المصدر نفسه، الفقرة ٢٠١ وما بعدها.

(منطقة موكريان الحالية) التي تؤدي مسالكها مباشرة الى سهل أربيل في الجنوب الغربي، أي محور شنو ـ رواندز ـ أربيل ثم كركوك. أما الباقون من السكيث فقد سلكوا ممر شرق بحيرة أورميا فأدى بهم الطريق الى مناطق همدان مركز القبائل الميدية الرئيسي آنذاك.

وهكذا فليس من الغريب أن يعتبر كتاب اليونان بلاد (سكاسيني) أي بلاد السكس (السكيث)، الاسم الذي تحول الى شاكي (شكيّ في المؤلفات العربية الاسلامية) وهي المنطقة التي كانت عاصمة الشداديين الكرد مدينة كنجه (جنزه) واقعة فيها، من احدى المقاطعات المتواجدة جنوب غرب بحر قزوين. ويقول آريانوس ان هؤلاء السكاسيني كانوا بالاضافة الى الكادوسيين والألبان متحالفين مع الميديين[٥٦]. ولكن لنا أن نسأل لماذا لم تنحرف هذه المجموعة مع القبائل السكيثية التي هاجرت نحو آسيا الصغرى عبر طريق خوى ـ قوتور ـ وان ـ الأناضول الحالية بعد أن عبروا ممرات قفقاسيا؟ ثم كيف استطاعت الدخول الى أراضي دولة المانا واستقرت داخل حدودها مستقلة وأنشأت نظاماً ملكياً فيها لمدة قصيرة قبل سقوط نينوى عام ٦١٢ق.م؟ هنا يمكن القول أن دولة أورارتو كانت قد وسعت آنئذ نفوذها في شمال آشور (وسط كردستان) منذ القرن الثامن قبل الميلاد، وهي مرحلة هجرة هذه القبائل ووصولها الى هذه المناطق، وأصبحت أورارتو ساتراً قوياً أمام هجرة هؤلاء نحو الغرب، لأن طريق خوى ـ قوتور كان يؤدي مباشرة الى عاصمة أورارتو توشيه (وان الحالية).

أما بلاد المانا فأصبح من المعروف قضية تشابك الوضع السياسي فيها خلال القرن السابع قبل الميلاد الى درجة كبيرة أدى الى قيام انتفاضة شعبية ضد السلطة الحاكمة، وكان من نتائجها مقتل الملك المانني (أخشيري) كما ذكر ـ وفي هذه الحالة، وبتصاعد نفوذ السكيث لم يجد الملك الآشوري بداً من أن يزوج ابنته من ملك السكيث ليتقي

(٥٦) أريانوس، أناباسيس، الكتاب الثالث، الفصول ٤، ٨؛
Arr., anab. III, 8, 4.

شرهم وأن يحولهم الى حليف له، في مرحلة كانت امبراطوريته في بداية انهيارها، هذا بالرغم من وقوف المانئا بجانبهم بثبات لكي تصارع السكيث لمدة طويلة. وبإغداق الهدايا والجزية على السكيث استطاع أسرحدون الابقاء على الامبراطورية الآشورية سالمة لمدة طويلة معينة ويستشهد هيرودوت على ذلك بقوله:

«ان السكيث سلبوا جميع آسيا وأخذوا من شعوبها كل ما يملكون»[٥٧].

ولا ريب أن هذين السلب والنهب شملا حتى بلاد فلسطين.

وفي هذا الصدد يخبرنا أسرحدون (٦٨١ - ٦٦٩ق.م) حوالى عام ٦٧٩ق.م عندما حارب الكيميريين بالخبر التالي:

«تيوشب الكيميري الذي وطنه بعيد، قتلته ودمرت عسكره».

ثم يسأل فيما بعد من الإله شمش أن يدعمه في أعماله ضد الكيمير (وفي الأصل كيميرا) الذين تحالفوا مع السكيث. وعلى حد قول كاتب سجلات الملك آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٨ق.م) فإن أجداده «لم يخافوا ولم يتقاعسوا» ثم استمر هو في النضال ضد الكيميريين. وحاربهم في الوقت نفسه ملك ليديا المدعو كيكيس (وفي النص الآشوري كيك) عام ٦٦٠ق.م، وحتى انه أسر زعيمين كيميريين وأرسلهما الى آشور بانيبال، إلا أن كيكيس قتل في المعارك التي جرت معهم واستولى الكيميريون على عاصمتهم (سارد). وفي زمن ابن كيكيس المدعو (أرديس) ٦٥٠ - ٦٢٥ق.م دخلت ليديا تحت ضغط الكيميريين واستولوا على مدينة سارد مرة ثانية، ولكنهم واجهوا معركة قاسية في قيليقيا. وقد أشار كل من سترابو وبلوتارخ الى وصول هؤلاء الى آسيا الصغرى بقيادة ملكهم (ليكدام) ويحتمل أن التراقيين رافقوا هؤلاء الى قارة آسيا بعد أن عبروا هلسبونتس (الدردنيل) وقد وقف أمامهم الملك الليدي أليات (٦١٥ - ٥٦٠ق.م).

---

(٥٧) هيرودوت، **التأريخ**، الفصل الأول، ص ١٠٦.

في خضم هذه الأحداث، ومن خلال الوضع السياسي السائد في المنطقة، كان نجم الميديين قد سطع أكثر من أي شعب آخر على حساب الممالك القديمة، وقد رافق اندحار القوات العسكرية المانئية عام ٦١٦ق.م جنباً الى جنب مع قوات آشور أمام قوات نابو بولاصر البابلي على نهر الفرات، أعقبت دخول القبائل الميدية في بلاد مانئا لكي تسيطر عليها كلياً، وفي هذا الوقت بالذات لم تكن هناك في بلاد المانئا أية سلطة محلية لها القدرة على وقف زحف السكيث اليها، أو نظام مستقر ليقف حائلاً دون وصولهم اليها ـ لذلك ففي هذه المناطق الكردية (ساوج بولاق ـ سابلاخ ـ وسقز وزيويه) وفي الأراضي التي تتاخم الحدود العراقية الايرانية من جهات (نغده ـ شنو)، رسّخ السكيث قاعدة بسيطة لنظام سياسي بعد زوال الحكم المانئي فيها، دامت أكثر من ربع قرن كما ذكر سابقاً. ولكن هذا النظام سقط أمام قوة الميديين على حد قول هيرودوت:

«عندما دعا كي أكساريس زعماء السكيث الى وليمة، أكلوا وشربوا حتى سكروا، ثم قتلهم جميعاً، وبذا حفظ الميديون مملكتهم، ورجع الباقون من السكيث الى بلادهم في السهول المتاخمة للبحر الأسود من الشمال»(٥٨).

وظهروا بعد ذلك في المنطقة المحصورة بين كوبان وجنوب روسيا واستقر قسم منهم بين أرّان وبحر قزوين. وفي شرق القزوين اشتهر قسم من هؤلاء باسم البرث حوالى القرن الرابع قبل الميلاد حيث نزحوا الى الهند وشكلوا مملكة فيها(٥٩). وباعتقادنا فان بعضاً من هؤلاء السكيث ظلوا في المنطقة الكردية من إيران ولم يرجعوا نحو

---

(٥٨) المصدر نفسه. ويرى دياكونوف بأن حدود مملكة السكيث في هذه المناطق غير معروفة. وعلى كل حال فإنها لم تكن تحاذي حدود مملكة آشور. ويعتقد أن تلك الدولة كانت قد تأسست في منطقة أوسع، أي من نهر الكر الى مناطق في شمال بحيرة أورميا مثل منطقة قرداغ وسيلان داغ وفي المناطق التي عاش فيها أقوام مثل أوني والألبان والكاسيين، وكان هؤلاء سكان مملكة السكيث.

حول هذا الموضوع راجع دياكونوف، **تأريخ الميديين**، ص ٢٨٠، ٢٨١.

(٥٩) **دائرة المعارف البريطانية الحديثة**، مادة سكيثيا.

ققفاسيا ثم نزحوا أمام قبائل أسكارتيا (زيكرتو أو زاكروتي) الميدية فاستقروا في مناطق أربيل وكركوك وحتى جبال حمرين، اشتهرت منهم العوائل الملكية لهيلينا وايزاتيس (عزة) ومونوباس وبيت يزدين في العهد السلوقي. وهناك مناطق لا تزال تحتفظ بأسماء جغرافية سكيثية في المناطق المذكورة.

بالاضافة الى ما جاء، فان الآثار والكنوز التي استخرجت خصوصاً في منطقة سقز تؤكد بأن هؤلاء ظلوا هنا فترة تزيد بكثير عن مدة حكمهم لها، وقد صنفت هذه الكنوز في أربع وحدات فيما بعد وهي:

١ ـ كنوز ترجع جذورها الى أصول فنية آشورية.

٢ ـ كنوز سكيثية بحتة.

٣ ـ كنوز ذات مزيج من الفن الآشوري والسكيثي.

٤ ـ كنوز ذات أصل محلي وعلى أغلب الاحتمال مانئية.

وبناءً على هذه الظاهرة فقد أكد كريشمان:

«بأن الشواهد تؤدي بنا الى التصديق على كون سقز عاصمة السكيث وان اسم المدينة مشتق من الصيغة الشرقية لاسمهم (سكس) لأن أسماء العواصم كانت من أسماء الأقوام آنذاك»(٦٠).

وبالمقابل فقد نقل السكيث الذين رجعوا الى بلادهم بعض مظاهر حضارة غرب آسيا وخاصة من الشعب الأورارتي، شوهدت آثارها في القبور القديمة التي اكتشفت في المناطق الواقعة بين مدينة كييف وقريتي أوليفي ودونباس بأوكرانيا، وشوهدت أيضاً تأثيرات سكيثية في شمال ققفاسيا.

وبعكس ما جاء أعلاه، فقد ذكر فلجيفسكي في كتابه (الكرد) باللغة الروسية(٦١):

(٦٠) كريشمان، المصدر نفسه، ص ١٠٧.

(٦١) O. Vilchevsky, Kurdi, M-L (1961), Str. 80, 81.

«بأنه من الصعوبة مشاهدة آثار سكيثية أو كيميرية في شمال وادي الرافدين».

ويضيف:

«إن الآراء التي تشير، حسب أقوال بعض المتخصصين، الى دور السكيث والكيميريين في ظهور ملامح القومية الكردية شيء غير مقنع. لذلك يجب أن ينظر الى تلك الظاهرة من خلال وصول الهجرات الايرانية من ميديا الى شمال وادي الرافدين وليس من خلال وصول السكس (السكيث) اليها».

ويستمر فلجيفسكي في حديثه طارحاً رأياً مناقضاً لرأيه السابق مفاده:

«ان السكس انتشروا بين الكرد عن طريق الترك».

وفي هذا يعتمد على نظرية نيكولاي مار في مضمون (جمجانه) الأسطورة الأرمنية التي تتحدث عن منشأ الكرد مشيرة الى:

«انه في القرن العاشر الميلادي عندما ظهرت السلطة العربية في المناطق المذكورة فان أمراء بلاد عديدة قتلوا، وشمل هذا الأمر كذلك السكس في تركمانيا ومناطق فارس وميديا، وقد أسلم كثيرون منهم. أما الذين كانوا أقرباء الأمراء الميديين فقد هربوا والتجأوا الى (كوردوخ Kordukh) و (موك Mok) في أرمينية وسكنوا فيها، وأصبحوا يعرفون فيما بعد بال(كرد) وانتشروا بعد ذلك في بلاد ما بين النهرين وأرمينيا وسوريا حيث تقبلوا النصرانية ديناً».

مما يؤخذ على قصة وأحداث هذه الأسطورة هو أنها تحدد مرحلة نشوء الكرد بعد القرن العاشر الميلادي، في حين كان الكرد هم الذين يمثلون القوة الاسلامية في كل من أذربيجان وأرمينيا وجيورجيا آنئذ. ثم جاء ذكر الكرد في الكتب الساسانية من القرن الثالث الميلادي (وبالأخص كتاب كارنامك أردشيربابكان) وكذلك الآرامية من القرن الخامس، ثم العربية الاسلامية من القرنين التاسع والعاشر الميلاديين. وعلى كل حال، فإذا كان بين الميديين والسكيث صراعٌ سياسيٌ في القديم إلا أن هذا لا ينفي انتماءهم اللغوي الواحد ورجوعهم أصلاً الى الموطن المشترك القديم حيث تركوه لفترات منذ

نهاية الألف الثالث قبل الميلاد. وكان الجغرافي اليوناني سترابو قد أشار في حينه الى تقارب لغات الميديين والفرس والصغد[٦٢]، الرأي الذي اعتمد عليه المؤرخ السوفياتي دياكونوف قائلاً:

«ان هناك دلائل على تقارب لغة السكيث مع لغة الميديين»[٦٣].

لأن سكان مملكتي ميديا والسكيث كانوا يتفاهمون معاً بكل سهولة. كما أشار الى تلك العلاقة أو القرابة كل من المؤرخين الرومانيين ديودور الصقلي[٦٤] وبلينيوس[٦٥]. وقد تعلم الميديون من السكيث فنوناً حربية وقلدوا بعض أنماط أسلحتهم، وكانوا يرسلون أبناءهم الى السكيث لتعلم استعمال القوس والسهم حتى بعد سقوط دولتهم. ومن الجدير بالذكر إن الميديين كانوا قد اتخذوا محور شرق بحر قزوين في النزوح نحو إيران، أما السكيث فكانوا يسلكون طريق الممرات القفقاسية، أي غرب قزوين. وبما أن الديانتين المزدية والزرادشتية لم تظهرا بين القبائل السكيثية في أوطانها، وإنما بدأتا تنتشران بيد الميديين، لذلك يمكننا الاشارة هنا الى أن هاتين الديانتين ظهرتا أو نظمت مبادئهما في غرب إيران (في كردستان بالذات) بعد أن تشبعت أصولهما بالأفكار الميثولوجية المحلية ذات الجذور القديمة في التأريخ، حيث لم تظهر آثارهما في بلاد سكيثيا شمال البحر الأسود، لكن الواقع إن اسم قبائل السرمات (الذي يتكون من سَيْريما + آريا + تورا) قد ورد في كتاب الآفيستا[٦٦]. الكتاب المقدس لزرادشت.

(٦٢) سترابو، **الجغرافية**، الكتاب العاشر، الفصول ٢، ٨، ١٤.

(٦٣) دياكونوف، المصدر السابق، ص ١٧٧.

(٦٤) ديودور الصقلي، **الكتاب الثاني**، الفقرة ٤٣.

(٦٥) بلينوس، **الكتاب السادس**، الفقرة ١٩.

(٦٦) J. Marquart, **Untersuchngen Zur Geschichte Von Eran** (Leipzig, 1948), p. 78.

وقد ظهر هذا الاسم في الملاحم الايرانية بصيغة سالم. انظر:

C. P. Tolstov, **Drevnii Khorezm.** M. 1948, Str. 222.

بالرغم من أقوال هيرودوت وإشاراته الى دولة السكيث في آسيا التي دامت ٢٨ عاماً، لكن هذا الحكم لم يكن إلا مجرد مركز أو مجموعة من المستوطنات ينطلق منها السكيث للاعتداء على الممالك المجاورة وأخذ الجزية منها فاستغلتهم آشور لصالحها، وبعد ظهور قوة الميديين وسيطرتها على بلاد آشور قفل قسم كبير من السكيث راجعاً الى بلاده الأصلية، لكن الدلائل أشارت الى أنهم لعبوا دوراً سياسياً في آسيا حتى بعد عصر هيرودوت نفسه عقب سقوط الامبراطوريتين الميدية والإخمينية، وأصبح تأريخهم السياسي جانباً من التأريخ الحضاري ليهود ومسيحيي كردستان. وما حملة داريوش بن هيستاسبس الإخميني المشهورة عليهم في آسيا الصغرى خلال نهاية القرن السادس قبل الميلاد (٥١٢ق.م) وتعقبه لهم بسبعمائة ألف رجل، حسب قول هيرودوت(٦٧)، إلا دليل على كثرة وقوة السكيث في آسيا، على الرغم من أن تلك الحملة كانت أشد ضربة لحقت بقبائلهم طوال تأريخهم الطويل. ومع ذلك لم يستطع دارا تحقيق مآربه في الانتصار عليهم بالمفهوم التعبوي للجيوش المنظمة بالرغم من عبوره نهر الدانوب ووصوله الى بلاد سكيثيا شمال البحر الأسود. وبشهادة هيرودوت فإن السكيث كانوا يستعملون خطط حرب العصابات ويجرون قوات الإخمينيين الى حلقة فارغة الى أن أوصلوهم الى سهولهم الواسعة جداً في سكيثيا، وهي لحد أواروس Oarus (ويحتمل أنه نهر الفولغا) حسب قول هيرودوت؛ ثم رجعوا الى إستر (نهر الدانوب) في ستين يوماً مجبرين على التراجع يائسين، ثم أرسلوا لداريوس طيراً وفأرة وضفدعة مع خمسة سهام، وكان كل هذا يعني: أنكم أيها الفرس إذا لم تطيروا مثل هذا الطير في السماء، وإذا لم تختفوا مثل هذه الفأرة تحت الأرض، وإذا لم تقفزوا الى البحيرات مثل هذه الضفدعة، فإن هذه السهام تنتظركم إن لم ترجعوا الى بلادكم(٦٨).

(٦٧) هيرودوت، الكتاب الأول، الفصول ١، ٢.

(٦٨) المصدر نفسه.

وبعد فقده لعدد كثير من رجاله، قفل داريوس راجعاً الى بلاده، وكان الاغريق (الإيونيون) يستعدون على نهر الدانوب لملاقاة قواته، ولكنه لم يعبر نهر تيراس (دنيستر) حيث كان السكيث هنا مختلطين بالاغريق وكانت التجارة بينهم في جميع منطقة أولبيا نشطة.

كان ملك السكيث أيام داريوس هو ايداثيرسوس والد الملك آريابيثيس الذي تزوج من ثلاث نساء، إحداهن كانت يونانية من ايستروس وأخرى سكيثية والثالثة تراقية، وقد انتشر أبناؤه في مناطق عديدة كل حسب انتماء والدته. ومات أحد أبنائه المدعو (أوكتاما ساديس) أيام هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد وكان من زوجته الثالثة الذي حكم في ستيد Stead.

لقد حاول ملوك السكيث التعاون مع اليونان ضد الفرس الاخمينيين، لذلك قام الملك آريانتاس ببعض الإصلاحات في جمع رجال الجيش واستحداث أسلحة من البرونز، ثم بدأ الملوك من بعده التعاون مع الملك الاسبارطي كليومينيس الأول على أن يهاجموا الفرس من جهة فاسيس Phasis والاسبارطيون من جهة أفسوس Ephesus. وبمرور الزمن وقع السكيث في حروب مع قوى مختلفة عبر التأريخ، حيث وقع الملك أتيي السكيثي في حرب مع فيليب الثاني المقدوني، وهاجم زوبيريون، نائب الاسكندر المقدوني في تراقيا، عام ٣٣١ق.م السكيث الأوليفي إلا أن هؤلاء أبادوا جيشه. وفي النهاية تمازج هؤلاء مع السرمات في وقت متأخر، وفي الواقع لم يكن هؤلاء السرمات غرباء عنهم، لأنهم كانوا طائفة نصف سكيثية من ناحية اللغة ذات عرق هجين وعادات خاصة بها كتحكم النساء في السلطة ومشاركتهن في الأعمال الحربية وعدم زواجهن من الرجال الذين لم يقتلوا الأعداء. وقد ادعى بلينيوس أنهم انحدروا من الميديين[٦٩] رغم ما ادعاه هيرودوت بأن السرمات ظهروا نتيجة زواج السكيث بالنساء الأمزونيات اللاتي جلبوهن في القوارب عبر نهر الدون[٧٠].

---

(٦٩) دائرة المعارف التأريخية السوفياتية، مادة السكيث.

(٧٠) هيرودوت، الكتاب الأول، الفصل ١٤٣.

من كل ما جاء يتبين أن أسلاف اللان، وان تراجع أغلبهم أمام قوات داريوس الإخميني الى بلاد سكيثيا، إلا أن اللقاء بينهم وبين الميديين في بلاد الكرد الحالية كان الأساس في التغييرات القومية التي حصلت داخل حدود ممالك آشور وأورارتو ومانئنا وكانت حصيلته نشوء بوادر القومية الكردية.

الفصل الخامس

تقابل الأحفاد والولدان
أو لقاء الكرد والآلان

توفرت الشروط الذاتية والموضوعية لتكامل القومية الكردية في شمال وادي الرافدين وغرب ايران قبل ميلاد السيد المسيح ببعض القرون، لعب أبناؤها دوراً رئيسياً في تأريخ المنطقة المذكورة التي كانت دائماً العارض الطبيعي لنزوح الأقوام البدوية من ايران أو قفقاسيا نحو بلاد الرافدين على مر العصور. وقد اشتد هذ النزوح منذ انهيار الحكم الإخميني وبداية العصر الهليني في الشرق. وكان اللان (الآلان) من أوائل العناصر البدوية، قبل ظهور الترك، التي حاولت النزوح إلى كردستان عن طريق اذربيجان وأرميتيا، ودونت أخبارها في العصر الروماني بشكل جيد. دوّن بعض كتّاب الدولة الرومانية في أواخر الألف الأول قبل الميلاد، أخباراً عن الحالة السياسية في آسيا الصغرى وجهات قفقاسيا وذلك باشتراكهم في الأحداث التي تتعلق بالصراع الروماني - الفرثى، أو بالأخص أثناء حروب ميثرادات السادس المشهور بملك البنطس (١٣٢ - ٦٣ق.م) وحملاته على السكيث والسرمات والآلان. وقد توسع مجال تدوين أخبار هذه البلاد عند وصول كل من القائدين الرومانيين لوكولوس Lucullus وبومبي Pompeyus مع القوات الرومانية إلى مشارف بحر قزوين والتخوم القفقاسية بعد ان أخضعوا آسيا الصغرى.

كان لوكولوس (نحو ١٠٩ - ٥٧ق.م) قائداً لجيش روماني حارب ميثرادات السادس في آسيا الصغرى وأرمينيا، كما تعقب الملك

الأرمني تيكران الكبير، وحالف الملوك المحليين ومنهم ملك بلاد الكرد (كوردويني). ثم خلفه بومبي (١٠٦ - ٤٦ق.م) في قيادة ذلك الجيش لمحاربة ميثرادات، وكان في الأصل أحد السياسيين والعسكريين المتميزين الرومان الذين وصلوا إلى مرتبة القنصل في روما[1]. وقد سجّل المؤرخ والفيلسوف اليوناني بلوتارخوس (٥٠م -

(١) هناك عدد من الملوك حملوا اسم ميثرادات (ويعني في اللغات الايرانية عطاء ميثرا). فميثرادات الأول، ويعرف بعض المرات بالأرساكيس السادس هو ملك البرث الذي حكم بين ١٧١ - ١٣٨ق.م وخلف أخاه فراهات الأول واستطاع استرجاع مقاطعة ميديا من يد القائد السلوقي تيمارخوس قبل عام ١٦٠ق.م. أما في الشرق فقد استولى على تبوريا وتراكسيانا وسيطر كذلك على عيلام واحتل بابل في ١٤٢ أو ١٤١ق.م، لكن ديمتريوس الثاني نيكاتور الملك السلوقي استعاد منه بابل. وقد اشتهر بحبه للهلينية أي الحضارة اليونانية، لذلك اشتهر باسم فيلهيللين.

وميثرادات الثاني (توفي في ٨٨ق.م) حكم الامبراطورية البرثية فيما بين ١٢٣ - ٨٨ق.م وكان ابن وخليفة ارتبان الثاني. وقد استطاع ان يستعيد البلاد التي هيمن عليها السكيث (الساكا) في الحدود الشرقية لامبراطوريته البرثية. وغلب الملك أرتفاسديس الذي أصبح ابنه تيكران الأول ملك الأرمن قريبه عن طريق الزواج بعدما تنازل الأول عن مقاطعة هفتادول (الوديان السبعون) للملك البرثي. ومن أشهر انتصارات ميثرادات الثاني هي حروبه ضد روما عام ٩٢ق.م.

أما ميثرادات السادس الملقب بـ(أيوباتور) فقد حكم بلاد البنطس Pontic فيما بين ١٢٠ - ٦٣ق.م حوالي البحر الأسود (في بانتيكابايوم وهي منطقة كرج المعاصرة في أوكرانيا الحالية) أي سكيثيا القديمة. عزل ميثرادات أمه التي حكمت محل والده بعد موته، ثم استولى على مقاطعات حوالي البحر الأسود، واشتهر كمحارب شديد وقف أمام الزحف الروماني في آسيا الصغرى. واستولى عام ٩٠ق.م على بثينيا الواقعة بين بلاده ومناطق النفوذ الروماني في الأناضول الحالية. ثم استولى على كيدوكيا وتجمع تحت لوائه كثير من المدن الاغريقية في غرب وجنوب الأناضول. وخاض عدة معارك مع القوات الرومانية لكنه تراجع أخيراً إلى بلاده أمام قوات نيكوميديس الثالث ملك بثينيا المتحالفة مع الجيش الروماني. وبعد ثورة جنوده عليه أمرهم بأن يقتلوه. لقد كان ميثرادات السادس حما الملك الأرمني تيكران الكبير المار الذكر. وعاش هذا الأخير فيما بين ١٤٠ - ٥٥ق.م واشتهر كذلك بتيكران الأول بعدما أصبح ملكاً على الأرمن عام ٩٥ أو ٩٤ق.م ووصلت المملكة الأرمنية في زمانه إلى عز قوتها لمدة قصيرة بعدما تحرر ورجع إلى بلاده مقابل مقاطعة هفتادول المارة الذكر التي كانت تقع على حدود ميديا، وبعد مدة قام تيكران بحملات على بلاد سوزيفيني (الواقعة على شرق نهر الفرات) وعقد حلفاً مع ميثرادات السادس ملك البنطس وتزوج ابنته المسماة كليوباترا وهاجما معاً بلاد كيدوكيا في آسيا=

١٢٥م) الذي جال في الشرق أخباراً طريفة عن دور الكرد في منطقة آميد (دياربكر الحالية) مركز بلاد كوردييني (كوردويني) في ذلك الصراع الروماني - الفرثي - الأرمني - البنطسي؛ ويشير في كتاباته بإسهاب إلى اشتراك عدد آخر من السكان المحليين في شرق آسيا الصغرى وجنوب قفقاسيا المغلوبين على أمرهم من قبل الملك الأرمني تيكران وحميه ميثرادات السادس في جميع المعارك التي دارت بين هؤلاء جميعاً ويقول انه:

«اقتيد هؤلاء عندما قهر تيكران آنذاك بعض المدن في فينيقيا، وقد كسب آنئذٍ زعماء كثيرين إلى جانبه، وذلك باخضاعهم قسراً لمملكة أرمينية بدون ان يرغبوا في ذلك. ومن بين هؤلاء الزعماء كان (زاربيون Zarbienus) ملك الكورد Gordyenian، ووقفت إضافة على ذلك كل مدينة محتلة مع تيكران على حدة».

وبعد انتصار لوكولوس على تيكران، يضيف بلوتارخوس أنه:

«ذهب إلى تيكرانوكرتا (المدينة الكردية الحالية ميافارقين التي بناها تيكران في الأصل... ج.ر) وحاصرها، وكان فيها عدد كثير من اليونانيين الذين رحلوا إليها من قيليقيا. ولنفس السبب كان فيها البرابرة (غير اليونان... ج.ر) والكيدوكيون الذين دمرت مدنهم الأصلية».

ويستمر بلوتارخوس في كلامه قائلاً أن:

= الصغرى، ثم دخل في حرب مع البرث في جنوب بحر قزوين. وبعد موت ميثرادات الثاني البرثي استرجع مقاطعة هفتادول واستولى على مقاطعات كبيرة في ميديا وسمى نفسه بملك الملوك واعترف به كل من ملوك ايبيريا وألبانيا وانتصر على السلوقيين بسوريا وبنى مدينة تيكرانوكرتا (ميافارقين الحالية).

أما لوكوللوس Lucullus (نحو ١٠٩ - ٥٧ق.م) فكان قائداً رومانياً حارب ميثرادات وتعقب تيكران، لكن بومبي (١٠٦ - ٤٨ق.م) أخذ مكانه بأمر من مجلس الشيوخ الروماني، فأصبح هذا أحد القناصلة الثلاثة الذين اشتهروا في التأريخ بالتحالف الثلاثي وحكموا الامبراطورية الرومانية. وقد حدث خلافات شديدة بين هؤلاء السياسيين والعسكريين وخاصة بعدما استولى بومبي على سوريا ودخل مصر، ثم رجع إلى روما حيث استقبل استقبالاً حافلاً مما أزعج منافسيه من السياسيين.

«كثيرين من الأرمن والكورد وجميع قوات الميديين وأهل الحدياب أتوا تحت قيادة ملوكهم إليه في حين وصل العرب عنده من جهات البحر الواقعة فيما وراء بابل. ومن جهات بحر قزوين جاء الألبان والايبيريون (الداغستانيون والجيورجيون... ج.ر) وما يجاورهم من الأقوام المستقلة التي تعيش حوالى نهر آراكس دون ملوكهم، وتوسلوا ان يستخدمهم كمرتزقة»(٢).

ثم يقول بلوتارخوس ان الكورد:

«فضّلوا ترك مواطنهم مع نسائهم وأطفالهم ليتبعوا لوكولوس، وكان صبر ملك الكورد زاربيون قد نفد من ظلم وطغيان الملك الأرمني تيكران، لذلك اتصل سراً بـ(أبيوس Apius) لكي يتحالف مع لوكولوس؛ إلاّ انه اكتشف امره عند تيكران، وقضى هذا عليه وعلى زوجه وأطفاله قبل وصول الرومان إلى ارمينية. وهكذا لم ينس لوكولوس هذا الحدث، فأقام بين الكورد احتفالاً مهيباً لشرف مراسيم دفن زاربيون، وزيّن المأتم بأكداس من الألبسة والكسوة الملكية والذهب والفضة وأسلاب تيكران، وقد أوقد نار الاحتفال بنفسه، وشوهد في قصر ملك الكورد كنوز هائلة من الذهب والفضة وغلال لا يقل عن ثلاثة ملايين وزنة من الحنطة والشعير»(٣).

وفي نهاية هذه الحروب التي جرت في شرق آسيا الصغرى وفي بلاد الكورد لم يكن أمراً غريباً أن يوجد بين الأسرى الذين قبض عليهم بومبي بالإضافة إلى ابن تيكران وزوجه وابنته وزوسيم زوجة تيكران نفسه وكذلك شقيقة الامبراطور ميثرادات الفرثي مع أبنائها الخمسة، مجموعة من نساء السكيث (الآلان القدماء)(٤) الذين كانوا يشكلون جزءاً من القوات الفرثية والأرمنية في تلك البلاد.

مهما يكن من أمر، فعندما حل بومبي مكان لوكولوس في قيادة

(٢) plutarch, The Life of The Noble Grecians and Romans, «Lucullus», Encyplopaedia Britanica, Inc. P. 409, 412, 414.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٢٠.

القوات الرومانية في آسيا، تقدم الأول بهذه القوات نحو بحر قزوين بعد ان استطاع قطع مسافة طويلة خلال ثلاثة أيام لكنه رجع إلى أرمينيا بسبب انتشار ثعابين سامة في طريقه. وبينما كان هناك، أرسل كل من ملك العيلاميين وملك الميديين سفراءهم إليه حيث استقبلهم بترحاب. وكان ملك الفرث في هذا الوقت يغزو بلاد الكرد (كوردويني) كما نهب حاجيات تيكران، وقد لحقته قوة عسكرية بقيادة (أفران Afranius) ثم هزمه وطارده بومبي بعيداً لحد مقاطعة أربيلا (أربيل).

في الواقع ان مقاطعة كوردويني كان قد حكمها خلال القرن الأول قبل الميلاد ملوك مستقلون. وأثناء الحرب الثالثة لميثرادات ملك البنطس، وعندما قاد لوكولوس عساكر الروم إلى هذه البلاد، كان يحكم هذه المقاطعة الملك زاربيون كما ذكر، ثم تبعه الملك باسيليوس. ومن بعد تلك الحروب سلم الحكم هنا إلى آريوبارزان Ariobarzanes الأول الكيدوكي. وقد هاجم فرهاد الثالث الفرثي هذه المقاطعة، وبأمر من بومبي طرد أفران الذي بعث لتولي الحكم في هذه البلاد الكردية عام ٦٥ق.م[٥].

ومن جهة أخرى؛ ففي حوالى بداية العصر المسيحي غدا اسم اللان معروفاً في شرق آسيا الصغرى، ويعتقد ان ظهورهم هنا كان انعكاساً لتحرك الكوشان من مواطنهم في أواسط آسيا حينما انقسم السرمات إلى مجموعات، اللازكيون الذين سكنوا في الوديان السفلى لغرب نهر دنيبر، والروخسلانيون (روخس آلان) الذين عاشوا بين نهري الدنيبر والدون وظل الباقون باسم الآلان الذين توغلوا في القرن الأول إلى جبال قفقاسيا[٦]. وبشهادة كل من المؤرخين الرومانيين ديون

(٥) حول هذا الموضوع انظر المصدر نفسه، ص ٥١٦ وما بعدها؛ انظر كذلك د.جمال رشيد أحمد، **دراسات كردية في بلاد سوبارتو** (بغداد، ١٩٨٤)، ص ٧٦، وحول الكردوخيين انظر:
F.H. Weissbach, «**Kardukhoi**» Paulys R.E. X 2, (Stuttgart, 1919).

(٦) Colin MC Evedy, Op. Cit. p.68, 78.

كاسيوس ويوسيفوس فلافيوس[٧] وغيرهما، كانت القبائل الآلانية قد انتشرت من هنا في ميديا وآسيا الصغرى إلى داخل حدود الامبراطورية الرومانية. وقد بيّن بلينيوس (٢٣ - ٧٩م)[٨] بوضوح أن الآلان المساكيت كانوا سكان مدينة مساكيت (مسقط العصر الاسلامي) الواقعة في السواحل الغربية لبحر قزوين.

لقد استمر انتشار اللان في هذه المناطق حتى في العصرين الفرثي والساساني. وقد وصل الأمر بالملك الساساني (خسرو) إلى ان يعقد اتفاقاً مع الامبراطور البيزنطي جوستنيان يتقدمه بند يلتزم الفرس بموجبه بـ:

«عدم السماح لقبائل الهون والآلان بالتوغل في الامبراطورية الرومانية خلال ممرات الخزر»[٩].

وان الرحلات الرعوية التي قامت بها القبائل الآلانية بشكل عام في المناطق المختلفة صورتهم المراجع المختلفة التي ترجع إلى القرون ١ - ٣ الميلادية كـ:

---

(٧) ديون كاسيوس، **تأريخ روما**، Dio. Cas. LXIX, 15 يوسف الفلاوي، **الحرب اليهودية**، Jus. Ant. VII, 4, 7.

انظر كذلك:

N.S. Debevoise, **Political History of Parthia.** (Chicago, 1983), p. 20FF;
F. Smirnov, Savromat. M. 1964, Str.3,

وانظر أيضاً: موسى الخوريني، **الكتاب الثاني**، الفصل ٥.

(٨) بليني، **التأريخ الطبيعي** N.H.، الكتاب الثاني، الفصل ١٢. يعتبر بليني (بلينيوس) ٢٣م - ٧٩م من علماء الطبيعة الرومان كاتباً وإدارياً معروفاً، ألف مجموعة من الكتب ضمن فيها أخبار قبائل مختلفة في أوروبا، ولكن لم يبق منها إلاّ مؤلفه الوحيد (**التأريخ الطبيعي**) وهو يتألف من ٣٧ جزءاً. اقترب من بركان فيزوف عند انفجاره ليتأمله عن كثب فاختنق.

(٩) أحمد عبدالقادر اليوسف، **الامبراطورية البيزنطية**؛ **دائرة المعارف التأريخية السوفياتية**، مادة الآلان؛ الدكتور جمال رشيد أحمد، **دراسات كردية في بلاد سوبارتو**، ص ٩٨، ٩٩؛ هـ. سانت ب. موس، **ميلاد العصور الوسطى ٣٩٥ — ٨١٤م**، (القاهرة، ١٩٦٨) الترجمة العربية؛ الدكتور محمود سعيد عمران، **معالم تأريخ أوروبا في العصور الوسطى** (بيروت، ١٩٨٢)، والدكتور محمود سعيد عمران، **معالم تأريخ الامبراطورية البيزنطية** (بيروت، ١٩٨١).

«سكان سهول شمال ققفاسيا سواء كان هؤلاء قد ارتحلوا إلى أواسط آسيا أو إلى أماكن أخرى»[10].

وفي القرن الرابع الميلادي وصفهم أميانوس مركلينوس[11] على انهم قوم لا يعرفون الزراعة ولا العبودية وكانوا يعيشون في العربات التي كانت تنقلهم من مرعى إلى آخر تجرها الخيول التي امتازوا بها، وان هذا النوع من الحياة الاقتصادية أدى إلى فقدان الاستقرار لديهم داخل المدن الكبيرة أو بجانب المراكز المقدسة أو المعابد الدينية. ويقول اقرار علييف:

«إن اللغة في أتروباتينا (اذربيجان... ج.ر) كانت في هذه المرحلة قريبة من اللغة الايبيرية. وفي نفس هذه المنطقة تواجدت القبائل السرماتية - الآلانية في وقت متأخر نوعاً ما. والمواد التي اكتشفت هنا تؤدي بنا إلى الاعتقاد بأنه خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين ظهر هؤلاء في اذربيجان ثم اتجهوا نحو ايران، وأكدت هذه الحقيقة لا المصادر الكتابية فحسب، وإنما النقوش والآثار التي اكتشفت هناك بالإضافة إلى الآثار المطمورة التي ترجع إلى القرنين الثاني والثالث الميلاديين أبقتها هذه القبائل في مناطق ققفاسيا. واستمر

(١٠) I. De Guignes, Op. Cit. p. 279.

(١١) أميانوس مركلينوس مؤرخ روماني شهير، وهو يوناني المنشأ، ولد في انطاكية، وشارك في الحروب التي وقعت بين الرومان والامبراطورية الساسانية ثم انتقل إلى روما حيث كتب مؤلفه (مآثر Res Gestae). وهناك نظرية تنسب إليه مفادها ان اسم الآلان ينحدر من اسم جبل في آلطاي. انظر كتابه: **الثلاثون**، الفصل ٢٢، الفقرة ١٢.

كان اميانوس آخر مؤرخ روماني رصين ذا تفكير عميق وحاد، رغم انه عاش في فترة بلغت فيها الثقافة درجة بالغة من الانحطاط. لقد امتهن الحياة العسكرية واشترك في عدة حملات إلى جانب الامبراطور يوليانوس، واطلع هكذا على أمور عديدة أثناء تنقلاته، وكان قد بلغ الستين من عمره عندما بدأ بتدوين مؤلفه (التأريخ) الذي ضم ٣١ جزءاً، وقد بدأ بتدوين الأحداث حيث كان قد توقف متقدمه المؤرخ تاكيتوس. حاول أميانوس ان يظل حيادياً وأميناً للحقيقة، ولا تقتصر مهمة التأريخ بالنسبة إليه على تعداد الوقائع بل يجب العمل على جمعها وربطها بالأحداث الكبرى، وحاول ان يهتدي إلى تفسير منطقي للتأريخ.

استيطان قبائل السرمات ومن بعدهم الآلان في هذه المناطق خلال القرون التي تلت هذه المرحلة»[١٢].

ثم انحدرت قبائل (ماسّاك ـ آلان) من خلال الدربند (مدينة الباب) في القرن الأول الميلادي إلى المناطق المحيطة ببحر قزوين وإلى اذربيجان. وتحدث كتاب الأرمن والعرب عن الـ(مزكوت Mazkut) كشعب يعيش حوالى بحر قزوين بجانب الألبان[١٣]. ويشير المؤرخ الأرمني موسى الخوريني إلى وصول هؤلاء إلى شمال غرب اذربيجان وعبورهم إلى ما وراء القفقاس عام ٧٢ الميلادي حينما أصبحوا حلفاء الملوك الايبيريين مخترقين ممر الدريال بمجموعات هائلة نحو ميديا وارمينيا[١٤]. ولاشك انهم أثروا على سكان اذربيجان القدماء الذين كان أغلبهم ميديين وغيرهم يتداولون لغات تنتمي إلى العالم الايراني الذي هو عالم اللغة الآلانية، وقد اشتهرت منطقة (كامبيسيني Kambisene) التي دون اسمها من قبل المؤلفين القدامى على انها مركز تجمع الآلان منذ السبعينات من القرن الأول الميلادي كما كان الحال مع منطقة سكاسيني (شاكي) بالنسبة لأسلافهم السكيث. وقد أدت هذه الحقيقة ببطوليمي (بطليموس) إلى ان يفهم من (السرمات الآسيوي) كل المناطق الواقعة على بحر قزوين بدءاً من نهر فولغا إلى نهر الكر[١٥]. وفي بداية السبعينات من القرن العشرين، وجدت بعثة الآثار اليابانية في منطقة (ديلماني) بعض المدافن التي كانت تحتوي مواد تشير إلى تقاليد سرماتية ـ آلانية لمراسيم الدفن.

وبمرور الزمن أصبح الآلان يشكلون خطراً يهدد مصالح الفرث والرومان في جهات قفقاسيا التي كانت تمثل نقطة الصراع بين

(١٢) Igrar Aliev, **Istoriya Iranskogo Gosudarstva I Kulturi** M. (1971), Str. 199, 200.

(١٣) مينورسكي، **فصول من تأريخ الباب وشيروان**، ص ٦٤.

(١٤) موسى الخوريني، المصدر نفسه.

(١٥) إقرار علييف، **تأريخ الدول والحضارات الايرانية**، ص ٢٠٥.

الامبراطوريتين الشرقية والغربية. وكانت كل منهما تحاول ان تستغلهم لصالحها في القضاء على النفوذ السياسي للجانب الآخر هناك. وقد ظل هذا الصراع قائماً بين الامبراطوريتين إلى أواخر عهدهما، واستمر في العصر الساساني البيزنطي، لكن حدث تغيير في موقف اللان عندما مالوا نحو المسيحية بتأثير الكنيسة الجيورجية في القرن السابع الميلادي(١٦). وغدت بلاد الثغور (الاصطلاح العربي الاسلامي لقفقاسيا) وارمينيا وحتى جيورجيا موضع خلاف دائم بين ملوك آل ساسان وأباطرة بيزنطة. وقد اشتد ذلك الصراع بعد انتشار المسيحية في تلك البلدان واتخاذ قياصرة القسطنطينية من الدفاع عن الأقوام المسيحية هناك حجة لتحقيق مقاصدهم الأخرى. وكانت الخلافات بين القوتين تؤدي أحياناً إلى نزوح بعض الأقوام نحو الجنوب من خلال الممرات القفقاسية. لذلك أغضى كسرى أنوشروان على ما كان من أعمال، حسب قول الطبري الذي يشير إلى ان:

«أمة أبخز وأمة يقال لها خزر وأمة يقال لها اللان حينما تمالئوا على غزو بلاده وأقبلوا على أرمينيا ليغيروا على أهلها... وحتى إذا تمكنوا في بلاده وجّه إليهم جنوداً فقاتلوهم واصطلموهم ما عدا عشرة آلاف رجل منهم أسروا فاسكنوا في اذربيجان ومادالاها»(١٧).

وعلى هذا الأساس:

«ففي مدينة الشابران ومسقط، وفي مدينة باب الأبواب (دربند) الحصينة، أسكن كسرى قوماً سماهم

(١٦) دائرة المعارف التأريخية السوفياتية، مادة الآلان.

(١٧) راجع الطبري، تحقيق نولدكه، ص ٨٩٥، ١٥٧ وما بعدها. وجاء القول نفسه في النسخة العربية لكتاب آرثر كرستنس، **ايران في عهد الساسانيين** (القاهرة، ١٩٥٧)، ص ٣٥٤، كذلك انظر: **فتوح البلدان** للبلاذري، نشر دي كويه، ص ١٩٤ - ١٩٥ طبعة شتوتكارت ١٩٢٣م.

السياسيجين[١٨]، وأقام من هؤلاء القوم حاميات في مناطق عديدة من البلاد الأرمنية التي أخذها من الرومان. وبنى بأرض جرزان (جيورجيا... ج.ر) مدينة يقال لها صغدبيل وأنزلها قوماً من الصغد وأبناء فارس وجعلها مسلحة»[١٩].

وكان:

«مبعوثو بلاد الخزر وآلاني ينتظرون في مدينة باب الأبواب (دربند) عند قدومهم إلى بلاط الملك الساساني».

على حد قول آرثر كريستنسن المتخصص الدانماركي في التأريخ الساساني. وقد ذكر هذا القول في حينه ابن خرداذبه أيضاً بقوله:

«وكان كسرى يحجب من خمسة وجوه يحجب عنه من قدم من الشام من هيث ومن قدم من الحجاز من العذيب ومن قدم من فارس من حريفين، ومن قدم من الترك من حلوان، ومن

---

(١٨) أشار ابن خرداذبه إلى هذا الاسم بصيغة سيسجان كمنطقة جغرافية (انظر: ابن خرداذبه، **المسالك والممالك** (ليدن: بريل، ١٨٨٩، ص ١٢٢). وقد ذكر ابن الأثير خبراً عن السياسيجين حينما أشار إلى أن «حبيب بن مسلمة نزل على نهر ديبل وأتى السيسجان فحاربه أهلها فهزمهم وسار إلى جرزان... الخ». انظر: ابن الأثير، **الكامل في التأريخ**، الجزء الثالث (ليدن: بريل، ١٨٦٨)، ص ٦٦. ومن جهة أخرى فقد أشار إليهم ابن الفقيه أثناء حديثه عن أرّان وارمينيا بصيغة السياسيكين (وهم في الواقع السياسيكين) ويقول: «وجعل أنوشيروان في الفراسخ السبعة سبعة مسالك. على كل ملك منها مدينة قد رتب فيها قوم من المقاتلة الفرس يقال لهم السياسيكين». انظر: ابن الفقيه، **مختصر كتاب البلدان** (ليدن: بريل، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥)، ص ٣٩١، كما اعتبر ابن رسته سيسجان إحدى كور اذربيجان. انظر: ابن رسته، **الأعلاق النفيسة** (ليدن، ١٨٩١)، ص ١٠٦. وراجع بعض التوضيحات لهذا الأسم عند مينورسكي، **فصول من تأريخ الباب وشيروان** (موسكو، ١٩٦٣)، ص ٣١، النسخة الروسية.

أما البلاذري فيقول في هذا الصدد ما يلي:

«أنوشروان كسرى بن قباذ فبنى مدينة الشابران ومدينة مسقط ثم بنى مدينة الباب والأبواب، وإنما سميت أبواباً لأنها بنيت على طريق في الجبل وأسكن ما بنى من هذه المواضع قوماً سماهم السياسيجين» ثم يضيف قائلاً: «وانه بنى قلاعاً بأرض السيسجان منها قلعة الكلاب وساهيونس وأسكن هذه الحصون والقلاع ذوي البأس والنجدة من سياسجية» انظر: البلاذري، **فتوح البلدان** (القاهرة، ١٩٥٩)، ص ١٩٨.

(١٩) الطبري، المصدر نفسه، كذلك البلاذري، المصدر نفسه.

قدم من الخزر واللان من الباب والأبواب ويكتب بأخبارهم ويقيمون إلى ان يرد أمره فيهم»[٢٠].

ثم أدى الصراع الساساني - البيزنطي في النهاية إلى ان:

«يوقف هرقل الزحف الذي قامت به جيوش الفرس فاستعاد آسيا الصغرى، وتقدم طارداً جيوش كسرى في ارمينيا واذربيجان واستولى سنة ٦٢٣ وسنة ٦٢٤م على مدينة جنزك Ganzak (وهي كنجه أو جنزه عاصمة الدولة الشدادية الكردية في القرن العاشر الميلادي... ج.ر). وفي السنوات التالية استولى الخزر على دربند وتحالفوا مع الامبراطور، ثم غزا هذا وادي دجلة واستولى سنة ٦٢٨م على قصر الملك الساساني في دستكرد واستعد لحصار المدائن»[٢١].

ومع اطلالة القرن السابع ولحد القرن العاشر الميلاديين دخل اللان الساكنون في داغستان إلي كوبان (وهي الآن تابعة إلى مقاطعة كراسنودار في شرق بحر آزوف وعلى مشارف قفقاسيا من جهة الشمال الغربي في روسيا الاتحادية... ج.ر) ضمن السلطة الخاقانية الخزرية، ثم بدأوا يحاربون الخلافة الاسلامية العربية والامبراطورية البيزنطية والسلطة الخاقانية الخزرية. وقد اكتشفت آثار تخص هؤلاء وترجع إلى القرون ٨ - ١١ الميلادية في مدن مثل أرخيزيسكو وجولات العليا والسفلى وتلال أرخون بالتا وجيم وغيرها. وخلال القرنين الثامن والتاسع الميلاديين ساد بين آلانيي قفقاسيا النظام الاقطاعي ونضج هذا النظام حتى غدا عند تطوره خطراً على الخزر والأنظمة الاسلامية التي ظهرت على تخوم البلاد القفقاسية ومنها الدولة الشدادية الكردية، وخاصة عندما اتحدت القبائل اللانية في وحدات قوية كبيرة خلال القرن العاشر ولحد الثاني عشر الميلاديين

(٢٠) ابن خرداذبه، المصدر نفسه، ص ١٧٣، وانظر كذلك: أ. كرستنسن، المصدر نفسه، الصفحات ٣٥٤، ٣٩٩، ٤٣١.

(٢١) كرستنسن، المصدر نفسه.

حيث ظهرت هذه الوحدات بمظهر دولة[٢٢]، وقد سرد ابن رسته في هذا الوقت (٣٠٠هـ/٩١٢م) بعض جوانب نظامهم قائلاً:

«تخرج عن يسار ملك السرير فتسير في جبال ومروج مسيرة ثلاثة أيام فتصير إلى ملك اللان. وملك اللان في نفسه نصراني، وعامة أهل مملكته كفار يعبدون الأصنام، ثم تسير مسيرة عشرة أيام بين أنهار وأشجار حتى تنتهي إلى قلعة يقال لها باب اللان وهي على رأس جبل وأسفل الجبل طريق وحواليه جبال شاهقة ويحرس سور هذه القلعة كل يوم ألف رجل من أهلها مرتبون بالليل والنهار، واللان أربع قبائل، فالشرف، الملك منهم في قبيلة يقال لها دحساس (الخطأ من الناسخ، والصحيح هو روخساس أي الآس البيض... ج.ر) وملك اللان يقال له بغاير اسم لكل من ملك عليهم، ومدينة الباب والأبواب ممدودة من رأس جبل القبق أي بحر الخزر ويدخل في البحر ثلاثة أميال»[٢٣].

وعلى ما يظهر من أقوال ابن رسته وغيره من البلدانيين المسلمين فإن

(٢٢) يقول الدكتور حسين قاسم العزيز بأن «العبودية كانت تسود بلاد اذربيجان وارمينيا حتى القرن الرابع الميلادي وقد عانت بلاد القفقاس من الاستغلال الطبقي في عهد العبودية بالاضافة إلى انها كانت مسرحاً للحروب الرومانية ـ الايرانية وكان أهل البلاد من جراء ذلك عرضة للقتل والسلب والنهب وكانوا تحت قبضة السادة ملاك العبيد والمغتصبين الأجانب، غير ان تطور الزراعة واستخدام المعادن بكثرة ونمو التجارة في القفقاس أوجد الامكانيات للانتقال إلى العهد الجديد ـ عهد الاقطاع ـ وذلك بخلق الأزمة لمجتمع العبيد، عندما أصبح هناك تعارض بين القوى المنتجة وبين العلاقات الانتاجية، ولقد اختلق في رحم مجتمع العبيد ـ نواة النظام الجديد ـ المجتمع الاقطاعي، بنشوء السادة ملاك الأراضي ـ الاقطاعيين ـ وبظهور الفلاحين الفاقدين لحريتهم وأراضيهم وذلك لتطور الزراعة وخاصة زراعة الكروم في اذربيجان (ألبانيا) وتطور الحرف وانتشار التجارة في ارمينيا خلق الظروف لنشوء المجتمع الاقطاعي... وكان الاحرار في ارمينيا وألبانيا يطلق عليهم (آزاتي) وغير الأحرار يطلق عليهم (أنازاتي)». حول تفصيلات هذا الموضوع انظر:

حسين قاسم العزيز، **البابكية أو انتفاضة الشعب الأذربيجاني ضد الخلافة العباسية**(رسالة دكتوراه من جامعة موسكو عام ١٩٦٦. بيروت، ١٩٧٤)، ص ٤٦، ٤٧ الترجمة العربية.

(٢٣) ابن رسته، **الأعلاق النفيسة**، ص ١٤٨.

المسيحية كانت في هذه المرحلة هي الديانة الرسمية للطبقات الحاكمة للآلان، ويرجع الفضل إليها في انتشار الكتابة بينهم والتي استندت في الأصل على الخط اليوناني، كما تطور عندهم الفن بمختلف مجالاته، وأسسوا المعابد والكنائس ونحتوا تماثيل جميلة، كما كان لهم أيضاً شأن في الأدب والملاحم، وغدا هذا جزءاً من تراث الأوسيتين اليوم في قفقاسيا.

كان للآلان، فيما بين القرون ١٠ ـ ١٣ الميلادية، علاقات سياسية مع الجيورجيين والروس وبيزنطة، لكن القومية الآلانية ـ الأوسكية (الأوسيتية) ومقوماتها تكاملت في الواقع فيما بين القرون ٨ ـ ١٢ الميلادية[٢٤]. أما بعد القرن الثاني عشر فظهرت عندهم الحياة الحضرية وأصبحوا شعباً معروفاً، بدأ بتدوين ملحمة بطولية متفوقة، ثم دامت مظاهر تلك الحضارة المتطورة لهذا الشعب إلى حد الغزو التتري ـ المغولي وفتوحاتهم في جهات قفقاسيا عام ١٢٢٢م. ومع اطلالة القرن الرابع عشر انتشر بين الآلان الدين الاسلامي وأصبح اسمهم لحد القرن التاسع عشر يعني الصديق أو الجار عند شعوب شمال قفقاسيا[٢٥]. وقبل أفول نجم اللان في العالم القفقاسي بسبب تلك الغزوات، كان أغلب هؤلاء يمتهنون الرعي وقليلاً من الزراعة والصناعة البسيطة وكانوا في علاقات اجتماعية تستند على نوع من الاتحادات القبلية التي يقف على رأسها زعماء قبليون، يجاورون الكرد على مشارف قفقاسيا من جهة الجنوب، وكان الكرد في هذه المرحلة يعيشون داخل نظام سياسي كردي اسلامي يمثلهم بالدرجة الأولى أمراء الأسرة الشدادية ثم الروادية في كل من كنجه وتبريز، وكان هذان الشعبان مرتبطين ببعض الروابط اللغوية في الأصل قبل أية رابطة أخرى، مما سهّل عليهما سبل اللقاء المباشر، وخاصة بين مجتمعاتهما البدوية قبل استقرار القبائل وظهور التشكيلات السياسية

(٢٤) دائرة المعارف التأريخية السوفياتية، مادة الآلان.

(٢٥) المصدر نفسه.

والتنظيم الاجتماعي والاقتصادي للشعبين. وفي خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين تصدّر اللقاء المباشر بين الاتحادات القبلية ذات النظام الانتاجي المتشابه في القاعدة الاقتصادية للشعبين تباين في قواهما السياسية، وأصبح الكرد يشكلون الطبقات السائدة في اذربيجان وقفقاسيا وبلاد أخرى. فبالإضافة إلى الحكم الأيوبي الكردي في كل من سوريا ومصر وشمال وادي الرافدين، فقد ظهرت الدولة المروانية الكردية في ميافارقين (تيكرانوكرتا القديمة) وآميد (دياربكر الحالية)، كما سيطر الرواديون الكرد على مناطق واسعة من اذربيجان وتمركزوا في تبريز، ثم علا شأن الشداديين الكرد في مدينة كنجة (جنزه) وحواليها ثم سيطروا على أقسام كبيرة من أرمينيا وجيورجيا حيث نقلوا عاصمتهم فيما بعد إلى (آني) بجيورجيا الحالية، وقد تضاءلت هذه السيادة الكردية على هذه المناطق، اضافة إلى مقاومة النصارى المحليين، بسبب ظهور قوة القبائل البدوية التركية من الشرق بعد قرن وربع القرن من الحكم الكردي في هذه البلاد.

ومع اطلالة القرن العاشر الميلادي؛ بدأت حركات سياسية واسعة في مناطق جيلان (كيلان) و الديلم (طبرستان) وما يحيطها من البلاد الواقعة إلى جنوب بحر قزوين إثر قيام أنظمة سياسية محلية مستقلة عن نفوذ الحكام المسلمين التابعين للخليفة العباسي ببغداد. وتبعهم في ذلك الحدث وكلاء العباسيين في ارمينيا، حيث انضموا إلى تلك الأنظمة التي ظهرت في اذربيجان وأرّان وبلاد الجرز (الكرج). وقد توسعت هذه الظاهرة في زمن انتفاضة بابك الخرمي (٢٠١هـ/٨١٦م - ٢٢٣هـ/٨٣٧م) في الأقسام الشرقية من اذربيجان، وخلف تمرده من بعده مجموعة من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والقومية بين الطبقات السائدة من العباسيين والسكان المحليين، ويشير الدكتور حسين قاسم العزيز إلى هذه المشاكل قائلاً:

«ان الانتفاضة البابكية لم تمر كسحابة عابرة في سماء الخلافة العباسية دون ان تحدث تأثيراً بل انها تركت آثاراً جسيمة في النظام الاجتماعي والسياسي معاً، إذ انها زعزعت كيان الخلافة وكبدتها الخسائر الفادحة في الأموال والأرواح... مما أضعف

معنويتها وأهبط سمعتها ونفوذها فتقلص نفوذها المركزي على الأطراف مما شجع الأمراء الارستقراطيين على الاستقلال المحلي كالطاهريين كما شجّع الأتراك، فيما بعد، على التطاول على شخص الخليفة، بل ان المعتصم خشي من زعماء الأتراك وكان قد خشي الأفشين»[٢٦].

كانت في هذا الوقت قواعد ومساكن الكرد تقع إلى جنوب ارمينيا (السوفياتية سابقاً) وكانوا يتبعون المذهب السني وقسم منهم من الخوارج، لكن الديلم كانوا من الشيعة، وقد ترك هؤلاء الديانتين الزرادشتية والمسيحية تدريجياً منذ القرن الثامن الميلادي واشتهروا كفرسان محاربين اعتمدوا على الخيول بالدرجة الأولى في تنقلاتهم. وتوجه هؤلاء إلى غرب اذربيجان منذ زمن قديم يسبق العصر الاسلامي وعبروا نهر آراس بعد ان سكنوا تدريجياً في اذربيجان وتوزعوا فيها قبل ظهور الاسلام. وأصبحوا يشكلون القوات المدافعة في هذه البلدان زمناً طويلاً أمام غارات مختلف الأقوام والقبائل التي كانت تحاول الإغارة من مقاطعات قزوين المختلفة نحو الجنوب. وقبل ظهور الاسلام، أشار المؤرخ الأرمني موسى الخوريني (عاش في القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلاديين)[٢٧] إلى وجود المار (وهي الصيغة الأرمنية لاسم ماد (أي الميديين، حوالى نهر آراكس منذ زمن الملك الأرمني تيكران الكبير (١٤٠ - ٥٥ق.م) في الوقت الذي حاول هذا المؤرخ الأرمني ان يربط في تأريخه المشهور (الكتاب الأول، الفصل ٣٠) بين مختلف الأساطير الأرمنية والايرانية. فهو

(٢٦) حسين قاسم العزيز، المصدر نفسه، ص ٢٦١.
وحول أحوال قبائل الترك في بلادهم الأصلية انظر:
جمال رشيد أحمد، مع بعثة ابن فضلان إلى مدن البلغار والتوران تشع بغداد معالم حضارتها إلى مختلف البلدان. بحث قدم في الندوة العلمية الأولى لكلية التربية الأولى «ابن رشد» بجامعة بغداد فيما بين ٥ - ٧ أيار ١٩٩٠.

(٢٧) عاش موسى الخوريني، المؤرخ الأرمني المشهور، فيما بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين ودوّن أخبار المراحل القديمة لتأريخ ارمينيا. انظر:
Mosses of Khoren, I, Ch. 30. Trans. to Russian by N.O. Emin, (Moscow, 1893).

يجعل من تيكران ملك ارمينيا، بدافع التعصب، حليفاً لكورش الاخميني في انتصاره على ملك المار (الميديين) رغم التفاوت الزمني بينهما بخمسة قرون تقريباً. ويضيف ان تيكران أعاد إلى الدار؛ بعد الانتصار، شقيقته (تيكرانوهي) التي كانت زوج الملك الميدي، كما أخذ معه زوجه الثانية (آنوش) مع عشرة آلاف من أسرى المار (الميديين) لإسكانهم على جانبي نهر آراكس خلف السلسلة الشرقية للجبل العظيم (ويعني به جبل آرارات). ثم يصف كبير مؤرخي الأرمن هذا وبتفصيل المنطقة التي أسكن فيها هؤلاء الأسرى من الميديين فيحددها بالأراضي الممتدة من القسم الشرقي من الجبل العظيم آرارات وإلى نخجوان وجولفه ثم إلى أوردوباد على ما يبدو. وكذلك أسكن قسم منهم في حدود كولتعن وتمبات وأوسكيول ودازكونيك وفي مناطق أخرى قرب ضفاف نهر آراكس حيث يسمى أحد روافده ب(فرانجونيك) مقابل حصن نخجوان، كما خصص لهم ثلاث مناطق وهي خرام وجوله وخوشه كونيك المقابلة للسهل الممتد بين أزدناكان جنوباً نحو نخجوان. والواقع إن كولتعن تقابل البقعة الواقعة بين جولفه وأوردوباد، أما أزدنكان (أزدناكان) فتقع على رأس السهل الذي من المفروض انه كان الأرض التي ينبع منها نهر كارني (وهو نهر الأكراد في المصادر الاسلامية المبكرة) أي بجوار دوين (دفين).

تتخلل القصة الكاملة للملك تيكران وآنوش الأرمنية أساطير، لكنها لا تخلو من بعض الحقائق الجغرافية، ولحد ما التأريخية كتحديد موقع مدينة (أزدناكان Ajdanakan) في منطقة بين آرارات ودوين وأوردوباد حيث عاش هناك مجموعات كردية منذ أزمنة قديمة أكثر مما يخيل للمرء عادة حسب قول و.مينورسكي[٢٨]. وان التسمية الجغرافية أزدناكان لها علاقة مع اسم آخر ملك من ملوك الميديين الذي دونه موسى الخوريني بصيغة(أزدهاك Ajdahak) وهو مشتق

(٢٨) V. Minorsky, **Studies on Caucasian History** (London, 1953), p. 125, 126.

في الأصل من الصيغة الآفستية (آزي دهاكه Ajy Dahaka) وهو الأسم نفسه الذي نوّه به الفردوسي في كتاب الشاهنامه. وحقيقة الأمر هي ان هذا الاسم هو غير مشتق من الاسم (أستياك Astyages) الذي دونه هيرودوت وظهر في النصوص المسمارية البابلية بصيغة (إشتوفيكو) وهو آخر ملك حكم الامبراطورية الميدية، وإنما التبس الأمر عند موسى الخوريني، فجمع بين الكلمة (مار) التي تعني في الكردية وفي اللغات الايرانية الأخرى (الحية) وهي الصيغة الأرمنية لاسم الماد (الميديين) ومرادفها (أزدهاك) الذي يعني (التنين) فأصبح اسم آخر ملك ميدي قضى عليه كورش الاخميني حيث عاونه في ذلك الملك الأرمني تيكران حسب اعتقاده، وبذلك اضطربت الحقائق التأريخية في القصة. وقد استند هذا المؤرخ الأرمني في الواقع على أغانٍ تأريخية أنشدت في زمانه ببلدة كولتعن التي تسرد احداها القصة التالية:

«عندما شوهد أرتاشاد، ذهب أرتافازد ابن أرتاشيس صاعداً إلى عند المار (الميديين) وبنى ماركرت (أي مدينة الميديين... ج.ر) في السهل المسمى شَرور»[٢٩].

ان هذا النص جدير بالاهتمام وذلك لدلالته الجغرافية المعينة بالنسبة لبلاد الكرد. إذ ان الخندق الكبير الواقع على الوجه الشمالي لجبل آرارات يسمى (آخوري)، وتامبات هو وادٍ من وديان آرارات العالية الذي ينخفض هنا تدريجياً واكتشفت فيه عام ١٩٠٥م مدينة قديمة. أما (جوله) فهي التخوم المعروفة لبلدة (جولفه). وكانت شَرور تقع على الضفة الشمالية لنهر آراكس أي في الشمال الغربي لـ(نخجوان).

(٢٩) المصدر نفسه.

وقد ترجم الدكتور كمال مظهر أحمد هذا النص بالصورة التالية: «ويستند موسى الخوريني إلى أغانٍ تأريخية تشير إلى قيام أرتواز نجل أردشير، فيما بعد، ببناء مدينة ماراكيرت في شارور بين المارين هؤلاء». انظر مقال:

ف. مينورسكي، «الأكراد أحفاد الميديين»، المنشور في: **مجلة المجمع العلمي الكردي**، المجلد الأول من القسم الأول(بغداد، ١٩٧٣)، ص ٥٦١، ترجمة د. كمال مظهر أحمد.

وبذلك فإن انتقال المار (الميديين) إلى الضفة الشمالية لنهر آراكس كان من الأمور الطبيعية في الأزمنة القديمة. ويقول مينورسكي في هذا الصدد انه:

«من الجدير بالذكر الاشارة إلى ان في أيام موسى الخوريني كانت قد مضت فترة طويلة على زوال الميديين القدماء، لكن مما يجلب الانتباه هو ان المؤرخ الأرمني يطلق مع ذلك اسمهم على معاصريه من الكرد في تلك الأنحاء. ومن هنا فإنه يحتفظ بالتقليد القديم حول اعتبار الكرد أحفاداً للميديين»[٣٠].

لقد أكد مينورسكي هذه النظرية في المؤتمر العشرين للمستشرقين الذي عقد في بروكسل بيلجيكا عام ١٩٣٨م[٣١]، كما ذكر في كتابه (دراسات حول تأريخ قفقاسيا، لندن ١٩٥٣) ما يوضح نظريته قائلاً انه:

«في زمن موسى الخوريني لم يكن هناك ميديون في الوجود وانما كان الكرد يحتلون سفوح جبل آرارات، كذلك تضمنت مخطوطة أرمنية غريبة نموذجاً من ألفباء ولغة دونت في وقت يسبق عام ١٤٤٦م، وهي دعاء برموز كردية تمثل لغة الميديين (مار) مع استعمال لفظ لا يزال يشاهد في القواميس»[٣٢].

ومهما يكن من أمر فإن المعلومات الجغرافية لموسى الخوريني تتطابق تماماً مع المعلومات الواردة في عديد من المصادر العربية الاسلامية التي تشير إلى وجود مستوطنات كردية في شمال نهر آراكس. ويقول مينورسكي:

---

(٣٠) المصدر نفسه.

(٣١) انظر: V. Minorsky, «L'Origine des Kurdes..., p. 143-152.

(٣٢) مينورسكي، **دراسات حول تأريخ قفقاسيا**، ص ١٢٧. وقد استند مينورسكي في ذلك على آراء شانيدزه:
A. Shanidze, The Newly Discovered Alphabet of the Caucasian Albanians, (Tbilisi, 1938),
وقد قابل شانيدزه كلمة مار بـ(كرد) بالاستناد على قواميس آفيتيكيان وسورميليان وآفكيريان (طبعة البندقية، ١٨٣٧م). حول هذا الموضوع انظر بالروسية:
N.O. Emin's Izsledovaniya. M. 1896, pp. 122-132.

«ان أهم وأدق اشارة في المصادر العربية هي ذكر قرية أجدنقان (ربما أجدهقان) عند بوابة مدينة دفين (دوين)، أي قرية (الأجدهقان) بين ما تطرق إليه موسى الخوريني[٣٣]. وكانت دفين وبالعربية دبيل أو دوين وباليونانية دوبيوس أو تيبيون) إحدى العواصم الأرمنية التي أنشئت في القرن الرابع من قبل خسرو الأرشاكي الثاني الأرمني، وسكن الكرد بجوار هذه المدينة منذ أزمنة مبكرة»[٣٤].

وأصبحت المدينة في العصر الاسلامي مفتاحاً للفتوحات الاسلامية في قفقاسيا. وعلى كل حال فإن موقعها يجب ان يعيّن على الضفة اليسرى من نهر كارني (آزات القديم أو نهر الأكراد في العصر الاسلامي المبكر) وكانت تحيطها ثلاث قرى أشهرها كانت دفين ـ كورد كه ند Divin-Kurda kend. وكان نهر آزات يصب في نهر آراكس شرق نهر زنكه zanga(هرازدان) في المكان الذي تقع عليه مدينة بريفان الحالية عاصمة ارمينيا (السوفياتية سابقاً). وقد أشار ابن خلكان إلى ان المؤرخين يوافقون على كون أبوي صلاح الدين الأيوبي من دفين (دوين)، المدينة الصغيرة التي تقع على الحدود البعيدة لأذربيجان وكانت تتصل بأرّان وببلاد الكرج (جيورجيا) مباشرة. وكانت هناك بقرب هذه المدينة قرية تسمى (أجدنقان) وسكانها قاطبة كانوا من كرد الروادية، وولد فيها والد صلاح الدين. ويوضح مينورسكي نقطة في هذا الصدد مفادها هو انه من غير الصواب القول بأن قرية (أجدنقان) تتطابق مع (أزداناكان) التي ذكرها موسى الخوريني قبل ميلاد صلاح الدين الايوبي بأربعة قرون. ومن المعلوم ان القسم الجنوبي الرئيسي من بلاد اذربيجان كان موطن

---

(٣٣) مينورسكي، **الأكراد أحفاد الميديين**، ص ٥٦١.

ويذكر ابن خلكان ما يلي:

«قال لي رجل فقيه عارف بما يقول وهو من أهل دوين: إن على باب دوين قرية يقال لها أجدانقان وجميع أهلها أكراد روادية». انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، الجزء ٧، ص ١٣٩.

(٣٤) مينورسكي، **دراسات حول تأريخ قفقاسيا**، ص ١١٧.

الميديين وسكنته الكرد منذ أزمنة قديمة، لذلك يشير مينورسكي إلى ان:

«القسم الغربي من منطقة (ماكو) بايران، وبالتحديد منطقة (دامبات) التي يذكرها موسى الخوريني، مسكونة لحد الآن من قبل الكرد. وإذا جاء التعبير عن اسم (مادا Mada) القديم بشكل (مار Mar) في اللغة الأرمنية فإن التعبير عنه بالفارسية جاء بشكل (ماه Mah). وهكذا فإن الشكل القديم لإسم ماكو (ماهكوه Mah-Kuh) يؤيد أيضاً وبدقة علاقة الكرد بالميديين. وبالامكان الإشارة إلى جبلي منطقة بحر الخزر (قزوين) على انهم من بين هجرات القبائل الايرانية المتأخرة التي توجهت نحو الغرب في القرن العاشر الميلادي. وعند وصول هؤلاء وجدوا في اذربيجان الجنوبية كرداً متمركزين»(٣٥).

(ويقصد مينورسكي بها الرقعة الممتدة بين جبال تاليش ونهر آراكس وبحيرة أورميا... ج.ر). ويضيف قائلاً:

«ان العرب المسلمين عندما بسطوا نفوذهم بصورة غير مباشرة على تلك المناطق كانوا في الواقع يتزعمون العنصر الكردي في جهادهم»(٣٦).

أي كانت القوات الاسلامية تتألف من أغلبية كردية. وبعد الضعف الذي دبّ إلى سيطرة العباسيين تدريجياً بتأثير تسلط (الساجدية) لم يملأ ذلك الفراغ السياسي في جنوب بحر قزوين غير الديلم والكرد. وكانت خيم الكرد تقع جنوب ارمينيا واشتهروا هناك كفرسان محاربين توغلوا إلى غرب اذربيجان وعبروا نهر آراكس منذ أزمنة قديمة كما ذكر، لكنهم كانوا موجودين في اذربيجان باستمرار وشكلوا دائماً قوة تحمي هذه البلاد من الغزاة الشماليين القادمين من

---

(٣٥) مينورسكي، المصدران السابقان نفساهما.

(٣٦) لقد استعمل العباسيون مثلاً نظام الحكم غير المباشر على أرمينيا من خلال أمراء الأسرة البكراتية (٨٠٦م . ١٠٤٥م) وقد استعمل هنا لقب (الملك) منذ عام ٨٨٥م. مينورسكي، **دراسات حول تأريخ قفقاسيا**، ص ١١٠.

المناطق القزوينية. وبعد سقوط (الساجدية)، كافح قائدهم ديسم بن ابراهيم ليتسلم السلطة في اذربيجان (٣٢٧- ٣٤٥هـ/٩٣٨ - ٩٥٦م) التي دامت بيده ١٨ عاماً، وكان هذا خارجياً، ولد من أب عربي وأم كردية وكانت قواته تتألف من العنصر الكردي بشكل رئيسي. ومهما يكن فإن الكرد كانوا عنصراً من عناصر بلاد قفقاسيا منذ الألف الأول قبل الميلاد، وتميزوا سياسياً هناك في بداية العصر الاسلامي. لذلك فعندما وصل حبيب بن مسلمة الفهري إلى أردسات (أرتاشات) عام ٢٢هـ/٦٤٣م - عبر نهر الأكراد - وانحدر مباشرة إلى سهل دبيل (دفين) وان هذا المجرى ما هو إلاّ نهر كارني المار الذكر. ويقول البلاذري في هذا الصدد ما يلي:

«ثم سار حبيب وأتى أزدساط (والأصح أردساط... ج.ر) وهي قرية القرمز وأجاز (والأصح اجتاز... ج.ر) نهر الأكراد ونزل مرج دبيل فسرب الخيول إليها»(٣٧).

وما كان على الجغرافي العربي المقدسي في نهاية القرن العاشر الميلادي إلاّ ان يشير إلى كون النصارى:

«يشكلون العنصر الغالب في دفين، لكن المدينة كانت يضبطها الأكراد»(٣٨)

أما اليعقوبي فقد أشار إلى أن:

«عثمان قد وجّه حبيب بن مسلمة الفهريّ إلى ارمينية ثم أردفه سلمان بن الباهلي مدداً له فلما قدم عليه تنافرا وقتل عثمان وهم على تلك المنافرة وقد كان حبيب بن مسلمة فتح بعض ارمينية وكتب عثمان إلى سلمان بإمرته على ارمينية فسار حتى أتى البيلقان فخرج إليه أهلها فصالحوه ومضى حتى أتى برذعه فصالحه أهلها على شيء معلوم وقيل ان حبيب بن مسلمة افتتح جرزان ثم نفذ سلمان إلى شروان فصالحه ملكها ثم سار حتى أتى أرض مَسقَط فصالح أهلها وفعل مثل ذلك

---

(٣٧) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٠٣ (القاهرة، ١٩٥٩).

(٣٨) المقدسي، ص ٣٧٧، مينورسكي، المصدر نفسه ص ١٢٨.

ملك اللكز وأهل الشابرّان وأهل فيلان ولقيه خاقان ملك الخزر في جيشه (على؟) نهر البلنجر في خلق عظيم...»[٣٩].

ومن جهة أخرى فقد دونت أخبار المناطق الكردية في اذربيجان أثناء الفتوحات الاسلامية في صدر الاسلام. ففي إشارة إلى هذا الموضوع يقول البلاذري أن:

«المغيرة بن شعبة قدم الكوفة واليا من قبل عمر بن الخطاب ومعه كتاب إلى حذيفة بن اليمان بولاية أذربيجان فأنفذه إليه وهو بنهاوند وبقربها فسار حتى أردبيل وهي مدينة اذربيجان وبها مرزبانها وإليه جباية خراجها. وكان المرزبان قد جمع إليه المقاتلة من أهل باجروان دميمذ والنرير وسراة والشيز والميانج وغيرهم، فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً أياماً، ثم ان المرزبان صالح حذيفة عن جميع أهل اذربيجان على ثمانمائة ألف درهم وزن ثمانية على ان لا يقتل منهم أحداً ولا يسبيه ولا يهدم بيت نار ولا يعرض لأكراد البلاسجان (وبالكردية بلاشكان... ج.ر). وسبلان وساترودان ولا يمنع أهل الشيز خاصة من الزمن في أعيادهم واظهار ما كانوا يظهرونه».

وقد أكد الدينوري هذا الوجود الكردي كذلك في ارمينية[٤٠]. ولكن من المفيد الاشارة هنا إلى ان الكاتب الأرمني (ليو) ذكر صيغة أرمنية للكرد قائلاً ان سكان منطقة (البذ) الجبلية التي أصبحت مركزاً لثورة بابك والحركة الخرمية، كانوا يسمون بالكوردوك Kurduk. ويضيف أن هذه التسمية ترتبط بدون شك بكلمة الكرد[٤١].

وعلى كل حال، فإن أواخر القرن التاسع الميلادي تعتبر، بالنسبة لسكان البلاد التي تحيط ببحر قزوين، بداية عصر النهضة

(٣٩) **تأريخ اليعقوبي**، الجزء الثاني (ليدن: بريل، ١٨٨٣)، ص ١٩٢.

(٤٠) الدينوري، **الأخبار الطوال**، ص ٣٤٠. وانظر أيضاً: البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ٣٢١.

(٤١) ليو، **تأريخ ارمينيا** (يريفان، ١٩٤٧)، المجلد الثاني ، ص ٤٢٦. لقد كتب الباحث الأرمني ليو مجلدات ضخمة عن تأريخ ارمينيا ويسرد فيها روايات مؤرخي القرون الوسطى.

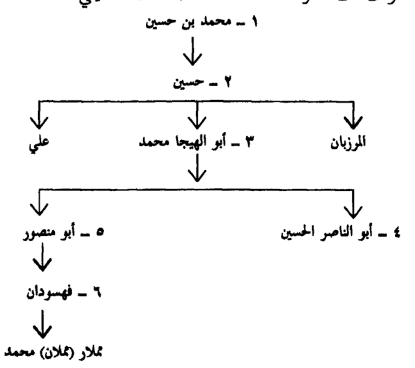
(الرينسانس) الذي بدأ في خراسان أيام حكم السامانيين وأثر فيما بعد على نواح أخرى من آسيا وخاصة شرقي الأناضول، المناطق المتاخمة مباشرة للامبراطورية البيزنطية. وتألقت في هذا العصر أسماء سلالات كردية لعب أصحابها أدواراً سياسية متميزة في هذه المناطق، ومنها سلالة الروادين التي هي بطن من بطون الهذبانية الكردية المشهورة، وظهر من بينهم زعماء قديرون أمثال صلاح الدين الايوبي وأدباء مشهورون كأبي الهيجاء الروادي الذي كتب تأريخ اذربيجان والذي ضاع لسوء الحظ(٤٢).

ولأجل توضيح الدور التأريخي للكرد في قفقاسيا وعلاقتهم بشعوبها يجب الاشارة إليها من خلال الرجوع إلى تأريخ دولة الروادين والشداديين في كل من اذربيجان وارمينيا وجيورجيا. فبالنسبة للدولة الروادية فقد حكمت في اذربيجان في حين كانت السلالة الشدادية تحكم في أرّان ويبسطون نفوذهم على المقاطعات الواقعة في المثلث الذي بين نهري آراكس والكر، وكانت تقابل بلاد شروان الواقعة بين نهر الكر وسلاسل جبال قفقاسيا. ويذكر مينورسكي أن ظهور الدولة الشدادية كان منذ ان قبض على سالار مرزبان بن محمد بن مسافر الديلمي قرب (ري) عام ٣٣٧هـ/٩٤٨م. وكان أول حاكم من السلالة الشدادية هو شداد بن قرطق(٤٣). أما في اذربيجان فقد

(٤٢) كانت مراكز السامانيين السابقة ما وراء النهر وبخارى وسمرقند، وهي البلاد الواقعة شرق القزوين، تتمتع بهدوء نسبي في ظل حكومتهم المستنيرة في القرن التاسع الميلادي. وكان مؤسس هذه الدولة سامان خواده، اعتنق الاسلام في خلافة هشام بن عبدالملك (٧٢٤م - ٧٤٣م). وحوالى عام ٨١٩م عين المأمون حفدة سامان الأربعة ولاة على سمرقند وفرغانه والشاش وهراة، ثم تقلصت رقعة نفوذهم على يد دولة الأيلك خانية التركية في تركستان. للاستزادة من هذه المعلومات انظر:
Bosvort K.E., Musulmanskiye Dinastii. Perevod S Angliyskogo u Primechaniya P.A. Cryaznevich, (Moskva, 1971).
ويقول ابن خلكان: «ان الروادية بطن من الهذبانية وهي قبيلة كبيرة من الأكراد». انظر:
ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، الجزء السابع، تحقيق د.إحسان عباس (بيروت)، ص ١٣٩.

(٤٣) مينورسكي، **دراسات حول تأريخ قفقاسيا**، ص ٨ - ٩.

انتقلت القوة إلى يد الروادين من المسافريه الديلم(٤٤)، أي بعد القضاء على سالار المذكور، وكانوا حكاماً على قسم من ارمينيا. وقد اكتشف مينورسكي أسماء ستة أشخاص من هذه السلالة، مع بعض المعلومات القليلة عنهم في قطعة تتعلق بتأريخ باب الأبواب، لكنه لم يستطع معرفة مؤلف تلك المعلومات(٤٥) أما الأسماء فكانت كما يلي:



لقد امتلك الروادیون اذربیجان وتبریز عام ٣٤٣هـ/٩٥٤م وجعلوا تبريز عاصمة لهم، ثم فتحوا أغلب جهات اذربيجان عام ٣٧٣هـ٩٨٣م. أما أفول نجمهم السياسي وسقوطهم فكان في ٤٦٣هـ/١٠٧٠م، وقد دام حكمهم هناك ١١٧ عاماً تقريباً. وكان

(٤٤) جدير بالذكر هنا ان فرع المسافريه من الديلم الذين كانوا في منطقة طرم (تاروم) اتجهوا أيضاً نحو اذربيجان وما وراء القفقاس خلال القرن العاشر واختلطوا مع الكرد. ونظراً للتقارب اللغوي بين هذين العنصرين فقد خرجت نظريات عديدة حول انتماء كرد الزازا (الظاظا) إلى الديلم.

(٤٥) مينورسكي، المصدر نفسه، ص ٨ - ٩.

محمد بن حسين الروادي أول من حكم من هذه السلالة بالاضافة إلى حكمه لبعض المقاطعات في ارمينيا، إذ ان أجزاء من مقاطعات اذربيجان وقفقاسيا كانت تسمى بأرمينيا وقتذاك. ثم توسعت رقعة سلطته بعد ان أسر سالار مرزبان الديلمي المار ذكره. وبعد وفاة الأمير الأول للدولة الروادية أصبح ابنه حسين بن محمد الروادي وريثاً له في حكم أذربيجان، واستطاع احتلال مدينة تبريز عام ٣٤٥هـ/٩٥٦م ثم بنى أسواراً لها وجعلها عام ٣٥٠هـ/٩٦١م عاصمة لدولته وغدا حكمه قوياً في اذربيجان.

خلف الأمير حسين بن محمد الروادي ابنه أبو الهيجا، حيث استطاع هذا فتح جميع مناطق اذربيجان بعد موت ابراهيم بن مرزبان في ٣٧٣هـ/٩٨٣م وأسره لمرزبان بن اسماعيل بن فهسودان بن محمد ابن مسافر الديلمي حيث جعله في السجن عام ٣٧٤هـ/٩٨٤م وضم إلى حكمه البلاد التي حكمها أيضاً. ولكن مع ذلك، فقد تمرد عليه أخوه مرزبان بن حسين الذي استطاع القبض على أبي الهيجا عام ٣٨٦هـ/٩٩٦م إلاّ انه توفي بعد ذلك بسنوات قليلة ـ عام ٣٩١هـ/ ١٠٠٠م ـ وخلفه ابن أبي الهجيا المدعو أبا ناصر حسين بن محمد الروادي عام ٤١٦هـ/١٠٢٥م وتبعه في ذلك شقيقه أبو منصور فهسودان بن محمد الذي حكم لمدة طويلة إلى ان توفي عام ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م، حيث خلفه ابنه محمد بن فهسودان.

أما في ارمينية فقد سكن محمد بن شداد بن قرطق مع أهله في مدينة دبيل (دفين) وأطاعه سكانها، وبدأ حكمه من هناك منذ عام ٣٤٠هـ/ ٩٥١م. وقد امتدح المؤرخون العرب المسلمون دولة الشداديين وذلك للصفات والمميزات السياسية التي اتسمت بها أعمال أبناء هذه السلالة لعدلهم واحسانهم وحسن تصرفهم مع المحكومين أياً كانت جنسيتهم ولغتهم، وقد دوّن الكاتب العثماني أحمد بن لطف الله الملقب بـ(منجم باشي) أخباراً قيمة حول أذربيجان وأرّان وما وراء قفقاسيا في بداية العصر الاسلامي وما ساد فيها من علاقات سياسية، وله باب في تأريخ الدولة الشدادية التي حكمت أرّان وبعض ارمينيا

في شرق القفقاس بين نهري الكُر وآراس (آراكس) حيث اشتهرت من مراكزهم مدن دبيل وجنزه (كنجه) وبرذعه استند في سرده للأخبار على كتاب تأريخي قديم ألف حوالى عام ٥٠٠ هجرية قائلاً:

«ان ابتداء ظهور بني شدّاد كان في سنة ٣٤٠هـ وانقراضهم في سنة ٤٦٨هـ، أما مدة إمارتهم فكانت ١٣٨ عاماً ابتداء من حكم محمد بن شداد بن قرطق»[٤٦].

في الحقيقة ان سلالة الشداديين كانت إحدى تلك الأسر الاسلامية النادرة التي درس تأريخها بشكل غير وافٍ[٤٧]، وكان محل اقامتهم مدينة كنجه (جنزه) ٣٥كم جنوب مدينة بريفان الحالية ثم انتقل إلى العاصمة الأرمنية العتيقة دفين (دوين) وقد حكم فرع أحدث من هذه السلالة في عاصة ارمينية أخرى هي آني Ani. ومن الأمور الطريفة لهؤلاء، وبحكم ولعهم بالحرب ونشاطاتهم العملية في السلم، انهم وقعوا في تماس مباشر مع جيرانهم المسيحيين من الأرمن والجيورجيين ومختلف الغزاة الشماليين، ومن ضمنهم الآلان والروس. ويشكل الشداديون الحلقة المفقودة للحوادث التأريخية التي جرت في شرق آسيا الصغرى قبل وصول الترك إليها. وفي الواقع فقد ظهر بنو شداد في عالم السياسة في الوقت الذي كان أباطرة بيزنطة يلتمسون، وعلى حساب أعصابهم، ضمان أوضاعهم في ارمينية وقفقاسيا، في الوقت الذي كان هناك في الشرق نهوض موجات عالية للغزو التركي الذي غيّر وجه جنوبي غرب قارة آسيا فيما بعد. لذلك يعتبر الحكم الكردي الشدادي أحد الفواصل لعصر هام رفيع المستوى وقصير الأمد بين دوري السيادة العربية الاسلامية والاحتلال التركي الطويلين نسبياً.

لقد تحدد موقف محمد بن شداد، مؤسس الأسرة الحاكمة، بعد ان دخل في خصام مع الحامية الديلمية في مدينة دفين حيث عاونه الكرد

---

(٤٦) انظر: باب الشدادية من كتاب: منجم باشي، جامع الدول.

(٤٧) لقد تطرق ابن الأثير إلى أحد زعمائهم فقط وسماه الأمير فضلون الكردي عام ٤٢١هـ. انظر:
ابن الأثير، **الكامل في التأريخ**، المجلد التاسع، ص ٢٨٩.

الساكنون بجوار مدينة كنجه التي غدت عاصمتهم فيما بعد، وكان هذا النجاح قد تحقق بعد ان حطّم ديسم الكردي (ديسم بن ابراهيم) قوة لشكري بن ماردي الديلمي الذي حاربه عدة سنين(٤٨). وبالرغم من كون محمد بن شداد زعيماً كردياً لكنه لم يكن في علاقة مباشرة مع اسرة أخرى تسمت بالروادية حكمت في تبريز وأفرادها ينحدرون من بني الأزد العرب الذين استكردوا عن طريق الزواج. وقد ظهر اسم الأمير فضل بن محمد بن شداد على مسكوكتين بصيغة «الأمير السيد المنصور فضل بن محمد شداداني» وعلى مسكوكة ابنه شافور بصيغة «الفضل بن شداد»، لذلك يعتقد بعضهم بأن اسم شدّاد هو في الأصل لقب الكياسة والنبل(٤٩).

وعلى كل حال فإن قوة محمد بن شداد كانت لا تزال غير كاملة عندما هرب مرزبان سالار زعيم المسافريه الديلم من الأسر الذين احتلوا قلعة دفين. هذا بالاضافة إلى ان محمد بن شداد واجه هجوم آشوت بن عباس على مدينة آني، وكان آشوت من الأسرة البكراتية الجيورجية الذي حكم فيما بين عامي ٩٥٢ - ٩٧٧ الميلاديين. لذلك سار محمد إلى واسبوراكان، بعد ان عبر نهر آراس، وكانت الأراضي الواقعة بين مدينتي وان ونخجوان تحت سلطة ملك واسبوراكان. ومع ذلك لم يكن في نية هذا الملك توسيع رقعة ملكه في هذه الآونة. وبعد وضع خطة لسلطته زار محمد بن شداد امبراطور الروم (وقد ورد اللقب ملك الروم بدلاً من امبراطور الروم في المخطوطات) أو أحد ممثليه في شرق آسيا الصغرى. وكانت سنة ٩٥٤م مرحلة مهمة

(٤٨) حول تفصيلات هذا الموضوع انظر: كسروي تبريزي، **شهرياران كمنام**، الجزء الأول(طهران، ١٣٠٧هـ/١٩٢٨م)، بالفارسية.

(٤٩) مينورسكي، **دراسات حول تأريخ قفقاسيا**، ص ٣٥.

جاء اسم الروادين الكرد بصيغة روند(رواندي) عند شرف خان البدليسي (**كتاب الشرفنامه**). وكان هؤلاء حسب قول مينورسكي، متواجدين في ارمينيا قبل عصر موسى الخوريني (أي قبل القرن الخامس الميلادي) وليس لهم علاقة مع أسرة روّاد الأزدي العربية التي هاجرت إلى اذربيجان. ثم ان صلاح الدين الأيوبي ينحدر من اولئك الروند الكرد ومن بطن الهذبانية.

انظر مينورسكي، **دراسات حول تأريخ قفقاسيا**، ص ١٢٣، ١٢٨ - ١٢٩.

للتوسع البيزنطي في ارمينيا تحت قيادة قسطنطين بورفيروكينيتوس ٩٤٤م - ٩٥٩م، كما يشير المؤرخ الأرمني آسوليك في الفقرة السابعة من كتابه الثالث إلى استيلاء اليونانيين على مدينة كارين (فاليقلا الحالية) وثيودوسيوبوليس التي عرفت فيما بعد بأرضروم(٥٠). ولعل هذه الأوضاع غير المستقرة في زمن محمد بن الشداد أدت بالمؤرخ الأرمني ورتان (فاردان الذي عاش في أواسط القرن الثالث عشر الميلادي) إلى ان يعتبر ابناء محمد بن الشداد الثلاثة، مرزبان ولشكري وفضلون، كمؤسسي الدولة الشدادية، لكن التقليل من شأنهم، كقوله انهم مع أمهم (مام) كانوا قد وصلوا من ايران إلى مدينة فاريسوس بأرّان أيام كريكور ثم تركوا الوالدة في ضيافة كريكور واستولوا على قلعة شميرام ومعظم مقاطعة آزو، ثم صادقوا أمير مدينة كنجه وخدعوه وبعد ذلك قتلوه ووضعوا أيديهم على كنجه، فهو نتيجة ذلك التعصب الديني الذي كان يسود عند الأرمن تجاه المسلمين في هذا العصر. وقد أكد هذه الحقيقة الاستاذ أحمد كسروي التبريزي عندما أشار إلى أنه:

«لا يمكن الاعتماد على أقوال وارتان (ويعني فاردان) لأن الشداديين ينحدرون بالأصل من الكرد الرواديين الذين تواجدوا في أرمينيا منذ أزمنة قديمة».

(ويعني بهم الأسرة الروادية الهذبانية الكردية وهم غير بني الرواد الذين يرجعون في نسبهم إلى قبيلة الأزد العربية كما ذكر). ويضيف كسروي أيضاً:

«إن وارتان لا يتطرق إلى أبيهم الذي لعب دوراً مهماً هناك، وإلا كيف يستطيع أشخاص ثلاثة مع والدتهم ان يستولوا على سلطة بلاد وهم غريبون عنها بعدما أمنوا على والدتهم عند حاكم غير مسلم، ثم تحايلوا عليه وقتلوه»(٥١).

---

(٥٠) وقد اشتهر الامبراطور البيزنطي قسطنطين بـ(الطاغية) في المصادر الاسلامية. حول تفصيلات الحوادث انظر: البلاذري، فتوح البلدان، فتح ارمينيا.

(٥١) كسروي تبريزي، شهرياران كمنام، الجزء الثالث، ص ٨، ومينورسكي، المصدر نفسه، ص ٣٧ وما بعدها.

راجع كذلك النسخة الروسية لكتاب ورتان (فاردان) ترجمة ن. أمين =

= (موسكو، ١٨٦١م)، وقد وردت فيها الأسماء بصيغ ارمنية مثل أشخان كريكور بدل الملك كريكور وباريسوس بدل فاريسوس وبرزفان بدل مرزبان وبتلون بدل فضلون. الصفحات ١٢٥ ـ ١٢٩. وقد قدم .N.F.A عام ١٩٠٩ في مجلة: **الجمعية الملكية الآسيوية البيزنطية (J.R.A.S)** توضيحاً حول نسب الأسرتين الشدادية والروادية وربطهم بالسلاريين خطأً وحسب الجدول الآتي:

مسافر

↓

محمد المعروف بأبي الأسوار ٣٣٠هـ

↓

سلاّر الطرم (تاروم) ٣٣٨هـ

↓

المرزبان السلاّر ٣٤٦هـ

↓

ابراهيم ٣٨٨هـ — ناصر — جستان — روّاد (وهو المعروف عند الأرمن بروفاد وتوفي قبل والده

↓ (ابراهيم)

منوجهر — ابو الهيجاء حاكم أهر وزرقان

منوجهر ← الفضل (أمير كنجه) ← أبو الأسوار شاور ← منوجهر / فضلون الروادي

ابو الهيجاء حاكم أهر وزرقان ← مملان ← وهسوذان ← مملان

لكن بوسفورت K.E. Bosvort عدّل في كتابه: **السلالات الاسلامية**، المعلومات المتعلقة بالأسرتين الكرديتين الروادية والشدادية الحاكمتين في كل من اذربيجان وأران بعد أكثر من نصف قرن من نشر ذلك المقال وجاءت أسماء أفراد السلالتين بالتسلسل التالي:

الأسرة الروادية

الابتداء من القرن الرابع . ٤٦٣ الهجري/بداية القرن العاشر . ١٠٧١ الميلادي

محمد بن حسين الروادي ... ؟

حسين بن محمد ... حوالي ٣٤٠هـ/حوالى ٩٥١م

أبو ناصر حسين الثاني بن مملان ... ٣٩١هـ/١٠٠٠م

وهسودان بن مملان ... ٤١٦هـ/١٠٢٥م

الاحتلال السلجوقي لأذربيجان ... ٤٦٣هـ/١٠٧١م

أحمد بن ابراهيم بن وهسودان ...؟ =

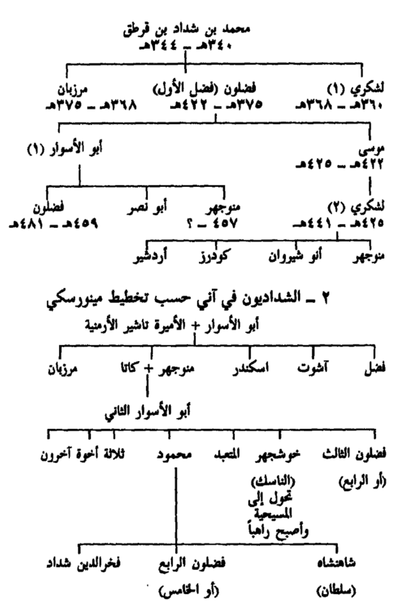
وهذه الصفات بعيدة عن الخلق الإسلامي كلياً، وواقع الأمر إن أفراد الأسرة الشدادية الذين حكموا في كل من مدينتي كنجه وآني

= توفي في مدينة مراغه في
٥١٠هـ/١١١٦م
حكم أتابكى مراغه من أسرة الأحمديلية

الأسرة الشدادية

الحكم في دوين وكنجه:
محمد بن شداد (في دوين) ... حوالى ٣٤٠هـ/٩٥١م
علي لشكري الأول بن محمد ... ٣٦٠هـ/٩٧١م
(في كنجه)
مرزبان بن محمد ... ٣٦٨هـ/٩٧٨م
فضل الأول بن محمد ... ٣٧٥هـ/٩٨٥م
أبو الفتح موسى ... ٤٢٢هـ/١٠٣١م
علي لشكري الثاني ... ٤٢٥هـ/١٠٣٤م
أنو شيروان بن لشكري ... ٤٤٠هـ/١٠٤٩م
أبو الأسوار شافور الأول ... ٤٤١هـ/١٠٤٩م
ابن فضل ... ٤١٣هـ/١٠٢٢ حكم في دوين
... ٤٤١هـ/ ١٠٤٩ حكم في كنجه
فضل الثاني بن شافور ... ٤٥٩هـ/١٠٦٧م
فضل الثالث (فضلون) ... ٤٦٦هـ - ٤٦٨هـ/١٠٧٣م - ١٠٧٥م
ابن فضل
استيلاء سوتكين وجند السلاجقة على أرّان
الحكم في مدينة آني (عاصمة البكراتيين الأرمن):
منوجهر بن شافور الأول ... حوالي ٤٦٥هـ/حوالي ١٠٧٢م
أبو الأسوار شافور الأول ... حوالى ٥١٢هـ/حوالى ١١١٨م
دخول الجيورجيين إلى المدينة ... ٥١٨هـ/ ١١٢٤م
فضل الرابع (فضلون) ... حوالى ٥١٩هـ/حوالى ١١٢٥م
ابن شافور الثاني
محمود ... ؟
خوشجيهر ... حوالى ٥٢٥هـ/حوالى ١١٣١م
شدّاد ... ؟
فضل الخامس ... ٥٥٠هـ/١١٥٥م
استيلاء الجيورجيين على المدينة ... ٥٥٦هـ/١١٦١م
شاهنشاه ... ٥٥٩هـ - ٥٧١هـ/١١٦٤م - ١١٧٤م
احتلال الجيورجيين المدينة نهائياً
انظر بالروسية:
K.E. Bosvort., **Musulmanskye Dinastii.** M. (1971), Str. 36, 132.

يتوزعون في جدولين لكل من الأستاذين أحمد كسروي تبريزي وفلاديمير مينورسكي:



وفي صدد هذا الموضوع التأريخي للشعب الكردي، وبناء على آراء الثقات من المؤرخين والمحققين، فإننا نرى ان أغلب ما ورد في مخطوطات جامع الدول ـ لأحمد بن لطف الله منجم باشي عن أحوال وأخبار الدولة الشدادية يعتبر من الحقائق التي يمكن الاعتماد عليها في صياغة صورة واضحة عن تأريخ لقاء الكرد بشعوب قفقاسيا. لذلك فبعدما استنسخها وحققها البروفيسور مينورسكي ودوّن الملاحظات القيمة حولها مع وضع التعديلات اللازمة عليها وتدوين الأخطاء الواردة في النص الأصلي على هوامشه، إضافة إلى قيامه بتقسيم النصوص في المخطوطة إلى فقرات بتحديد أرقام لها فإن نشرها هنا يفيد غرضنا إفادة تامة بالرغم من عدم تطرقنا إلى جميع أعمال أفراد هذه الأسرة كاملة إلاّ بقدر الحاجة إلى تعلق الأمر بأصل موضوعنا.

وبهذه الصورة يختتم منجم باشي أخباره عن الشدادية التي استقاها من مؤلف قديم سبق ان تحدثنا عنه في مقدمة الكتاب. وقد تخللتها أخبار تتعلق بالعلاقات الكردية اللانية وغير اللانية منذ ظهور قوة الشداديين السياسية في قفقاسيا التي يمكن توضيحها رغم التحويرات التي أجريت عليها من قبل كتّاب الكنائس المسيحية. فبعد وفاة محمد بن شداد كان ابنه فضل الأول ٩٨٥م ـ ١٠٣١م الذي عرف بـ(فضلون) في المصادر الاسلامية وبـ(بدلون) في المصادر الجيورجية والأرمنية هو من أشهر وجوه الأسرة الشدادية ويمكن اعتباره مؤسساً ثانياً لدولة بني شداد ليس ضمن حدود أرّان فحسب وإنما استطاع ان يستولي على دوين وعلى قسم كبير من أرمينيا. وخلال حكمه الذي دام ٤٧ عاماً قام بأعمال مجيدة ومع ذلك تحامل عليه كتّاب النصارى من الأرمن والجيورجيين لأنه انتصر عليهم في حروبه ووضع الجزية عليهم حسب الشريعة الاسلامية. وقد قام فضلون بهذه الأعمال في وقت كان الحمدانيون العرب في صراع مع بيزنطة، وكانت الدولة الشدادية تعاون الدولة الحمدانية بصورة غير مباشرة ضمن مشروع غير مخطط يحول دون دعم البيزنطيين لإخوانهم في

الدين الذين يجابهون الفتوحات الكردية الإسلامية في قفقاسيا، وكان هذا الأمير الكردي يتمتع في هذا الوقت بلقب حاكم اسلامي مستقل[٥٢]. وبصورة غير واقعية صاغ المؤرخ الأرمني ورتان (فاردان) مجموعة من أعمال انتقامية لصقها بفضلون، منها ان الزعيم الكردي استضاف مرة فيليب بن كريكور حاكم بلاد باريسوس في أرّان بعد ان توفي والده، ثم وضعه في الأغلال واستولى على مقاطعتي (ششتاش وشوتك) وكانت الأخيرة مقاطعة أعطاها كريكور والد فيليب للشداديين. ثم يضيف قائلاً: ان بدلون (فضلون) كان قد استدعى كاكيك أو غاغيق (ويلفظ الآن خاجيك) بن همام زعيم مقاطعة تاندزيك(؟) وقتله ليضم مقاطعته إلى بلاده وقد سيطر بالقوة على مقاطعات خاجين وكوروز وسيفورديك، وكانت المقاطعتان الأوليان تقعان حوالى مدينتي برذعة وبيلقان بين نهري الكر وآراكس. أما الثالثة فكانت على طريق كنجه ـ تغليس[٥٣]. ويخبرنا ورتان كذلك عن سقوط مدينة شمكور بيد الأمير لشكري شقيق فضل الأول وعن حروب هذا الأخير مع كل من كاكيك حاكم دزوروكيت وكويريكي زعيم الفانك (الألبان) وكذلك مع بكرات الثالث ٩٧٥م ـ ١٠١٤م ملك جيورجيا وقد انتصر عليهم جميعاً. هذا بالاضافة إلى انه حكم مدينة دوين (دفين) وكان يقبض من الأرمن ٣٠,٠٠٠ درهم، أي ما يعادل ٣ آلاف من الدنانير، ومع ذلك فقد ظل بعض ملوك الفانك يحكمون في بعض الأراضي الألبانية شرقي مدينتي كنجه وبرذعه.

ولعل من أهم أخبار فضل الأول المعارك التي جرت بينه وبين داود المشهور بـ(داود فاقد الوطن)، وكان هذا ابن شقيق كاكيك ملك الأرمن. وبواسطة أخيه سمباد (سمباط) كان يحكم في بلاد الكرج (جيورجيا) على أغلب الاحتمال، واضعاً بداية لأسرة حاكمة هناك،

(٥٢) مينورسكي، دراسات حول تأريخ قفقاسيا، ص ٤٢.

(٥٣) المصدر نفسه.

وقد جاءتنا هذه الأخبار من مصدر واحد وهو كتاب (تأريخ آسوليك دارونيجي) ومفادها ان فضلون أمير كنجه استعجل في التصادم مع داود الذي حاربه بشجاعة وانتصر على فضلون في النهاية وقتل أغلب المسلمين بسيوفه وأغرق الباقين في النهر(؟) وتخلص فضلون بشق الأنفس(٥٤). وقد دوّن ورتان بشكل مختصر خبر الحرب التي جرت بين فضلون وكيوركي بن داود ثم حربه مع كاكيك صاحب جورروكيدو. ويستبعد الأستاذ كسروي تبريزي وقوع مثل هذه الحروب ذلك لأن فضلون توفي قبل موت داود بمدة طويلة ولا يصح انه حارب ابنه، ثم ان كيوركي هو أحد قادة داود(٥٥). وإذا حصلت حرب فإنها لابد هي التي وقعت مع داود والتي قاد إحدى معاركها كيوركي نفسه. ومن المؤسف جداً ان المصادر الاسلامية أهملت تدوين أخبار هذه الحروب وكذلك موضوع الاستيلاء على مدينة دوين التي فيها بدأت الأسرة الشدادية تنمّي سلطتها ومنها توسع فتوحاتها التي ازدادت بمرور الزمن نحو الغرب تحت قيادة الابن الأكبر لفضل الأول الأمير أبو الأسوار.

كان البيزنطيون في بداية القرن الحادي عشر الميلادي يسعون بقوة لتضييق الخناق على المملكة الأرمنية من الجنوب. ومن جهة أخرى كانت قبائل الغز التركمان تزحف نحو اذربيجان وأرمينية معقدة الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في المناطق الواقعة على ضفاف نهري الكرّ وآراكس التي كانت في الأساس مركز الصراع بين العالمين الاسلامي والمسيحي وكان يتمثل بالحروب الكردية الجيورجية على أملاك أمراء تفليس. ورغم الغموض الذي يكتنف الأحداث في هذا الجزء من ثغور البلاد الاسلامية، فإن واحداً من مؤرخي الإسلام وهو ابن الأثير استطاع ان يشير إلى جانب ضئيل من أحداث فضلون وحروبه قائلاً:

(٥٤) كسروي تبريزي، **شهرياران كمنام**، الجزء الثالث، ص ١٣.

(٥٥) المصدر نفسه.

«وكان فضلون الكردي هذا بيده قطعة من اذربيجان قد استولى عليها، وملكها، فاتفق ان غزا الخزر (الخطأ من الناسخ والأصح الجرز... ج.ر)، هذه السنة فقتل منهم، وسبى وغنم شيئاً كثيراً، فلما عاد إلى بلده في سيره وأمل الاستظهار في أمره ظناً منه انه قد دوّخهم وشغلهم بما عمله بهم، فاتبعوه مجدين، وكبسوه، وقتلوا من أصحابه والمطوعة الذين معه أكثر من عشرة آلاف قتيل، واستردوا الغنائم التي أخذت منهم وغنموا أموال العساكر الاسلامية وعادوا»[٥٦].

والواقع إن هذه الحوادث تبعت الانتصارات التي حققها فضلون عام ٤٢١هـ ويشير المؤرخ الجيورجي (جوانشير) إلى مساعدة الأرمن للجرزان (الجيورجيين) في حروبهم ضد فضلون وانتصاره عليهم، ويضيف ان بكرات ملك الجرز والأبخاز طلب الاغاثة من ملك الأرمن كاكيك وهاجما معاً بلاد الشداديين وسلبا منهم اسلاباً عظيمة[٥٧]. وكان كاكيك ينتمي إلى أسرة أرمنية اشتهرت باسم (هايفازيان) وكانت تحكم قسماً من بلاد أرّان سمي ب(باريسوس = فاريسوس) ومن ملوكها سنكريم (وهو الصيغة الأرمنية لاسم سنحاريب) عاش قبل زمن فضلون وتبعه في الحكم أخوه كريكور الذي توفي عام ٤٥٢ الأرمني المصادف ٣٩٤ هجرية، وهو الذي ذكره ورتان قائلاً: انه قتل بيد أبناء محمد بن شداد. وعلى حد قول آسوليك فإن كاكيك قسّم بلاد فضلون فيما بينهما وقرّب فضلون فيليب بن كريكور، لكن أباه كريكور حاول الهرب لذلك أسره فضلون وأغلق عليه مناطق ششقاش وشوتك (شاشواغ وشوت). لكن فيليب ابنه تحرر من الأسر أيام فضلون وأسس حكم اسرة هايفازيان مرة ثانية بالرغم من ادعاء آسوليك، الذي أنهى تأريخه عام ٤٥٢ الأرمني، قائلاً: ان حكم هذه الأسرة كان قد انتهى بموت كريكور[٥٨].

(٥٦) ابن الأثير، **الكامل**، المجلد التاسع (بيروت، ١٩٦٦)، ص ٤٠٩.

(٥٧) كسروي تبريزي، المصدر نفسه، ص ٤٩.

(٥٨) المصدر نفسه.

تشير الوقائع إلى ان سنة ٤١٧ الأرمنية (أي فيما بين ٢٢ شباط/ فبراير عام ١٠٢٦م و١٠ شباط/فبراير عام ١٠٢٧م) كانت المرحلة التي شن الجيورجيون فيها حملتهم على الكرد الشداديين وكانت هي آخر سنة من حكم الملك الجيورجي (كيورك) وبداية حكم ابنه بكرات الرابع ١٠٢٧م - ١٠٧٢م. وتحفظ المدونات الجيورجية أخباراً تشير إلى ان هؤلاء قد قاموا بحملتين على فضلون، كانت الأولى بقيادة بكرات الثالث ٩٨٠م - ١٠١٤م وقد استفاد فضلون في حينه من الخلاف القائم بين حكام مقاطعتي كارثلي وكاخيتيا وأغار على الأخيرة وأخرى باسم هيريث. وفي هذا الوقت استغاث بكرات الثالث بكاكيك الأول ملك الأرمن في آني (٩٨٩م - ١٠١٢م) وتصادمت القوتان في زوراكيرت وحاصر الأرمن والجيورجيون مدينة شمكورا واستعملوا المنجنيق لتدمير أسوارها، ثم تصالح معهم فضلون بدفع جزية سنوية لبكرات إضافة إلى تعاونه مع الجيورجيين في حروبهم مع الأعداء. وقد ظل فضلون (ولقب في المصادر الجيورجية بدلون العظيم) في زمن بكرات الرابع ١٠٢٧م - ١٠٧٢م يحتفظ بأراض شاسعة أمنت له مصدراً اقتصادياً وسياسياً. لذلك كانت الحملة الثانية عليه تتكون من قوات مشتركة جيورجية بقيادة (ليباريت) زعيم مقاطعة ترياليث وملك الرّان وكاخيت المدعو (كويريكي العظيم) بالاضافة إلى ملك الأرمن (داود أنهولين) زعيم مقاطعة تاشير وكذلك جعفر بن علي أمير تفليس بجيورجيا الحالية.

هاجمت هذه القوات المسيحية المتحالفة منطقة إكليتس (ايلكيتس) واغتنموا أسلاباً وغنائم كثيرة عندما انسحب فضلون منها وكان في حالة مرض مميت. وفي الوقت الذي اعتلى كويريكي الثالث الحكم في كاخيت خلال الأعوام ١٠١٠م - ١٠٢٩م، وكان هذا حمى الملك داود انهولين الأرمني، بدأت حوادث هذه البلدان تتوضح أكثر رغم التصرف في اسلوب تدوينها. فمثلاً تعظّم المصادر الأرمنية كل أعمال داود انهولين بصورة غير واضحة ويقول آسوليك المعاصر

للأحداث(٥٩) فيما بين أعوام ٩٨٩م - ٩٩٠م ان بدلون (وجاء النص الأرمني للاسم بصيغة بتلون = الفضل) ملك كنجه، كان قد أخافه اعتلاء هذا الملك الأرمني الحكم خلال الأعوام ٩٨٩م-١٠٤٨م. أما ماثيوس الأورفلي (وهو من مؤرخي نصارى أديسا = أورفه الحالية) فقد دون عام ١١٣٦م أخبار هذه الحوادث باضطرابٍ ويقول انه أثناء موت آشوت كاج (ويقصد آشوط بن سمباط) هاجم عام ١٠٣٩م الأمير الفارسي أبو الأسوار (والصحيح الأمير الكردي أبو الأسوار بن فضلون) المسيحيين إلاّ ان داود أنهولين صدّه بمساعدة القوات التي أرسلها له ملوك آني وكبان وجيورجيا. ويظهر ان هذه الحملة التي يتحدث عنها ماثيوس كانت قد وقعت بعد وفاة فضل الأول وقد اتبع ابنه أبو الأسوار سياسة مستقلة من مقر مقاطعته الخاص في دوين.
ومن الأعمال المتميزة لفضل، كما يتحدث عنها منجم باشي، كان بناء قنطرة على نهر الرس (آراكس) عام ٤١٨هـ (والصحيح ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) وهو يشير إلى دخول هذه المناطق الجنوبية ضمن حدود سلطته، إضافة إلى كون هذه القنطرة رمزاً من رموز انتعاش التجارة في هذه البلاد، ويحتمل كثيراً انه كان من ضمن خططه الرامية للسيطرة على اذربيجان لأن أعوام ٣٦٩هـ - ٤٢٠هـ المقابلة لأعوام ٩٧٩م - ١٠٢٩م كانت مرحلة ضعف السلطة في اذربيجان وهبوط الحالة السياسية فيها. ويعتقد مينورسكي ان هذه القنطرة هي ما يسمى الآن بـ(خودافرين) التي تصل أقسام المنطقتين الجبليتين الواقعتين شمال نهر آراكس داخل الاتحاد السوفياتي سابقاً، المعروفة بـ(قرجه داغ) مع جنوب ذلك النهر المعروف بـ(قرجه داغ) أيضاً في ايران(٦٠). وقد ذكر حمدالله المستوفي القزويني عام ٧٤٠هـ/١٣٤٠م إحدى مناطق قرجه داغ باسم (جيلاني فضلون) وكانت تحوي على خمسين قرية وسكانها كانوا من بقايا أتباع بابك الخرمي(٦١). ومن هنا يظهر ان

(٥٩) المصدر نفسه، الكتاب الثالث، الفقرة٣٠.
(٦٠) مينورسكي، **دراسات حول تأريخ قفقاسيا**، ص ٤٥.
(٦١) القزويني، **نزهة القلوب** (ليدن، ١٩١٣)، تحقيق كاي ليسترانج، ص ٨٤.

فضلون كان قد وسع دولته بحيث كانت تشمل مناطق جنوب نهر آراكس مهدداً بذلك الروادين الذين تمركزت سلطتهم على المحور المركزي لطريق أهَر - تبريز في اذربيجان. وجدير بالذكر ان ابنه المسمى عسكويه (عسكريه؟) انتفض في بيلقان ضد سلطة والده وكانت هذه المدينة تقع جنوب شرق الأراضي التابعة لسلطة فضل، وعلى الطريق المؤدي إلى شرق اذربيجان وموقان ولم تصلنا أخبار كافية عن هذه الانتفاضة. وفي الواقع ان جميع ما ورد من هذه الأخبار والمشاكل والأوضاع السياسية في مناطق كنجه وشيروان تتبين في المدونات المحلية التي نسخها الناسخ الكردي مسعود بن نامدار في مخطوطته في حدود عام ٥٠٥هـ/١١١١م. ويعتبر هذا العهد مرحلة انتهاء صفحة من تأريخ تلك البلاد لتظهر صفحة جديدة بوصول الروس إليها ليلعبوا دورهم في رسم حوادثها السياسية.

وبعد مرور ٤٧ عاماً من الحكم، توفي فضلون في سنة ٤٢٢هـ وجاء إلى السلطة من بعده ابنه أبو الفتح موسى الذي ظل لمدة ثلاث سنوات يحكم البلاد. ولا يعرف عنه شيء كثير إلاّ ما أورده منجم باشي من أخبار حربه مع الروس، ثم جاء لشكري أبو الحسن علي الذي حكم ١٥ عاماً. وفي الحقيقة كان لفضل الأول وريثون عديدون وهم كل من موسى وأبو الأسوار وعسكويه وبنت تزوجت من شروانشاه مينوجهر ملك بلاد شروان (١٠٢٧م - ١٠٣٤م) وقد اشتركت هذه الأميرة في قتل زوجها مع أخيه علي الذي تزوجها وحكم شروان فيما بين ٤٢٥هـ - ٤٣٥/١٠٣٤م - ١٠٤٣م. وقد أشار منجم باشي بالتفصيل في الفقرة السادسة من بابه الخاص بملوك شروان وباب الأبواب إلى هذا الموضوع قائلاً أن:

«منوجهر شروانشاه قتل سنة ٤٢٥هـ في داره غيلة، قتله أخوه أبو منصور بن يزيد وكانت مدة ملكه سبع سنين. وكان سبب قتله ان أخاه أبا منصور كان متوهماً منه متوارياً، ثم دخل اليزيدية ليلاً على حين غفلة من أهلها وبعث إلى زوجة أخيه منوجهر وهي الست بنت الفضل وكانت مائلة إلى أبي منصور، وعرّفها حاله وحصوله في بيت أحد غلمانها على

ما أشارت إليه به، فلما علمت المرأة ذلك وجّهت إليه إحدى حواشيها مع صندوق من صناديق المطبخ حتى أجلسته فيه وأدخلته قلعة اليزيدية فلما حصل في بيتها بعثت إلى زوجها منوجهر تدعوه إليها، فعرضت عليه كتاباً ورد عليها من أخيها موسى بن الفضل صاحب أرّان فكان منوجهر يقرأه وينظر فيه ويفسره لها إذ خرج عليه من آخر البيوت أخوه أبو منصور شاهراً سيفه فقال له منوجهر، من أدخلك داري، وما استتم الكلام حتى ضربه بسيفه على مؤخر رأسه فأراد ان يكرر الضرب فسقط السيف من يده من الخوف الذي دخل قلبه فأمرت الزوجة الملعونة جواريها فأتممن قتله، ثم لففته بزيلية فخرج أبو منصور من الدار وأمر بإغلاق أبواب القلعة»(٦٢).

ومهما يكن من أمر، فإن أشهر الأخوة من أبناء فضل كان أبا الأسوار الذي تزوج أخت ملك تاشير الأرمني المدعو داود أنهولين(٦٣) وهي بنت آشوت بقراطوني (باكراتوني)(٦٤) وقد حكم في كل من دوين وآني بعدما انتهى حكم أخيه موسى وأبنائه. ولا تدلنا المصادر عن كيفية قتل لشكري عم كل من موسى وأبي الأسوار إلاّ ما جاء في قصائد الشاعر قطران التبريزي(٦٥) الذي ألف خمس عشرة قصيدة حوله(٦٦). ويظهر انه كان ثمرة عائلتين نبيلتين وهما الشدادية والبهرامية لأن والدته كانت إحدى أميرات بلاد شروان، وقد تزوج هو من شاهخو سروفان أرملة جعفر بن علي أمير تفليس. ويظهر ان جعفراً أمل من ابن الفضل انقاذه حينما حاصرت قوات بقراط (باكرات) وكويريكي ملك كاخيت مدينة تفليس كما تخبرنا بذلك المدونات الجيورجية التي تتحدث عن حوادث دارت بعد عام

(٦٢) منجم باشي، **جامع الدول**، الفقرة السادسة.

(٦٣) Aristakes of Lastiverd, Ch. X, p. 69, Trans. by Prud'Homme.

(٦٤) كسروي تبريزي، **شهرياران كمنام**، الجزء الثالث، ص ٣٢.

(٦٥) قطران هو كنية الشاعر الحكيم شرف الزمان أبي منصور. عاش في القرن الحادي عشر الميلادي ألف قصائد في مدح حكام بني الرواد الكرد في اذربيجان وكذلك حكام بني الشداد الكرد في أرّان.

(٦٦) كسروي تبريزي، المصدر نفسه، ص ١٧ - ٣٠

١٠٣٩م، وهي في الواقع زمن حكم لشكري بن موسى الأول، في حين مات جعفر عام ١٠٤٦م[٦٧]، وهذا هو تأريخ زواج لشكري الثاني، وكان قد خلف من زواجه الأول كل من مينوجهر وأنوشيروان وكودرز وأردشير.

يخبرنا قطران الشاعر في قصائده عن ثأر أبي الأسوار لفضلون ومملان من أعدائهما، ويقصد بذلك من الأرمن والجيورجيين، أما مملان عند قطران فهو الأمير الروادي الكردي في اذربيجان الذي حكم فيما بين ٩٩٨م - ٩٩٩م في منطقة شاسعة وصلت من مدينة تبريز إلى سواحل بحيرة وان، وهو ابن أبي الهيجاء حسين بن محمد. وقد أشار المؤرخ الأرمني آسوليك إلى ان مملان قام بحملتين على أرمينيا وذلك عندما توجه الملك الأرمني داود أنهولين إلى مدينة منازكرد (ملازكرد) شمال بحيرة وان وحاصرها، وقد عانى سكانها المسلمون الكرد من الجوع كثيراً، ثم أساء المحتلون في معاملتهم لسكانها الذين طلبوا العون من الأمير الكردي مملان الروادي. وعندما لبى مملان طلب المحاصرين، هرع داود يطلب العون بدوره من حكام آني وكاخيت والأبخاز وخاصة كل من غاغيق بقراطوني وباكرات وغيرهما، ويختتم آسوليك قصته بالرعب الذي أدخله هؤلاء إلى قلوب المسلمين وانسحاب مملان من المعركة.

أما الحملة الثانية لمملان فكانت عام ٣٨٨هـ وسار بها من تبريز إلى واسبوراكان ثم مدينتي خوي وديار بكر والتقى بقوات الأرمن والجيورجيين وكان أغلبهم من الفرسان، لكن اللكز والشروانيين كانوا مشاة. وحسب ادعاء آسوليك فإن عدد المسلمين كان كثيراً جداً إلاّ ان الأرمن والجيورجيين قاتلوا قتالاً مستميتاً إلى ان انتصروا، فولّى مملان هاربا وغنم الأرمن والجيورجيون أسلاباً كثيرة[٦٨] وكان هؤلاء

(٦٧) S. Janashia, **Istoriya Gruzii**, Tiflisi, 1947, Str. 175.

(٦٨) منيورسكي، **دراسات حول تأريخ قفقاسيا**، ص ٤٧؛ كسروى، المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص ١٧٠ - ١٧٢،

وانظر كذلك تأريخ آسوليك، **الكتاب الثالث**، الفصل ٤١.

بقيادة كل من غاغيق (كاكيك) الملك الأرمني في آني (٩٨٩م - ١٠٢٠م) والملك الجيورجي كوركين الذي توفي عام ١٠٠٨م واستمر ابنه بكرات الثالث في القيادة (٩٨٠ - ١٠٠٨م) وانتهج نهجه من بعده، وهو النهج الذي سماه ماثيوس الأورفلي، في بداية القرن الثاني عشر الميلادي بعد وصول القوات البيزنطية إلى المنطقة بالحروب الصليبية الأولى..!

إن هذه الحروب التي قامت بين هذه القوى ما كانت إلاّ نتيجة للفراغ السياسي الذي تركه الأمير الكردي (باذ) رئيس الدولة الدوستكية في ميافارقين الذي سقط عن فرسه فاندقت ترقوته خلال معاركه قرب الموصل عام ٣٨٠هـ/٩٩٠م. وقد وجد الأرمن في موته فرصة للنيل من سيادة الدولة الدوستكية، فزحف داود أنهولين في السنة نفسها على المدينة الكردية ملازكرد وحاصرها مدة حتى اضطر سكانها إلى الاستسلام بسبب نفاد الطعام والذخائر فيها وأجلى الأرمن منها الكرد المسلمين ونهبوا أموالهم وهدموا جامعها الكبير، وقد أثارت أعمال داود هذه ضجة كبيرة بين أمراء الكرد وأرسلوا إليه طالبين أن يترك المدينة ويسلمها إلى أصحابها، لكن الملك الأرمني رفض ذلك فحشد الأمير الكردي مملان بن أبي الهيجاء الروادي أمير الدولة الروادية الكردية في اذربيجان جيشاً كبيراً فزحف على ارمينيا بادئاً بناحية (جاغكويود) بقرب جبل آرارات ثم توجه إلى مدينة ملازكرد[٦٩].

---

(٦٩) حول تفاصيل هذا الموضوع انظر: **تأريخ الفارقي**، تحقيق الدكتور بدوي عبداللطيف (القاهرة، ١٩٥٩)، ص ٥٨ وما بعدها. انظر أيضاً: **مجلة الجمعية الملكية الآسيوية البريطانية**، الأعداد لعام ١٩٠٢، ص ٧٨٥ وما بعدها، ولعام ١٩٠٣م، ص ١٢٣ وما بعدها. وهناك ترجمة تركية لكتاب الفارقي قام بها الباحث الكردي بوز ارسلان.

H.F. Amedroz, «The Marwanid Dynasty at Mayyafariqin in the tenth and eleventh Centuries». (**J.R.A.S.** (1902) p.785; 1903, p.123FF.

راجع الملاحظات حول البحثين السابقين في:

H.F.A., «Notes on two articles on Mayyafariqin», **J.R.A.S.** (1909).

وانظر أيضاً إلى: عبدالرقيب يوسف، **الدولة الدوستكية**، الجزء الأول (بغداد، ١٩٧٢)، ص ١١٧، ١٢٧.

ومما يؤسف له ان هذه المرحلة في تأريخ الشعب الكردي التي يمكن اعتبارها عهد أو عصر النهضة شهدت تحديات حاولت وقف دور الكرد في قيادة حركة تلك النهضة وواجهت الدويلات الكردية في كل من اذربيجان وأرّان وميافارقين مشاكل سياسية وعسكرية وضغطاً بشرياً هائلاً لا يمكن التصدي لها لمدة طويلة سواء كان هذا الضغط من جهة الشرق (هجرة قبائل التركمان الأوغوز والسلاجقة) أو من جهة الغرب (البيزنطيون) أو من جهة الشمال (الأرمن والجيورجيون والقبائل النصرانية من اللان والديدو) هذا بالاضافة إلى ضغط حكام الكاخيت (شكيّ) من الجنوب نسبة إلى الشداديين. فزمن حكم لشكري المتوتر (١٠٣٤م - ١٠٤٩م) يطابق فترة الحملات السلجوقية نحو الغرب. ويخبرنا بعض المصادر ان قوتلمش ابن أرسلان يبغو حاصر مدينة كنجه عام ٤٣٨هـ/١٠٤٦م-١٠٤٧م ولمدة طويلة ولكن لشكري صده في النهاية(٧٠)، مما يدل على الأسس القوية لحكمه وقاعدته العسكرية في عاصمته كنجه وهو يدافع ضد أفراد يتصفون بصعوبة المراس في ذلك الوقت. كما ان مصدراً آخر يشير إلى المصائب التي انهالت على لشكري من خلال الحملات البيزنطية التي قادها الامبراطور نيقفور (نيكوفوروس) وكانت في البداية ضد ابن عم لشكري أبي الأسوار الذي كان يحكم في دوين(٧١).

وجدير بالاشارة هنا إلى ان سكيليتزيس، مدوّن أخبار هذه الحملات، غيّر اسم قائد الحملة إلى قسطنطين مونوماج وقال انه أوصل قواته إلى مكان يسمى جسر إيرون وكنجه. ويظهر ان زمن هذه الحملة كان قبل عام ١٠٤٩م لأن أبا الأسوار حاكم دوين كان قد استلم الحكم في هذه المدينة في هذا العام بالذات، ثم سلم أبو الأسوار إلى نيقفور

(٧٠) M. Halil Yinanc., **Selcuklar Devri**, I, (Istanbul, 1944), p. 46.

(٧١) المرجع الرئيسي لهذه الحوادث هو ما كتبه سكيليتس باليونانية:

Skylitzes (in Cedrenus 593).

انظر: مينورسكي، **دراسات حول تأريخ قفقاسيا**، ص ٤٨.

الامبراطور البيزنطي شخصاً ينتمي إلى الأسرة الحاكمة رهينة حيث رافق الامبراطور إلى القسطنطينية، ويسميه سكيليتزيس ب(أرتاشيز بن أبي الأسوار) شقيق فضلون سيد كنجه، وهو أردشير الذي ذكره قطران التبريزي في قصائده كإبن لأبي الأسوار وكفرد من سادة الأسرة الشدادية. والخطأ هنا واضح، لأن أردشير هو ابن لشكري، ويظهر ان أبا الأسوار كان قد نصح ابن أخيه لشكري في كنجه ان يسلم ابنه أردشير إلى الامبراطور البيزنطي. وظل لشكري محافظاً على ألقابه التي تشاهد في المسكوكات التي ترجع إلى عام ٤٣١هـ/١٠٣٩م ـ ١٠٤٠م بصيغة «الأمير الأجّل علي بن موسى اللشكري»، لكن ابنه الرضيع أنوشيروان لم يكن بعد وفاة والده في حالة يستطيع معها التصدي للأعداء. وكان الحاجب أبو منصور مستعداً في كنجه للتنازل عن بعض القلاع للأعداء مقابل ايقاف حملاتهم، لكن الخطر الأكبر على الأسرة الحاكمة جاء من الداخل، من الطبقة الوسطى التي شملت التجار وأصحاب الحرف من أهل المدينة الذين نفد صبرهم في التصدي لحصار النصارى لمدينتهم كنجه العاصمة، وكان هدفهم من هذا الموقف تعيين رجال كفوئين في مراكز إدارة الدولة وليس السيطرة عليها كما كانت الحالة في باب الأبواب آنئذٍ.

في خضم هذه الظروف الاستثنائية لعب الأمير أبو الأسوار الأول دوره في تأريخ المنطقة بأكملها (في دوين بين أعوام ١٠٢٢م ـ ١٠٤٩م وفي كنجه بين أعوام ١٠٤٩ ـ ١٠٦٧م)، وكان الاسم الشخصي لهذا الأمير هو شافور (الصيغة الكردية لشاهبوهر أو سابور) وكنيته أبو الأسوار (أبو الفرسان) وظهر اسمه ولقبه في المسكوكات بالصيغة التالية: «الأمير الجليل شافور بن الفضل الشداد» كما دُوّن اسمه على باب حديدي يرجع تأريخه إلى ٤٥٢هـ/١٠٦٢م نهبه الجيورجيون بعد هذا التأريخ وهو بالصيغة التالية: «مولانا الأمير السيد الأجل شافور بن الفضل أدام الله سلطانه». ومما يؤسف له ان المصادر التي تتكلم عن التأريخ المبكر لهذا الأمير الكردي هي ما دونها أعداؤه من الأرمن والجيورجيين، وكان هذا الأمير قد جاء إلى السلطة في

(كنجه) بعدما آلت الظروف فيها إلى ما أشرنا إليه بعد موت ابن أخيه موسى. وليس هناك مصدر يشير إلى دوره في كنجه قبل عام ٤٤١هـ/١٠٤٩م، ويظهر انه وصل إلى هناك بعد هذا التأريخ. فقبل وصوله نسمع عن قصة مضطربة الحوادث ومتحيزة للنصرانية دوّنها ماثيوس الأورفلي في القرن الثاني عشر الميلادي (الفقرة العاشرة) ثم أتمها المؤرخ الأرمني ميخائيل جامجيان في القرن الثامن عشر ومفادها ان كلا من الأخوين آشوط وهوفهانيس Hovhannes (يوحنا) كانا من أسرة بقراطوني وأبني سمباط المذكور يحكمان ارمينة وقد تآمر آشوط مع شخص يدعى أبيراد للقضاء على أخيه هوفهانيس الذي كان في مدينة آني (١٠٢٠م - ١٠٤١م) وكان أبيراد هذا نبيلاً أرمنياً خدم أولاً عند آشوط ملك قارص (مات في ١٠٤٠م)، ولكن عند القاء القبض على هوفهانيس أشفق عليه وحرره من الأسر لذلك دخل الأخير في خدمته. وقاد أبيراد فيما بعد قوة أرمنية تقدر بـ١٢ ألف فارس إلى مدينة دوين لمحاربة أبي الأسوار، لكن الأمير الكردي واجه القوة الأرمنية برباطة جأش وقتل قائدها. وقد حدد ماثيوس زمن هذه الحوادث في عامي ٩٧١م و٩٧٢م وهما يسبقان حقيقة الأحداث بنصف قرن تقريباً(٧٢). ويورد ماثيوس قصة قتل أبي الأسوار لأبيراد بتصرف ظاهر فيقول:

«إن أبيراد أشفق بيوحنا (هوفهانيس) فأخذه إلى آني بعكس ما أمر به آشوط ووضعه على عرشه، في حين لم يجد هو مكاناً آمناً يأوي إليه قرب قوته وأهله غير مدينة دوين عند أبي الأسوار. وعامله أبو الأسوار في البداية معاملة حسنة، لكنه قرر قتله بعد فترة وجيزة، وكان وراء هذا العمل أولئك الذين يحيطون بأبي الأسوار».

ويعتقد كسروي تبريزي بأن هذا العمل كان إما بطلب من آشوط نفسه أو لأجله، لأن أبا الأسوار كان صهراً لآشوط(٧٣).

---

(٧٢) مينورسكي، المصدر نفسه، ص ٥١.

(٧٣) كسروي تبريزي، **شهرياران كمنام**، الجزء الثالث، ص ٣٥. لقد نقل جامجيان=

ولعل أهم خبر يلصق بأبي الأسوار هو علاقته بداود أنهولين الأرمني ملك تاشير وزواجه بأخته(٧٤). لذلك فلا غرابة في ان يسمى الشاعر قطران التبريزي (فضل الثاني) بن أبي الأسوار من هذه الأميرة الأرمنية بـ(مصباح دار البكراتية)، وحمل ابنهما الثاني اسماً أرمنياً (آشوط). ومع ذلك فإن هذه الأحداث لم تغير سياسة أبي الأسوار على كونه زعيماً كردياً مسلماً يمثل العالم الإسلامي في محيط تغمره الدويلات والقوى النصرانية ويشير إلى ذلك ماثيوس الأورفلي قائلاً:

«إن أبا الأسوار جمع فيما بين أعوام ١٠٣٩م و١٠٤١م قوة تعدادها ١٥٠ ألف رجل ودخل بهم في أراضي الملك الأرمني داود أنهولين شقيق زوجته الذي التمس من أمير آني الأمير هوفهانيس سمباط (١٠٢٠م - ١٠٤٠م أو ١٠٤١م) عوناً لنجدته، وقد أرسل هذا له قوة تقدر بثلاثة آلاف رجل، كما ساعده ملك كابان (في منطقة سيونيك) بألفي محارب، هذا بالاضافة إلى أربعة آلاف محارب أرسلهم إليه ملك جيورجيا»(٧٥).

وهكذا فقد توجه حاملو الصليب بعشرة آلاف نفس ـ وعند جامجيان عشرين ألفاً ـ لمواجهة ١٥٠ ألفاً من المسلمين ـ من الترك والايرانيين على حد قول ماثيوس ـ وقد غلبوهم رغم قلة عددهم. ويحدد جامجيان فترة هذه الوقائع في سنة ١٠٣٦م التي تصادف ٤٢٨هـ(٧٦)، ولكنه يقع في خطأ بقوله مباشرة بعد هذا الخبر: «ان أبا الأسوار طلب عوناً من طغرل بيك حاكم ايران» في حين لم يكن طغرل بيك في هذه الفترة قد دخل إلى ايران بعد، وقد استقى

= هذه القصة عن ماثيو الأورفلي، ويقول انها حدثت عام ١٠٢٠م/٤١٢هـ. وإذا صدقنا هذا التأريخ فيجب ان نستبعد الحدث عن أبي الأسوار لأنه كان صغيراً جداً في هذا الوقت، عند ذلك يمكن، إذا صح قوله، الاستنتاج ان أباه فضلون هو الذي قام بهذا العمل.

(٧٤) Aristakes of Lastiverd., Ibid

(٧٥) Mattew, I, Ch. 54.

(٧٦) انظر إلى تفصيلات هذا الموضع عند جامجيان، المجلد الثاني، ص ٩١٤، ٩١٥.

جامجيان هذا الخبر من ماثيوس دون التأكد من صحته على أغلب الاحتمال بالرغم من ان مينورسكي لا يحدد مصدر قول جامجيان، ويقول ان:

«كل ما هناك ان ماثيو Mathew, I, Ch.60 سجّل خبر معركة بين كريكور بهلفوني بن فاساك وبعض الترك على نهر هورازدان (زنكى) قرب ييجني، ويحتمل ان أبا الأسوار قد عضد الترك، وبعد تراجع الأمير الكردي ظل كريكور يحارب الترك حلفاء أبي الأسوار»(٧٧).

ومن جهة أخرى كانت القوات البيزنطية منتشرة في الجهات الشرقية من آسيا الصغرى تراقب هذه الأحداث لكي تتوفر لها الظروف في ابتلاع تلك الدويلات النصرانية للأرمن والجيورجيين، وبالأخص في هذه الفترة التي كان سكان هذه المناطق فيها يفقدون روح التحرر القومي، وكان الانتماء الديني هو الدافع الوحيد لأغلبية المحاربين في الدفاع عن أوطانهم. ففي عام ١٠٢١م - ١٠٢٢م قاد الامبراطو البيزنطي باسيل الثاني جيشه إلى ان وصل إلى مدينة خوى - هيّر - في غرب ايران الحالية وعلى بعد ١٧٥ كيلومتراً من مدينة دوين، وكان يحاول ان ينهي السلطة الملكية لأسرة أرتسروني في وان. وفي مدينة آني أوصى يوحنا سمباط (هوفهانيس) بأن تعطى أمور مملكته إلى الأمبراطور البيزنطي بعد موته. لذلك فعندما مات عام ١٠٤٠م (أو ١٠٤١م) أرسل الأمبراطور ميخائيل الرابع قوة بيزنطية لكي تستولي على العاصمة آني. وهنا بدأ الأرمن المونوفيستيون(٧٨) لا يثقون برجال

---

(٧٧) مينورسكي، **دراسات حول تأريخ قفقاسيا**، ص ٥١.

(٧٨) المونوفيستية هي إحدى المذاهب المسيحية داخل الامبراطورية البيزنطية. فعند اشتداد الصراع المذهبي بين للمسيحيين تطرفت مدرسة الاسكندرية اثر وفاة كيريل رئيس أساقفة كنيسة هذه المدينة عام ٤٤٤م. وقاد الحركة المتطرفة كل من ديوسكورس وبوتيخس وتوصلا إلى ان الطبيعتين الالهية والبشرية في المسيح قد امتزجتا وكونتا طبيعة واحدة مقدسة. وقد أطلق على أصحاب ذلك المذهب اتباع الطبيعة الواحدة (المونوفيستيون Monophysites). وهكذا فقد أكد هؤلاء الطبيعة الالهية في السيد المسيح وان تلك الطبيعة الالهية قد ابتلعت الطبيعة البشرية.

الدين اليونانيين من المذهب الخلقدوني وارتابوا من خطط توسعهم السياسي، لذلك وضعوا الصبي كاكيك (غاغيق) ابن أخي الملك السابق على العرش بسرعة. وقد ساعدت الحوادث التي دارت في القسطنطينية عاصمة البيزنطيين والتي دامت سنتين على مجريات الأمور عند الأرمن وعطلت خطط البيزنطيين. ولكن الامبراطور الجديد قسطنطين مونوماج صمم على إجراء تحسينات في قواته بتسليحها جيداً. ومع ذلك فلم تحقق هذه القوات أهدافها، لذلك كتب الامبراطور رسالة مضللة إلى أبي الأسوار سيد دوين (تيبيون باليونانية) وسيد مقاطعة إيرانمينيا Persarmenia (ايران وارمينيا) على نهر آراكس يدعوه إلى الاغارة على أراضي مملكة آني، ولكن أبا الأسوار سأله بذكاء عن ضمان وعوده فأقسم الأمبراطور بالثور الذهبي The Goden Bull على ان تعترف القسطنطينية بفتوحاته مستقبلاً. وفي الوقت نفسه وصلت تعزيزات إلى قواد الفرق البيزنطية، وطلب أبو الأسوار في جوابه ان تكون مدن وقلاع البكراتونيين عند الاستيلاء عليها من ممتلكاته، وقد وافق الامبراطور على شروطه.

وهكذا ومع بركة القسطنطينية، على حد قول مينورسكي، غزا أبو الأسوار منطقة شيراك (مقاطعة آني)، وتصرف ندماء الملك الأرمني الشاب كاكيك بشكل غير لائق إذ أقنعوه بزيارة القسطنطينية تحت وابل من الوعود المقدسة للندماء على انهم سيموتون من أجله ان دعت الحاجة إلى ذلك. ولم تحقق هذه الزيارة شيئاً رغم إطالة الملك اقامته في عاصمة بيزنطة. ثم أرغم هذا الملك على التخلي عن العرش عام ١٠٤٥م[٧٩]، ويقول جامجيان أن أبا الأسوار استولى على قلاع البكراتيين قبل تخلي الملك الأرمني عن العرش، وقد رجا هذا من أبي الأسوار إخلاء تلك القلاع بعد طلب الصلح منه وقد وافق أبو الأسوار على رجاء كاكيك[٨٠].

(٧٩) مينورسكي، المصدر نفسه، ص ٥٣.

(٨٠) جامجيان، المجلد الأول، ص ٩٢٦ وكسروي، ج ٣، ص ٣٨.

أما في مدينة آني فقد اقترح نبلاؤها بعد المحادثات الطويلة الخضوع لداود أنهولين شقيق زوج أبي الأسوار، لكن وافق بعض من هؤلاء على الخضوع لملك الجيورجيين، وجماعة ثالثة اقترحت تسليم المدينة لأبي الأسوار الذي كان زوجاً لأميرة ارمنية حسب نظرهم إلاّ ان بطريرك المدينة قرر أخيراً تسليم المدينة إلى امبراطور بيزنطة(٨١). وعندما حاز البيزنطيون على هذه البلاد أرادوا من أبي الأسوار التخلي عن ملكه، وبذا تخلو عن وعودهم (المقدسة!) وعندما رفض أبو الأسوار ذلك أرسلت ضده حملة بيزنطية إلى دوين وكان يدعمها عدد كبير من الأرمن والجيورجيين بالاضافة إلى قوات كل من ميخائيل أياستيس وقسطنطين الآلاني. فلم يبق أمام أبي الأسوار أي خطة سوى ان يهدّم السدود وأبواب المياه لتنغمر البلاد وساحات المعارك بالمياه على إثره فانسحبت القوات المعادية بسبب ذلك، ثم أكملت قوة الكرد وسهام الشداديين هزيمة البيزنطيين. وعلى إثر هذه الهزيمة، طرد الامبراطور قواد تلك الحملة وعيّن مكانهم كلاً من كيكاومينوس والمخصي قسطنطين الذي اقترح الاستيلاء على دوين (تيبيون) مباشرة، ثم أقنعوا أنفسهم بالقبض على ما ناله أبو الأسوار من مقاطعات منها سانت ماريا(سورماي وسورميلو) وأمبير (أنبرد) وسانت كريكوري (خور - فيراب أو بأرب؟) التي حاول أبو الأسوار الدفاع عنها دون جدوى. وعلى حد قول أحد الروحانيين الأرمن المتأخرين الأب بيترس فإن المقاطعة الرابعة التي حاول أبو الأسوار حمايتها كانت معقل خيليدونيون (بريفان الحالية عاصمة أرمينيا السوفياتية)(٨٢). وفي فترة عقد شروط تسليم هذا المعقل في أيلول/ سبتمبر من عام ١٠٤٧م انسحب الجيش البيزنطي من هنا بسرعة على اثر انتفاضة ليون تورنيكيوس التي عطلت إدارة الامبراطورية البيزنطية. وكان على القائد البيزنطي قسطنطين ان يوقع معاهدة، في

(٨١) مينورسكي، المصدر نفسه، ص ٥٣ وانظر إلى:
Aristakes of Lastiverd., Ch. X, p.69, Trans. by Prud'Humme

(٨٢) مينورسكي، المصدر نفسه، ص ٥٣.

هذه الحالة، مع أبي الأسوار اشترط فيها الأمير الشدادي ان يحافظ على اعترافه بالامبراطور ولا يخل بما يؤدي إلى ازعاج بيزنطة[٨٣].

وعلى كل حال لا نرى حاجة في الاشارة إلى وقائع الحملة البيزنطية الثالثة على دولة أبي الأسوار الكردية في زمن الامبراطور نيقفور Nicephore وما ترتب عليها من نتائج أيام خلفاء أبي الأسوار ودولتهم في آني، بل نكتفي بالاشارة إلى دور الآلان (اللان) في هذه الوقائع وعلاقاتهم مع الكرد، وبالأخص عند ظهور العنصر التركي في المنطقة واشتراكهم في الصراع مع الروم (بيزنطة) ثم تأثيرهم في النهاية على زوال السلطة الكردية للشداديين والروادين في كل من قفقاسيا واذربيجان بالاضافة إلى سقوط الدولة المروانية (الدوستكية) في ميافيارفين بيد قتلمش بن ألب أرسلان السلجوقي.

ففي الأزمنة القديمة وبالاستناد على أقوال كل من المؤرخين بلينيوس وأميانوس، ومركلينوس فإن الآلان كانوا سكان مدينة مساكيت[٨٤] (مسقط العصر الاسلامي) التي كانت تقع جنوب نهر سامور (سمّور) بين الباب وشروان، وقد اشتق اسم هذه المدينة - وهو اسم مقاطعة أيضاً - من إحدى القبائل الآلانية المسماة ب(المساكيت) وكان هؤلاء أقرب الجيران بالنسبة للقبائل التاليشية والديلمية والكردية والتاتية ذات اللغات المتقاربة على سواحل بحر قزوين الغربية. وليس من الغرابة ان يكون اسم نهر روباس جنوب مدينة الباب اسماً آلانياً الذي يعني (الثعلب) لأنهم سكنوا على ضفافه. وكان اللان في عام ٥٦٩م لا يزالون محتفظين باستقلالهم، ولكن ما ان حلّ عام ٥٧٦م

(٨٣) المصدر نفسه كذلك: Cedrerus 562.

(٨٤) انظر: بليني، **التأريخ الطبيعي**، الكتاب الثاني، الفصل ١٢، كذلك انظر: أميانوس مركلينوس، الكتاب ٣٠، الفصل ٢٢، الفقرة ١٢.

ويقول منجم باشي: «ان مسقط أرض تشتمل على عدة حصون وقرى ومزارع يحدها نهر سمّور والبحر واللكز والشابران، كان لها حكام مستقلون قديماً، انقرضوا في سنة ٢١٨هـ فاستولى عليها أمراء باب الأبواب والثغور». (أنظر: **جامع الدول**، الفقرة السادسة).

حتي استطاع أحد زعماء الترك المغيرين ان يعلن للسفير البيزنطي انه قد أخضع أخيراً شعب اللان وذلك عندما بلغت دولة الترك البدوية العظيمة حدود الساسانيين. وإذا كانت حصون ممر دربند (مدينة الباب) ثمرة من ثمرات هذه الوقائع فإن تشييد هذه المعاقل يعود بلا ريب إلى النصف الأخير من حكم كسرى[٨٥]. ثم ان هؤلاء اللان لا بد انهم كوّنوا صلة مع السكان القدماء لمنطقة شاكي (شكيّ) الواقعة في جنوب غرب مدينة مساكيت (مسقط) تلك المنطقة التي اشتق اسمها أيضاً من السَكس (السكيثِ) أسلاف اللان وسميت في المصادر الرومانية والأرمنية ببلاد سَكسيني أو شكشيني، ثم غدت شاكي أو شكى في المدونات الاسلامية[٨٦]. وإذا كان اللان يعيشون في هذه المناطق منذ أزمنة قديمة فلا بد انهم احتكوا بالقبائل الكردية التي كانت تطوف جنوب كل المناطق وحتى جبال آرارات منذ العصر الميدي، ولكن لا يظهر أن هذه القبائل حاولت في يوم من الأيام التوجه نحو الشمال، إلاّ ان اللان وبفترات مختلفة حاولوا الاندفاع نحو الجنوب وذلك تارة بتأثير ضغط القبائل التركية المتوجهة نحو الغرب بشمال بحر قزوين وتارة أخرى عن طريق الغارات المغولية. وعندما حطّم الروس مملكة الخزر عام ٣٥٤هـ/٩٦٥م واكتسحوا الجانب الجنوبي من هذه المملكة بما فيه سمرقند، يظهر ان اللان النصارى أفادوا من الموقف، حسب قول بارثولو، فقد كانت بلادهم أيام الفتح المغولي تمتد ناحية الشرق أكثر مما كانت عليه في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)[٨٧]، في حين كان هؤلاء مع اطلالة القرن السابع إلى القرن العاشر، وبالأخص الساكنون منهم في داغستان وإلى كوبان يدخلون ضمن السلطة الخاقانية الخزرية وقد حاربوا الخلافة العربية الاسلامية والامبراطورية البيزنطية ثم حاربوا الخاقانية الخزرية واكتشفت آثارهم التي ترجع إلى القرون ٨ - ١١

(٨٥) **دائرة المعارف الاسلامية**، مادة دربند.

(٨٦) حول تفصيلات هذا الموضوع انظر: مينورسكي، **فصول**، ص ٣٧، ٨٢.

(٨٧) **دائرة المعارف الاسلامية**، مادة داغستان.

الميلادية في عدة مدن ذكرناها سابقاً. وفي خلال القرنين العاشر والحادي عشر كان للشداديين في أعمالهم أيام الحرب والسلام احتكاك مع جيرانهم النصارى من الأرمن والجيورجيين ومع غزاة شماليين عديدين منهم الآلان والروس، لذلك فزواج أبي الأسوار من أميرة ارمنية وهي أخت الملك داود انهولين كان لا بد قد جرى في زمن السلم إلاّ انه مع ذلك وقع في حروب عدة مع الأرمن كما رأينا. ولا يستبعد انهم كانوا على اتفاق مع سكان الدويلات النصرانية الأخرى أو مع القبائل البدوية الشمالية ومنهم الآلان. ففي سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م أغار أهل الباب على شروانشاه وخربوا مواضع كثيرة من بلاده، ثم دخل الروس أيضاً بلاد شروان في هذه السنة فقابلهم منوجهر شروانشاه عند باكويه.. ثم صعد الروس إلى نهر الكر فعقد منوجهر الرّس ليمنعهم من الصعود فغرّقوا جماعة من المسلمين، ثم أخرجهم صاحب جنزه موسى بن الفضل وأعطاهم أموالاً جمة وحملهم إلى بيلقان لأن أهلها كانوا قد استعصوا عليه حتى أخذ بيلقان بإمداد الروسية وقبض على أخيه عسكريه (عسكويه) وقتله، ثم ان الروسية خرجوا من أرّان إلى الروم وامتدوا منها إلى بلادهم. وفي سنة ٤٢٣هـ اتفق السريرية واللانية وأغاروا على شروان زيادة على عشرة آلاف نفس وأقاموا فيها عشرة أيام يحفرون الأرض ويخرجون منها ما دفنه أهل البلاد من الأموال والأمتعة، فلما امتلأت أيديهم من غنائم المسلمين انصرفوا إلى بلادهم راجعين، فلما عبروا من باب حشب وثب عليهم أهل الثغور البابية وأخذوا الطرق والمضائق عليهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم يذكر مثلها، وأخذوا منهم جميع ما حملوه من شروان من أموال المسلمين من صامت وناطق وما نجا منهم إلاّ شرذمة قليلة بحشاشة أنفسهم مع صاحب اللان. ثم عاد صاحب اللان في سنة ٤٢٤هـ لأخذ الثأر إلى الباب فانكسر في هذه الدفعة أيضاً وقد وضح منجم باشي هذه الهزيمة قائلاً:

«وفي سنة ٤٢٣هـ/١٠٣٢م غزا الأمير منصور بن ميمون بن أحمد شروانشاه مع غزاة المراكز الاسلامية غزوة عظيمة وذلك

ان الروسية كانوا قد أغاروا على بلاد شروان وخربوها ونهبوها وقتلوا وأسروا من أهلها عالماً عظيماً، ولما عادوا وأيديهم ممتلئة من المنهوبات والسبايا أخذت الغزاة البابية والثغرية مع الأمير منصور هذا عليهم المضائق والمسالك فحكموا فيهم السيف فلم يفلت منهم إلاّ قليل وأخذ من أيديهم جميع ما أخذوه من شروان من صامت وناطق، فقصد الروسية واللانية أخذ الانتقام فجمعوا وحشدوا وتوجهوا إلى الباب والثغور في سنة ٤٢٤هـ/١٠٣٣م فقصدوا أولاً الكرخ وكان بها شرذمة قليلة مع خسرو والهيثم بن ميمون البابي رئيس الدباغين وحارب مع الكرخية فأنزل الله النصر على المسلمين حتى قتلوا من اللانية والروسية مقتلة عظيمة فانهزم صاحب اللان من باب الكرخ مقهوراً فانقطع بالكلية طمع الكفرة من هذه المراكز الاسلامية»(٨٨).

والواقع إن الروس وصلوا إلى هذه المناطق عن طريق بحر قزوين، وأبحروا في نهر الكرّ عام ٤٢١هـ/١٠٣٠م. ويحتمل أنهم دخلوا إلى قسم من نهر آراكس، وان تواجدهم هنا أدى بهم إلى التصادم مع الدولة الكردية الشدادية، لكن الطريق أدى بهم إلى الوصول نحو البحر الأسود ومنه إلى بلادهم. وهكذا أكملوا دورة في ققفاسيا. وأشار مينورسكي (دراسات في تأريخ ققفاسيا، ص ٧٧) إلى ان هدفهم كان في النهاية امارة تموتور وكانت في مدخل بحر آزوف والتي تأسست هناك في القرن الحادي عشر الميلادي من قبل مستسلاف بن فلاديمير شقيق أمير كييف المدعو ياروسلاف. وما كانت غاية موسى بن فضل الشدادي الأمير الكردي من غارته الناجحة على الروم عام ٤٢٣هـ/١٠٣١م قرب مدينة باكو في قلب بلاد شروان خارج حدود بلاده أرّان إلاّ لأن شروانشاه منوجهر طلب مساعدته وكان صهره وقد تزوج هذا من أخته الأميرة الكردية (الست) ذات الشخصية القوية التي قضت على زوجها وتزوجت من شقيقه أبي منصور عام ٤٢٥هـ/١٠٣١م كما ذكر. وفي الباب

(٨٨) راجع الفقرة السادسة في ملوك شروان، وباب الأبواب من كتاب: جامع الدول، لمنجم باشي.

الخاص بالشداديين أشار منجم باشي فقط إلى الحملتين الأولى والثالثة للروس إلى هذه البلاد ولم يتطرق إلى الحملة الثانية وهذا تقصير منه. ومن جهة أخرى فإنه ذكر اسم الروس في الفقرة الخاصة بالباب. وعندما أخذ المسلمون عليهم المضائق والمسالك أضاف منجم باشي اسم اللان أيضاً أثناء تراجع الروس. وتطرق أيضاً في الفقرة الخاصة بشروان (الفقرة السادسة) إلى اللان والسرير فقط عندما أغاروا على بلاد المسلمين عام ٤٢٣هـ/١٠٣١م. ويظهر انه تصرف ببعض نصوص مصدره الرئيسي. وإذا حققنا بعض أخبار الأسرتين الحاكمتين في كل من شروان وأرّان (الألبانية والكردية) نشاهد بالاضافة إلى الأرمن ان تقارباً اجتماعياً قوياً قد حصل بين أفراد هاتين الأسرتين. فقد كانت الأميرة الكردية (الست) ابنة فضل الشدادي زوجة لمنوجهر ثم لأبي منصور ملكي شروان. كما تزوجت ابنة أبي الأسوار، (وهو الابن الصغير لفضل)، من السلاّر (الأخ الأصغر لكل من منوجهر وأبي منصور وقباد وأحمد). بمفهوم آخر فإن الأميرة الست كانت عمة زوجة السلاّر شروانشاه.

وفي عام ١٠٦٣م أغار أبو الأسوار على بلاد ابن اخته فريبرز بن سلاّر بن يزيد وكان أبو الأسوار في هذا الوقت شيخاً هرماً وكان قد خلق لنفسه في دوين سمعة سياسية جيدة أمام بيزنطة قبل انتقاله إلى كنجه. وبعد فترة رجع فريبرز إلى بلاده بعد التجائه إلى بلاد السرير. إذ كان شروانشاه قد أرسل ابنه أفريدون مع أنوشيروان بن اللشكري بن موسى بن فضل الشدادي إلى السرير ليستنجد جده أبا أمه. ويظهر من (تأريخ الباب) ان أنوشيروان كان أميراً صغيراً لأرّان عندما استلم الحكم عام ٤٤١هـ/١٠٤٩م ثم عزله أبو الأسوار شافور شقيق جده. وبناء على المصادر البيزنطية فإن هذا هو الأمير الكردي الذي أخذ رهينة إلى القسطنطينية، ويحتمل انه رجع بالتأكيد إلى بلاده فيما بعد. وفي عام ١٠٦٣م كان هذا الأمير في الحادي والعشرين من عمره، ولكن نص المصدر البيزنطي لا يوضح ما إذا كان أفريدون أو انوشيروان حفيداً لحاكم السرير النصراني. والحقيقة ان والد

انوشيروان قد تزوج حظية أبيه ومن ثم أرملة أمير تفليس (شاهخوسرفان)، ويظهر انه تزوج بأخريات أيضاً. وعلى كل حال فإن فريبرز تزوج هو كذلك من إحدى أميرات بلاد السرير، وكان أنوشيروان ضحية قساوة ابن عمه الكبير أبي الأسوار. وبالرغم من ان شروانشاه سلاّر بن يزيد والد فريبرز كان قد تزوج ابنة أبي الأسوار لكن العلاقة لم تبق على حالها بين الدولتين الكردية والألبانية. فبعد ان تولى الملك بعده ولده فريبرز، دخلت القوات الكردية بقيادة شاور بن الفضل صاحب أرّان عام ٤٥٥هـ/١٠٦٣م بلاد شروان وقصد قلعة قويلميان ففتحها، ويصف منجم باشي هذه الحوادث قائلاً ان شاور:

«أغار على بلاد شروان إغارة فاحشة ونهبها وخرّبها وساق أنعامهم ومواشيهم، وقاتله الشراونة فانهزموا منهم وأسر كثيراً من أعيانهم وغنم أموالهم، ثم سار إلى باب اليزيدية وضرب خيامه حتى أخذ ابنته حريم سلاّر المتوفي مع جميع ما لها من الأموال والأثقال فعاد إلى دار ملكه أرّان، ثم عاد إليها ثالثة في رجب السنة ونزل قرية سعدون وأحرق الغلاّت وأضرم النيران في القرى والضياع، فأنفذ شروانشاه ابنه أفريدون مع انوشروان بن اللشكري إلى أرض السرير ليستنجد جده أبا أمه ولم ينل منه شيئاً فعاد بعد ثلاثة أشهر. وفي محرم سنة ٤٥٦هـ دخل صاحب أرّان أبو الأسوار شاور بن الفضل أمير دولة الكرد بلاد شروان واستولى على كر وقطران وأخذ حموان، ثم عاد وترك جمعاً من جيشه مع بعض أمرائه بشروان بعد ان أخذ منه أربعين ألف دينار، ثم صالحه شروانشاه فريبرز في رجب السنة وردّشاور إليه قويلميان بعد ان أخذ منه أربعين ألف دينار. وفي سنة ٤٥٧هـ جمع فريبرز شروانشاه عسكره وأغار فيهم على قرى باب الأبواب ونهبها وخربها ونزل بمهيارية من المسقط وقاتله أهل الباب عند قنطرة قلعبان وقتل منهم مقتلة عظيمة».

ويقول مينورسكي ان مسعود بن نامدار الذي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي قد تحدث عن هذه الأحداث إلا ان مؤلف كتاب تأريخ الباب (دربندنامه) عاش شخصياً ضمن الأحداث وكان معاصراً

لفريبرز[٨٩] ومن خلال الحقائق التي أوردها هنا المؤلف يظهر ان العلاقات لم تكن سلبية على الدوام بين الأسرتين الملكيتين الكردية والشروانية. ففي سنة ٤٦٤هـ اتفق شروانشاه مع صاحب أرّان الفضل بن شاور أمير الكرد فسارا معاً وحاصرا قلعة ملوغ مع عساكرهما الشروانية والأرانية الكردية حتى استردوها من يد نائب أخسرتان صاحب شكيّ الذي كان قد أخذها من المسلمين في أول هذه السنة، واستردوها في رمضان السنة وهدموها وعفّوا أثرها وقتلوا جميع من فيها من الكفرة واستمر شروانشاه تارة يطيعه أهل الباب وتارة يعصون عليه فيحاربهم ويقاتلهم ويخرب ضياعهم وقراهم[٩٠]. وفي زمن ازدياد النفوذ الكردي في بلاد الباب وشروان؛ يظهر ان أعداداً كبيرة من اللان نزحوا إلى قفقاسيا وخاصة خلال القرن الخامس الهجري. وأشار منجم باشي إلى هذا الحدث قائلاً:

«وفي سنة ٤٤٧هـ أخذت اللانية كثيراً من بلاد الإسلام وفيها أيضاً جاءت بقية الخزر مقدار ثلاثة آلاف بيت إلى مدينة قحطان من بلاد الخزر فعمروها واستوطنوا فيها...».

ويضيف على حديثه هذا قائلاً انه:

«في سنة ٤٥٧هـ أمر الرئيس المفرج بن المظفر الهيثم بن ميمون رئيس الدباغين بأن يتوسط في الاصلاح بينه وبين الأمير منصور بن عبدالملك... ولما كان يوم الأربعاء لثلاث، بقين من صفر السنة أخرجوا الأمير معهم إلى المسقط ليمنعوا الأكراد من الدخول فيها والنزول في بيوت الأكرة والمزارعين بها...».

ثم يشير منجم باشي إلى انه:

«في هذه السنة بعد قتل الأمير منصور ولد ابنه ميمون بن منصور... فتحت أبواب الفتن على كل جهة من الباب وشن الأكراد الغارة على المسقط وقراه فعظم البلاء على أهل

(٨٩) مينورسكي، **فصول**، ص ٩٠.

(٩٠) منجم باشي، **جامع الدول**، الفقرة السادسة.

الباب وجمع شروانشاه جيشه فقصد فيها الباب لأخذ الثأر واستولى على المسقط وأخذه من أيدي البابية»(٩١).

ومع الظروف السلبية والأخطار التي كانت تنجم عن الحملات التي تقوم بها القبائل اللانية أو الأقوام النصرانية الأخرى حلى حدود الدولة الشدادية الكردية، حاولت الأسرة الحاكمة في هذه الدولة ان تكون في علاقات ودية مع هؤلاء وخاصة الأرمن والجيورجيين. وبالرغم من ازدياد نفوذهم السياسي والعسكري خلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين إلاّ انهم ارتبطوا بروابط عائلية قوية مع العوائل الملكية التي كانت تدير شؤون الدول التي تحيط بهم، وكانت هذه الروابط إحدى ظواهر العادات السائدة بين الطبقات الحاكمة في تلك البلاد. فقد تزوج قسطنطين مونوماج (توفي عام ١٠٥٥م) بأميرة آلانية، في حين كانت الزوجة الثانية لـ(كيوركي) ملك الجيورجيين من الآلان أيضاً، ومن بعده تزوج ابنه بكرات الرابع (١٠٢٧م - ١٠٧٢م) بيورينا شقيقة (دوركوليل) ملك الآلان، ثم تزوجت ابنة بورينا ماريّا من الامبراطور البيزنطي ميخائيل السابع (١٠٧١م - ١٠٧٨م). وكان الخزر والروس مشتاقين دائماً للحصول على عروس آلانية، ولا ريب ان ملوك وأمراء دويلات أخرى ومنها الروادية والشدادية الكرديتان كانوا يشتركون في ذلك الاشتياق، لكننا رأينا ان بكرات الرابع الجيورجي قد حقق ذلك الاشتياق فحرّض حليفه ملك الآلان دوركوليل لقهر خصمه العنيد أبي الأسوار أمير الكرد وهاجمه عام ٤٥٤هـ/١٠٦٢م وكانت غارة اللان على الكرد كارثة جسيمة.

أما الغزو الثاني لهؤلاء فكان في تشرين الأول/أكتوبر من عام ١٠٦٥م ووصلوا فيه إلى نهر آراكس، ولعل حملة ألب أرسلان الثانية إلى القفقاس عام ١٠٦٧م كانت انتقاماً لتلك الغارات اللانية على بلاد المسلمين(٩٢) التي كانت تمثلها الدولة الشدادية الكردية،

(٩١) المصدر نفسه.

(٩٢) مينورسكي المصدر نفسه، ص ٧٥.

وأصبحت مبادرة الحملة في هذا الوقت بيد السلاجقة تحت قيادة سوتكين الذي خلف الشداديين في هذا المجال. وقد أوضح منجم باشي أحداث هذه الفترة قائلاً انه:

«في سنة ٤٥٤هـ عبر الألانية من باب اللان ودخلوا بلاد أرّان وقتلوا منها خلقاً كثيراً وسبوا زيادة على عشرين ألف نسمة ما بين رجل وامرأة وصبي وصبية. وفي سنة ٤٥٥هـ بنى أبو الأسوار حوالى مربض جنزه سوراً حصينا وعلى عليها أبواباً محكمة وضرب حواليها خندقاً عميقاً...»(٩٣).

وبعد أن جمع أبو الأسوار جيشه في سنة ٤٥٧هـ وحارب الأرمن والروم (بيزنطة) وأقام عماله في ديارهم وشحنها بالسلاح والميرة كرّ راجعاً إلى جنزه (كنجه). ولما فرّق أبو الأسوار جيشه إلى بلاده، يشير منجم باشي إلى:

«ان اللان خرجت في جمعية عظيمة من باب اللان في ذي القعدة وجاوزوا بلاد شكيّ وخزران ثم دخلوا مع كفرة الشكرية جميعاً إلى بلاد أرّان فجاسوا خلالها وشنوا الغارة والشعواء والقتل والنهب في سهلها وجبلها من غير مانع لهم وقتلوا على باب ثغر شمكور زيادة على مائتي رجل من الغزاة المتطوعة وأغاروا على باب جنزه وقتلوا من وجدوا في قراها، وكان أبو الأسوار مع قواده بجنزه وما جسروا للبروز إليهم والقتال معهم. ثم سارت الملاعين إلى برذعه ونزلوا على بابها ثلاثة أيام وأغاروا على نواحيها وجاوزوها حتى وصلوا إلى خانقين بالقرب من نهر الرسّ (آراكس) وأخرجوا من بلاد أران من الأسارى خلقاً كثيراً مجاوز الحد والإحصاء من المسلمين والمعاهدين»(٩٤).

ولا شك ان بكرات الرابع الذي هاجم برذعه كان وراء كل تلك الحملات للآلان، ومع ذلك فقد رفض أبو الأسوار اقتراح البيزنطيين

(٩٣) أنظر الباب الخاص بالشدادية في كتاب: **جامع الدول**، للمنجم باشي، الفقرة ١٥، التي ضبطت من قبل مينورسكي.

(٩٤) المصدر نفسه.

بإخلاء مدينة آني بجيورجيا (بلاد الجرز)، لذلك سارت الحملة الكبرى الفاشلة عليه وهو في مدينة دوين بأرمينيا، وكان يقود الآلان في هذه الأثناء ملكهم قسطنطين. ومن جهة أخرى فقد دخل الأتراك عام ٤٥٨هـ/١٠٦٦م على حد قول منجم باشي، إلى بلاد شروان، ومما يؤسف له انهم أغاروا عليها ونهبوا حلل الكرد وأخرجوا منها غنائم كثيرة من الصامت والناطق ثم بذل شروانشاه أموالاً كثيرة حتى خرجوا من شروان.

وهكذا كانت غارات اللان في تشرين الأول/اكتوبر من عام ١٠٦٥م على مناطق سكنى الكرد جرحاً مؤلماً أصاب دولة الشداديين، ولعل هذا الجرح كان أكثر ألماً عندما توفي أبو الأسوار في تشرين الثاني/نوفمبر من عام ١٠٦٧م[٩٥]. ومع ذلك فقد ألصق ماثيوس الأورفلي تهمة أخرى بأبي الأسوار بعد موته بأربع سنين قائلاً انه:

«بعد المعركة الكبيرة في منازكرت (ويعني مالازكرد... ج.ر) في ٢٦ أيلول/سبتمبر من عام ١٠٧١م هدم أبو الأسوار مذبح كنيسة سانت سركيوس بنصيحة غير مجدية من ألب أرسلان[٩٦]. ولكن المدونات الجيورجية تخبرنا بأن ألب أرسلان أعطى كل من تفليس وروستاف بعد الحروب التي دارت حولهما إلى فضلون الثاني[٩٧]، وان بكرات أغار عليه من الجبال التي التجأ اليها وكان مع فضلون ثلاث وثلاثون ألف رجل. وأرسل بكرات إليه في موخنار (موخراني) ايفان بن ليباريت الذي انتصر عليه وهرب فضلون مع خمسة عشر رجلاً من أصحابه إلى إيرتزو على المنابع الرئيسية الغربية لمياه ايورا وتعرّف الناس عليه هناك ثم قُبض عليه وأرسل إلى بيت اسحق تولوبيليسدزي في زاليت، وبعد ذلك أرسله هذا إلى

(٩٥) مينورسكي، فصول من تأريخ الباب وشيروان، ص ٥٩.

(٩٦) Matthew, Ch. 102, Dulaurier, p. 105.

(٩٧) مينورسكي المصدر نفسه، ص ٦٦، ٦٧ وانظر: Brosset I/I, 331

ملك كاخيتيا أغسرتان بن كاكيك (غاغيق). وقد تبرع ملك جيورجيا بقلعتين لأغسرتان بتسليمه فضلون إليه. وتحت التهديد والوعيد بالشنق أرغموا فضلون بالاعتراف إلى الأمر الواقع لاستسلام مدينة تفليس التي كان قد تركها بكرات بيد الكرد المسلمين. وفي هذا الوقت ظهر سرهنك خاص في أرّان وتوسط بينهم حيث سلم فضلون نيابة عن نفسه ابن أخيه مينوجهر وثلاثة من أكابر الكرد في كنجه كرهائن إلى بكرات. ولكن سرعان ما فسخ هذا العقد وذلك باستيلاء فضلون على كوزياني وأكاراني. ومع ذلك وبالرغم من ازدياد نفوذ الجيورجيين، وبعد ستين عاماً من حكم بكرات، فإن الملك الأرمني داود الثاني (١٠٨٩م - ١١٢١م) David the Rostorer أمّن ممرات قفقاسيا من خلال باب اللان بوضعه ٤٠ ألفاً من القفجاق هناك. وبذلك ظل اللان منحصرين فيما بين حملات الأقوام الآسيوية إذ سدّوا عليهم المنافذ من الشمال والجنوب وكانوا عرضة للغارات على مر الزمن. ففي سنة ٦٢٣هـ، وكما يقول ابن الأثير:

«فتح جلال الدين بن خوارزمشاه مدينة تفليس من الكرج... فقصد بلادهم وقد عادوا فحشدوا وجمعوا من الأمم المجاورة لهم اللان واللكز وقفجاق وغيرهم»[٩٨].

وفي حديثه عن التتر وغاراتهم وعبورهم دربند شروان يضيف ابن الأثير قائلاً:

«إنهم ساروا في تلك الأعمال وفيها أمم كثيرة منهم اللان واللكز وطوائف من الترك فنهبوا وقتلوا من اللكز كثيراً وهم مسلمون وكفار، وأوقعوا بمن عداهم من أهل تلك البلاد، ووصلوا إلى اللان وهم أمم كثيرة، وقد بلغهم خبرهم، فحذروا، وجمعوا عندهم جمعاً من قفجاق، فقاتلوهم، فلم تظفر إحدى الطائفتين بالأخرى، فأرسل التتر إلى قفجاق يقولون: نحن وأنتم جنس واحد وهؤلاء اللان ليسوا منكم

(٩٨) ابن الأثير، **الكامل** (بيروت، ١٩٦٦) الجزء ١٢، ص ٤٥.

حتى تنصروهم، ولا دينكم مثل دينهم، ونحن نعاهدكم اننا لا نتعرض لكم ونحمل إليكم من الأموال والثياب ما شئتم وتتركون بيننا وبينهم. فاستقر الأمر بينهم على ما حملوه من ثياب وغير ذلك، فحملوا إليهم ما استقر وفارقهم قفجاق فأوقع التتر باللان فقتلوا منهم وأكثروا ونهبوا وسبوا وساروا إلى قفجاق وهم آمنون متفرقون، لما استقر بينهم من الصلح فلم يسمعوا بهم إلاّ وقد طرقوهم ودخلوا بلادهم فأوقعوا بهم الأول فالأول وأخذوا منهم أضعاف ما حملوا إليهم»(٩٩).

عقب هذه الحوادث زار وليم الربركي William of Rubruck اقليم داغستان في تشرين الأول/اكتوبر من عام ١٢٥٤م وقال: ان اللان النصارى يسكنون الجبال ويسكن بين الجبال والبحر الأعراب (أي اللكز المسلمون). ويصف وليم حصناً في الاقليم الساحلي على مسيرة يوم واحد من دربند قائلاً انه من حصون اللان. ولم يكن المغول قد وفقوا بعد في اخضاع هذه القبائل إلاّ ان بلادهم أصبحت فيما بعد حتى دربند (الباب) وما بعدها تابعة لمملكة القبيلة الذهبية(١٠٠).

وهكذا، فبقدر ما استطاع اللان الإغارة على بلاد الشداديين الكرد أو على بلاد الباب وشروان وغيرها من المناطق الشمالية لقفقاسيا في المرحلة التي سماها النصارى بالحروب الصليبية الأولى، فإن صراعهم وتواجدهم في هذه المناطق، سواء في مسقط أو شاكي أو حتى داخل المناطق الكردية (كردستان) يبدأ منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد أثناء الصراع الميدي ـ السكيثي وثم يستمر فيما بين القرنين التاسع ـ الحادي عشر الميلاديين أثناء الصراع الكردي ـ اللاني الأرمني الجيورجي أو الإسلامي ـ المسيحي لحد ظهور الترك الذين وضعوا مع الكرد حداً للتوسع المسيحي للأقوام القفقاسية من الشمال واعتداءات بيزنطة من الغرب.

(٩٩) المصدر نفسه، ص ٣٨٥.

(١٠٠) **دائرة المعارف الاسلامية**، مادة داغستان.

وإذا كان وجود الآلان حصيلة التطور التأريخي للسكيث فإن الكرد والتاليش والتات (أي سكان أذربيجان وكردستان القدماء) ما هم إلاّ حصيلة التطور التأريخي للميديين الذين اندمجوا بالأقوام المحلية لهذه البلاد. وكما انتشر الميديون في جنوب وجنوب غرب بحر قزوين فإن السكيث اتخذوا بلاد الباب وشروان والساحل الغربي لهذا البحر ممراً ومسلكاً لهم أثناء توغلهم نحو اذربيجان وكردستان. بذلك كان اللقاء بين الأحفاد في المناطق نفسها التي التقى فيها الأسلاف مرة أخرى بعد أكثر من ١٥٠٠ عام تقريباً. وبناء على هذا الأساس بنى فلجيفسكي رأيه قائلاً ان:

«علينا ان نعد ثلاث مجموعات كبيرة أثرت في التغييرات التي حصلت في شمال بلاد ما بين النهرين وشرقي آسيا الصغرى وهي الكيميرية والسكيثية والايرانية أو الميدية - الفارسية».

ثم أضاف على قوله الاستنتاج الذي توصل إليه ومفاده:

«أن هجرة القبائل إلى المناطق التي تتداول فيها الآن اللغة الكردية، أي مناطق جبال آسيا الصغرى التي كان سكانها يتكلمون بإحدى المجموعات من اللهجات التي تعتبر حلقة الوصل بين الميدية واللغات الآذرية والتاتية والتاليشية وغيرها من اللغات هي مسألة أكيدة، فهي حد بين اللغة الكردية واللهجات الايرانية الشمالية الغربية»[١٠١].

إذا كانت هذه هي حقيقة علاقة اللغة الكردية بالميدية، فمن المستطاع القول بأن اللغة الأوسيتية (الآلانية الحديثة) في قفقاسيا الآن والتي تعتبر إحدى اللغات الايرانية الشمالية الغربية أيضاً، هي حلقة الوصل بين الكردية والسكيثية القديمة، وكانت اللغة البرثية إحدى لهجاتها التي سادت في شرق بحر قزوين ثم أصبحت لغة امبراطورية منذ القرن الثالث قبل الميلاد، تلك الامبراطورية التي شملت مناطق واسعة من بلاد الكرد حتى بداية القرن الثالث الميلادي. فاللغة الآذرية التي

(١٠١) O. Vilchevsky., **Kurdii**, M. (1961), P. 78;
B.V. Miller, **Talishskiy Yazik.** M. (1953), sTr. 261, 955.

اندثرت الآن وأبقت وراءها التاتية والهرزنية والتاليشية والخلخالية كانت لا تزال لغة سكان اذربيجان قاطبة في أوائل العصر الاسلامي، وكانت «لغة لا يفهمها غير أهل اذربيجان» على حد قول ياقوت الحموي[١٠٢]، ولا شك في كون تلك اللغة إحدى اللهجات الميدية القديمة، لكن أصحابها قد استتركوا تدريجياً منذ زوال الحكم الروادي الكردي في تبريز وحواليها، شأنهم في ذلك شأن أهل الران وشروان والدربند (باب الأبواب) على حد رأي بارثولد[١٠٣]. وجدير بالذكر ان ظاهرة التتريك الاسلامي شملت كذلك قسماً كبيراً من الكرد والجركس والأرمن واليونان في شمال وادي الرافدين وآسيا الصغرى بأكملها ثم امتدت إلى شبه جزيرة البلقان بعد سقوط القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية، ولكن مع ذلك فقد ظلت مجموعات من التات والتاليش تمثل أقلية في اذربيجان نسبة إلى الترك الآن.

وهكذا فإن هجرة الأتراك من أواسط آسيا وبأعداد هائلة واستيطانهم في اذربيجان هي التي مزقت أوصال المجتمعات المتجانسة فيها، منها ما اختفى كالمجتمع الكادوسي الذي يعتقد انه خلف التاليش فيما بعد، ومنها ما ظل حياً كالزازا (الظاظا) الكرد الساكنين في مناطق درسيم وسفيرك وغيرها من بلاد الكرد في تركيا الحالية. أما الذين ظلوا في مناطقهم الأصلية من الزازا (وهم الديمليون أو الديلم القدماء) فهم الآن يتمثلون بالآذريين الترك الذين ينتمون في الواقع إلى أصل غير تركي حسبما يقول مينورسكي، لأن السمات المميزة للغتهم هي التنغيمات الفارسية ومجافاة تآلف الحركات، مما يدل على ان الأهالي المستتركين ينتمون إلى أصل غير تركي[١٠٤]. لقد أدت كل العوامل الموضوعية في تأريخ قفقاسيا وشعوبها عموماً إلى ان يبني أبناؤها ذاتهم ضمن التطورات التي سادت على حياتهم الاقتصادية والفكرية

(١٠٢) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مادة اذربيجان.

(١٠٣) بارثولد، «الترك»، **دائرة المعارف الاسلامية**.

(١٠٤) ف. مينورسكي، **كتاب حدود العالم** (شرح وتحقيق)، ص ٣٩١.

والاجتماعية في إطار الشروط التي توفرت لهم في بناء أسس القومية عندهم. فاللان ظلوا في تماس مباشر مع الجيورجيين ثم الروس إلى ان أصبحوا يشكلون قومية صغيرة ذات الشأن غير الرئيسي في الجمهورية وكذلك جمهورية روسيا الاتحادية. لكن الشعب الكردي نسبة إلى تلك الأقوام استطاع ان يحافظ على سماته القومية ولغته أكثر وذلك نتيجة للظروف الموضوعية التي تميزت بها مناطق سكناهم على خلاف الظروف التي أحاطت بشعوب قفقاسيا، ثم نتيجة للظروف الذاتية التي أدت إلى تكامل القومية الكردية ومقوماتها منذ قرون عديدة سبقت عصر الهجرة التركية. وإذا كانت قفقاسيا مغلقة من جهتي بحر قزوين والبحر الأسود، ووقف هذا الواقع حائلاً دون انتشار أقوامها المحليين نحو الشرق والغرب، فإن كردستان بعكس ذلك كانت مفتوحة من كل الجهات لاستيطان القبائل الكردية فيها حيث كان المجال لتوسع رقعة الاستيطان فيها موجوداً على مر العصور رغم الضغوط البشرية التي كانت تأتيها من كل الجهات وخاصة من الترك والعرب منذ بداية العصر الاسلامي.

لقد توفرت جملة من الشروط خلال الألف الأول قبل الميلاد في شمال وادي الرافدين ومرتفعات جبال زاكروس التي وضعت أساساً لظهور القوميات فيها بمرور الزمن كنتيجة لصراع الامبراطوريات القديمة فيها وزوالها أمام ضغط القبائل البدوية المحاربة وهجرتها إليها من جهات مختلفة رافقتها تغييرات لغوية وأثنولوجية لصالح المهاجرين مع انصهارهم في المحيط المحلي لحضارتها، وكان الميديون والسكيث والكيميريون يلعبون الدور الرئيسي في تلك الأحداث في كل من اذربيجان وارمينيا وكردستان، لكن اللقاء بين الكرد واللان (أحفاد السكيث) كان قد جرى في زمن توفرت فيه مشاعر الانتماء القومي عند الطرفين، لكن الصراع بينهما كان أساسه الاختلاف في الانتماء الديني. وإذا كان قد استكرد قسم من اللان داخل المجتمع الكردي خلال العصرين المذكورين فإن العلاقات السلبية استمرت

بينهما في العصر الاسلامي مما أدى بهم إلى الابتعاد عن ذلك اللقاء المصيري لأجدادهم على أساس الانتماء اللغوي والعرقي.

وإذا كان هذا الكتاب لا يشمل جميع جوانب الأحداث التأريخية للكرد واللان، فإنه يوضح جوانب متعددة من مراحل نشوء هذين الشعبين، في حين لا تزال هذه الدراسة في حاجة للتوسع فيها بعد جمع شتات المصادر الأثرية واللغوية والأثنوغرافية في المناطق التي تقع بين قارتي آسيا وأوروبا.

ومن الله التوفيق.

باب الشدادية

من كتاب جامع الدول لأحمد بن لطف الله

الملقب بمنجم باشي الذي استند فيه على تاريخ قديم

ألف حوالى سنة ١٠٥٠ هـ

(١) الفقرة الرابعة في ذكر بني شداد حكام آران (كذا)
وبعض ارمينية وهم عشيرة رجال اظنهم انهم من الاكراد
دار ملكهم مدينة دبيل ثم جنزة. وابتداء ظهورهم في سنة ٣٤٠
وانقراضهم في سنة ٤٦٨ ومدة امارتهم ١٢٨ سنة

١ محمد بن شداد بن قرطق
٣ المرزبان ٤ ابو الفتح الفضل ٢ اللشكرى ابو الحسن على
٥ موسى ٨ ابو الاسوار شاور
٦ اللشكرى على ٩ الفضل اشوط
٧ أنوشروان ١٠ فضلون

(٢) امّا ارّان(a) فهو اقليم مشهور يتاخم اذربيجان في جهة الغرب منها ويحدّها من الغرب حدود ارمينية ومن الشرق والجنوب اذربيجان ومن الشمال جبال القبق(b) ومن قواعدها مدينة نشوى

(a) في الحاشية: وايضا آران اسم القلعة في نواحي قزوين (b) في الاصل: القبنق

١٠

وهى تقعوان من الخامس طولها عج عرضها مب وباب الابواب
يقال لها فى زماننا هذا باب الحديد عبارة عن ناحية واسعة لها
حكام مستقلون بها طولها عه عرضها ما وقيل مح ومن قواعدها
كنجه فى الخامس طولها عد عرضها مح ومن مدن آران المشهورة
تفليس وشكور والبيلقان وسرير اللان عبارة عن ناحية كبيرة
واللكز واسم جبل ايضا ينسكنون فى نواحيها واما ارمينية
ويجوز بتخفيف اليا الرابعة اقليم مستقل من الرحبة[ه] يحدها
من جهة الغرب بلاد الارمن ومن الشرق والجنوب حدود
آران واذربيجان وبعض الجزيرة ومن الشمال بعض بلاد
آران والغالب عليها الجبال. وهى على ثلاثة اقسام الاول
يشتمل على قاليقلا وشمشاط وما بين ذلك والثانى على
جرزان[ا] ومدينة باب اللان وما بين ذلك والثالث على
بردعة وعلى البيلقان وباب الابواب وربع البعض:
قسمتها الاولى من بيلقان (كذا) الى شروان وبين ذلك
والثانية تفليس وهى جرزان وباب فيروزاباد واللكز
والثالثة الشيرجان[ع] والدبيل ونشوى والرابعة قرب
حصن زياد وهو المسمى بخرت برد[ا] وخلاط وارزن الروم
وما بين ذلك وكان[ع] فى القديم يحكم فى كل قسم منها
امير ويستقل باموره بعضهم من اهل الاسلام وبعضهم
من الارمن ومن البلاد المشركة وبين الروم وارمينية
مدينة قسطمونية ويقال كسلمونية ايضا وسنوب
وسامسون وفرضتها على بحر بنطس طرابزون ومن مدنها

وفى الاصل (ه) الوفية (ا) جزران (ع) السيرجان (ا) حرب برد (ع) وكانت

المشهورة ارزنجان و موش وارزن و ملازجرد و بدليس
و اخلاط - ويجوز ترك الهمزة ايضا - وارجيش و وشطان ؟
وشروان على قول ابن سعيد من آران و الدبيل من قواعد
ارمينية من الرابع طولها عب عرضها لح وهى مدينة كبيرة
والنصارى بها كثيرة وجامع المسلمين الى جانب كنيسة النصارى
قيل انّها من اجلّ البلاد و انفسها و مستقرّ السلاطين
[f.503b] ومن قواعد ارمينية ايضا مدينة دوين من آخر
الرابع طولها عب وعرضها لط اليها ينسب الملوك الأيوبية
و مدينة وان طولها سح وعرضها لح
(٣) اوّل الشدّادية هو محمد ابن شدّاد بن قرطق وكان
سبب ظهوره وولايته انّه لمّا أسر السلّار المرزبان بن محمد
بن مسافر بباب الرى فى ٣٤٧ سنة و بقى فى الاسر والحبس
نحو اربع سنين اضطرب مُلك اذربيجان واستولى كلّ مَن
له عشيرةٌ وعصبيةٌ على ناحية من البلاد فتمكّن محمد بن
شدّاد ايضا فى مدينة الدبيل وسلّم اهلها المدينةَ اليه
ليَذُبّ عن حرمهم(ا) ونسائهم فيأمنوا من اهل الشرّ والفساد
من الديلم وغيرهم فملكها محمد بن شدّاد فى ٣٤٠ سنة تقريبًا
فاقام بها مع شرذمة قليلة من اهل بيته وعشيرته واتباعه
(٤) وكان السلّار ابراهيم بن مرزبان ينوب عن(ب) ابيه المحبوس
ببعض بلاد اذربيجان فلمّا وصل الخبر اليه وجّه الى صاحب
ديرموس(ج) ورسَم له مناهضتَه ومحاصرتَه واخراجَه من دبيل
فامتثل من ذلك ما رسَمه فجمع هذا الكافر جيشًا خشنًا من

وفى الاصل (ا) حرفهم (ب) من (ج) ديرلوس ؟ ولعلّه فريسوس

3*

الارمن واللكز وغيرهم من الكفرة فصار نحو محمد بن شدّاد. واتّصل الخبر به فاستدعى بقومه فدبّروا على محاربته وممانعته فخرجوا من المدينة متوكّلين على الله فالتقوا باولئك الملاعين بين نهرى الرسّ و منصمّون(a) فاقتتلوا قتالاً شديداً فانتصر المسلمون و انهزمت الكفّار فلم يفلت منهم الّا من توارى في الغياض والآجام فعاد محمد بن شدّاد منصوراً مظفّراً الى مدينة دبيل فاستدعى من اهل المدينة معونةً على استحداث موضع بقرب المدينة يأوي اليه اهله واولاده اذ كان يخشى عليهم من جانب اللكز فاعانه عليه اهل البلد فبنى قلعةً باعانتهم وسمّاها تل خثلي(b) ونقل اهله اليها وهي (من) مدينة دبيل على صيحة وبلغ الخبر الى السلّار ابراهيم بن المرزبان وكان باردبيل فانفذ جيشاً عظيماً من اصناف الديلم والاكراد والرجالة × الطرمية(c) وساروا الى باب دبيل فاستقبلهم محمد بن شدّاد ودافعهم مدافعةً عظيمةً فلمّا اشتدّ الحرب ولم يثبت اهل المدينة وغدروا بمحمد وتركوه في يسير من اصحابه ولمّا رأى محمد انهزامهم انهزم هو ايضاً الى قلعته في الليل واستنزلهم واخذ بهم سمت ارمينية وخلّى دبيل على اهلها حتّى قاسوا من الديلم ما قاسوا ثم ارسلوا عدّة رجال من اعيانهم الى محمد بن شدّاد يعتذرون اليه ويستدعون رجوعه الى بلدهم ويحلفون له على الطاعة والانقياد وعدم الغدر من بعد ذلك فبلغوا اليه وقالوا له ما قالوا حتى سكن قلبه

وفي الاصل (a) منصمّون (b) بل خثلي (c) الطرمية

٤٠

اليهم فعاد معهم الى دبيل و دبّر امرهم و صرّف عنهم أذى
المشركين واهل الفساد وانتظم حال المدينة واهلها واستقرّت
قدم محمد بن شدّاد فى ملكها و تدبير امور اهلها
(٥) وكان لكورة جرزان وغيرها من ارمينية مُلِك يقال له
اشوط بن العبّاس وكان ملقبا بشاهنشاه وحدّثته نفسه
بمحاصرة دبيل ومنازلة اهلها فجمع اجناده من الارمن واللكز
وسائر الكفرة [504a] وامتدّ نحو دبيل فى ثلثين الف رجل
ونزل بموضع قريب منها يقال له ناورد فبثّ عساكره الى تحريق
الغلات وتخريب الضياع فبلغ الخبر الى محمد بن شدّاد وهو
غافل فى شرذمة قليلة من اهله واصحابه فلاحظ خُدعةً فى
دفع هذا عدوّ القويّ فامر جميع من فى البلد من الرجال
والصبيان بالركوب على البهائم من الحُمُر والبقر والدوابّ
والبغال وبالخروج عن البلد على تلك الحالة والوقوف
بقرب البلد حتى يُرى العدوّ سوادهم ويسمعَ صياحَهم
وتكبيرهم الى ان يُشير اليهم محمد بالقدوم والمسير ففعلوا
ذلك وسار هو فى جمع من الفرسان والشجعان على
سبيل الطلائع نحو العدوّ وهم على غفلةٍ منتشرين
مكتنفين بمواضع الظلّ من شدّة الحرّ ولم يشعروا الّا
وقد تساور المسلمون تساور الأسود الضارية وحكّموا
فيهم السيوف من كلّ جانبٍ ولمّا اشتدّ القتال اشار محمد بن
شدّاد الى الجمع الذى بقرب البلد فصاحوا صَيحةً عظيمةً
فساروا الى مرأى من العدوّ ولمّا رأى العدوّ سوادهم
كالجبال فزادوا فى أعينهم على عدد الرمل فانهزموا بعون

٥٥

الله و نصره
(٦) ولمّا تخلّص السلار المرزبان من الحبس في ٣٤٢ سنه و فرغ من غائلة ديسم الكردي بعث جمعًا من الديلم الى محاصرة قلعه دبيل واخراج محمد بن شداد منها في ٣٤٣ سنة وكانت قلعة دبيل الى هذه الاوان(ه) في ايدى جماعة من الديلم ولمّا حاصر جيش المرزبان دبيل غدر الديلم الذين في القلعة بمحمّد بن شدّاد وادخلوا جمعًا من الجيش من باب صغير للقلعة وأرادوا أن يكبسوا محمّدًا واهله واصحابه واتّفق معهم في ذلك جماعة من اهل البلد طمعًا في ماله ولمّا أحسّ محمّد بذلك جمع اهل بيته وخواصّ اصحابه وحملوا كلّ ما يمكن حمْله فجاؤا جميعًا الى باب معروف بباب المقابر من ابواب القلعة فوجدوه مُقفلا و لم يكن المفتاح معهم وكان معه ابن اخ له وهو شرفون(ك) ابن عيسى موصوفا بالشجاعة والنجابة فجرّد سيفه و ضرب به القفل وكسره وفتحوا الباب واخرجوا اهلهم و اولادهم واسبابهم و عبروا نهري الرسّ ومنصورون في تلك الليلة ولاذوا بصاحب اسفرجان ثم انّ محمّد بن شدّاد ترك مَن كان معه من اهله واولاده عند صاحب اسفرجان بعد اخذ الضمان منه فصار الى ملك الروم يستنجده على استرجاع دبيل وفتحها فبقى عنده مدّة ولم يصل فيها الى ما حاول لموانع عرضت فعاد الى مكانه ولقى اهله واولاده وعشيرته باسفرجان في ٣٤٤ سنة فأدركه الاجل ومضى سبيله في هذه ٣٤٤ سنة
(٧) فخلّف ثلاثة ابناء اللشكري ابو الحسن على والمرزبان

في الاصل(ه) هذا الآن(ك) بسرفون

٦٠

والفضل ولمّا توفّي محمد بن شدّاد قام مقامَهُ في تدبير امور
عشيرتهم [504b] اكبر اولاده اللشكري ابو الحسن علي بن محمّد
بن شدّاد في ٣٤٤ سنة وفيها قصد اللشكري صاحب ديرزور (؟)
واقام مدّةً مديدةً حتّى كان ٣٥٤ سنة وفيها قصد. اللشكري صاحب
ديرروز (؟)[a] واقام عنده ايضًا بُرهَةً من الزمان وخرج اخوه
الفضل بن محمّد الى ذكا السيفي غلام سيف الدولة الحمداني
كان قد استعمله على ديار بكر وبقي عنده مدّة وساهد منه ما
ارتضاه ثم سيف الدولة تغيّر على غلامه نجا هذا واتّهمه
وعزله عن ولايته في ٣٥٦ سنة فعاد الفضل بن محمّد الى اخوَيه
اللشكري والمرزبان واقام عندهما مدّة يسيرة عازمًا على الانصراف
والتوجّه الى غيرهما من أصحاب الاطراف فالحّا. عليه بالمقام
عندهما فبدرت منه يمين انّه لا يخدم عبدة الاصنام. ولا
يقيم الّا في بلد الاسلام فخرج مع اصحابه ناويًا على الامتداد
الى حضرة السلّار ابراهيم بن المرزبان فأتى مدينة جنزة ونزل
على بابها مع سواده وغلمانه ومَن اجتمع عليه من اصحابه
وبها والٍ من قِبَل السلّار ابراهيم يُعرَف بعليّ التازي
فمنّاه وأكرمه وعمل معه الجميل ووعده أن يكتب الى السلّار
ويعرّفه حاله ليجعل له معاشًا من باب المدينة فيحامي عنها
ويذبّ من وراءها ويزيل معرّة اللصوص واهل الفساد
والسياوُردية خاصّةً منها. وقد كان اجتمع قوم يعرفون.
بالسرية[b] على باب هذه المدينة وفيهم عدد جمّ من الفرسان
ينيف على اربعمائة فارس قد خالطوا السياوردية وتخالطوا

(a) ظاهر انّ تكرار اسم "ديرزور" هنا خطاء الناسخ (ج) ولعلّها * السريرية

٦٠

معهم ونزلوا بشط الكر(a) معتصمين بتلك الغياض والآجام
ويحملون غلات هذه الضياع ويشنون الغارات فيها فاستعان
هذا الوالي بالفضل بن محمد في دفعهم والنكاية بهم إن وجد فرصة
واتفق انهم في هذا التدبير اذ وقعت صيحة في المدينة انهم
وردوا ضيعة سورمين لاحتمال ما فيها من الغلات وان القوم "
اخذوا أسلحتهم و برزوا من جنزة فركب الفضل مع اصحابه وسار
اليهم فحاربهم محاربة شديدة فهزمهم فركبت الشدادية اكتافهم
وعادوا سالمين فلما عاينوا اهل البلد ما كان منه زادوا منه
اعظاما واستناموا اليه حالا فحالا و بقي الفضل حتى كانت سنة ٣٥٩
فعزم الفضل فيها على أن يخرج الى اذربيجان فحضره رؤساء
جنزة فقالوا له " لا تفعل ايها الامير والزم المكان و أنفذ
في طلب اخيك اللشكري لتسلم هذه المدينة وينهض عن
خدمة الكفار فنأمن بالله وبكم من معرة هؤلاء الأشرار"
ففعل في نفسه ما سمعه منهم وشهد بذلك قلبه فراسل
اخاه اللشكري واستدعاه و عرفه بقول القوم وحصول جنزه لهم
ولما وصل الخبر الى اللشكري لم يعمل في نفسه شيئا ونسب
اخاه الفضل الى سوأة(b) وسوء التدبير ثم احتال الفضل حيلة
في استقدام اخيه فأرسل غلاما له الى اخيه اللشكري يخبره
بان الفضل اصابته علة لا يقدر بها على الركوب فركب
اللشكري في الوقت [505a] وسار مع الغلام فورد الغلام
فأخبر الفضل بان اللشكري قد نزل في الضيعة الفلانيه فركب
من ساعته واستقبل اخاه اللشكري فتعانقا وتباكيا ثم عاتبه

في الاصل (a) الكز (b) سوءة

80

اللشكري وقال " بحمد الله انت سالم فما حملك على ما فعلت
حتى اوجعت به قلوبنا " فقال له الفضل " ايها الاخ الامير أما
آن لك ان تأنف من خدمة الكفرة الأكرة وأن تمسي وتصبح
مع الخنازير وتسمع عوض الاذان صوت النواقيس؟ وهذه
المدينة سلّمها الينا اهلها صفوًا باتفاق اهلها " فانكر عليه اللشكري
ذلك فقال " انت تعلم يا اخي ان والدنا ما فعل بمدينة دبيل
ونحن نطوف منذ عشرين سنة لا يقبلنا مكان ولا يطيب
عيشنا بزمان فان دخلنا هذا البلد قصدنا صاحبها واحاط بنا
وضيّق علينا ونحن في زمرة يسيرة فمن الذي يخلّصنا
من يده؟ وبعض الظن كاذب ولا كل رأي في مثل هذه
الاحوال صائب وقد اعتبرنا وكفانا ما مضى" فقال الفضل .
على المرء أن يسعى في طلب المعالي فان ظفر بمناه فقد حاز .
مبتغاه، وان قصرت عنها خطاه فلا عتب عليه فيما حاوله
منها وابتغاه"

(٨) فاستصوب اللشكري هذا الكلام والرأي من اخيه الفضل
فاجاب الى مسئوله فصار الفضل الى باب جنزة على أن يحضر
اهلها ويجدّد اليمين وكان الرئيس في البلد يُعرف بيوسف
القزّاز فاحضره ومن تبعه منهم وعقد الوثائق فيما بينهما
وحلفوا باجمعهم انه متى ما ظهر من اللشكري والفضل حركة
فيما بُنوا عليه تدبيرهم يفتحون باب المدينة ويقبضون على
واليها ويسلّمونه منهم (كذا)[a] فلمّا وقعت الموافقة فيما
بينهم على تسليم المدينة جمع يوسف القزّاز حينئذ فتيان

(a) * اليهم؟

٥٩

المدينة ولبسوا السلاح فقصدوا دار الوالي وقبضوا عليه
وفتحوا باب المدينة فدخل اللشكري اليها وانتصب على الوسادة
وسرير الامارة في ٣٦٠ سنة ولما وصل الخبر الى السلار ابراهيم بن
المرزبان باردبيل سار في جيش في ٣٦١ سنة وحصر مدينة جنزة وقاتل
اللشكري وجرت بينهما حروب ووقائع يطول ذكرها ولما لم يظفر
بها صالح اللشكري فعاد من باب جنزة الى اردبيل فضبط اللشكري
البلاد وازال المفسدين منها واخرج الديالمة من اعمالها فاستراح
الناس به فعظم شأنه واستفحل امره فبقي اللشكري يوسّع ملكه
يومًا فيومًا حتّى ملك بلاد اران جميعها وبعض بلاد ارمينية ويدبّر
احوال رعيته احسن التدبير ويسوس الجند أجود سياسة الى ان
كانت ٣٦٨ سنة فتوفي فيها اللشكري ابو الحسن علي بن محمد بن شدّاد
بدار ملكه جنزة فمدّة امارته امّا على عشيرته فقط فهي نحو ٢٤ سنة
وامّا على العشيرة ومدينة جنزة واعمالها جميعا فهي ٨ سنة
(٩) فقام بالامارة بعده اخوه المرزبان بن محمد بن شدّاد بن قرطق
في ٣٦٨ سنة وكان اللشكري يحبّ ان تكون الامارة بعده للفضل
بن محمد اذ كان يحبّه ويؤثره على اخيه المرزبان بالرأي وايضًا
هو كان السبب في تملّكهم البلاد الّا ان الجند والرعية كانوا
يميلون الى المرزبان وكانت [505b] والدتهم تحبّ الفضل وتميل
اليه وكان المرزبان يداريها ويطلب رضاها وجلس المرزبان في
الامارة مكان اخيه وجرى في ايامه خطوب ووقائع لقلّة رأيه
وسوء تدبيره وبقي المرزبان في الامارة الى ان صارت ٣٧٥ سنه
ففيها اوقع الحواشي بينه وبين اخيه الفضل بن محمد حتى عزم
قتل المرزبان فاتّفق انّ المرزبان ركب يومًا الى الصيد فكان

١٥٠

من القضاء انّ ماليكه تفرّقوا عنه فى طلب الغزلان فخرج عليه اخوه الفضل وجرّد سيفه وضرب على رأس المرزبان ضربة بعد ضربة حتّى قتله فخرّ عن ظهر فرسه ميّتا وكانت مدّة امارة المرزبان نحو ٧ سنة

(١٠) فاقبل الفضل الى المدينة وبعث طائفةً من غلمانه فقبضوا على شيروين بن المرزبان ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها وامر بغلاق ابوابها فجلس الفضل بن محمد بن شدّاد على سرير الامارة بعد قتل اخيه المرزبان فى ٣٧٥ سنة فاستقرّ فى ملكه ودبّره احسن تدبير فسار وملك مدينة بردعة وبيلقان فى ٣٨٣ سنة وفى ٤١٧ سنة دخل صاحب* الأبخار(a) بلاد آران وحصر شمكور(b) اياماً فسار اليه الفضل فى جيش عظيم وقاتله وهزمه وقتل من جيشه ما يزيد على عشرة آلاف رجل فعاد صاحب* الابخاز منهزمًا الى بلاده وفى ٤١٨ سنة امر الفضل ببناءٍ قنطرة على نهر الرسّ وهى اثر عظيم منه وفى ٤٢١ سنة ارسل الفضل ابنه وولى عهده موسى بن الفضل فى جمع الى قتال ابنه الآخر عسكويه (كذا) ببيلقان وكان قد عصى على ابيه واخيه وجمع جمعًا فاراد الخروج على ابيه فسار موسى واستعان بالروسية على اخيه لانّهم كانت قد دخلت منهم طائفة بنحو ثمان وثلثين سفينة الى بلاد شروان فحاربهم صاحب شروان منوچهر (فعقد منوچهر(c) الرسّ ليمنعهم من الصعود فغرّقوا جماعةً من المسلمين فاخرجهم موسى بن الفضل واعطاهم اموالا جمّةً وحملهم الى بيلقان فاخذها بهم وقبض على اخيه عسكريه (كذا) فقتله ثم انّ الروسية خرجوا من

وفى الاصل (a) البجاز (b) مسكوه (c) حسب ما ورد فى باب شروان ص 1053

٤٤٥

اران الى الروم وامتدّوا فيها الى الروس و فى ٤٢١سنة يوم السبت عيد الاضحى
توفّى الامير الفضل بن محمد بن شداد فكانت مدّة امارته ٤٧ سنة
(١١) فتولّى الامارة ابنه وولى عهده ابو الفتح موسى بن الفضل
بن محمد بن شدّاد فى ذى الحجّة ٤٢٢ سنة وفيها خرجت الروسية
كرّةً ثانيةً فسار اليهم وقاتلهم عند باكويه فاخرجهم من بلاده وقتل
منهم مقتلة عظيمة. وفى ٤٢٥ سنة وثب على ابى الفتح موسى ابنه
اللشكرى علىّ بن موسى فقتله غيلةً ٤٢٥ سنة وكانت امارته ٣ سنة
(١٢) فتولّى الامارة الولدُ القاتلُ اللشكرى علىّ بن موسى بن الفضل
بن محمد بن شدّاد فى ٤٢٥ سنة وكان خبيثًا سئ الاعتقاد فتزوّج
حظية ابيه وكانت ايام امارته مضطربة لا راحة له وللرعيّة من
هجوم الغز [506a] وسائر الاعداء وكان ينتقل من قلعة الى اخرى
فى شدّة وضعف حتّى مات فى ٤٤١ سنة فمدّة امارته نحو ١٥ سنة
(١٣) فنصبوا مكانه ابنه انوشروان بن اللشكرى على فدبّر امره
ابو منصور الحاجب فاتّفق مع القوّاد والحراشى على ان يتركوا
قلاعًا على الكفرة : قلعة طاطيان وموجلنك والبيضاء على
صاحب شكى، وقلعة كرمستان للداويدية(ه) وقلعة كردملان(و)
للافغانية(ز) والرستاق للرومية ليمنعوا اطماعهم من اران لانّهم
كانوا قد طمعوا فيها لضعف اللشكرى وصغر ابنه انوشروان هذا،
ولمّا علم الرؤسا هذا الرأى من ابى منصور وغيره من القوّاد اجتمع
عند الهيثم ابن ميمون البائى(ح) رئيس الدبّاغين بالجند بشمكور(ط)
فتشاوروا وقالوا اذا حصلت هذه القلاع والرساتيق فى ايدى
الكفرة حينئذ تذهب هذه المدينة وليس لنا الّا الانتقال منها

(ه) او الداديدية؟ (و) اوكردملان؟ (ز) فى الاصل: الاعبارية (ح) البابى؟ (ط) فى الاصل سيكو

12*

بالكلية مع اهالينا واولادنا ولانحتمل الذلّ فاحسّ من في قلعة
بالشرّ وكان الحاجب ابو منصور بها فاستدعى الهيثم فامر الحاجب
باغلاق باب المدينة وتوارى قحطان والخطيب وبقي الهيثم من
الرؤساء وحده مع غلمانه فاحاط به اصحاب الحاجب للقبض عليه
فترجّل الهيثم وغلمانه وشحذوا اخناجرهم ونادوا بشعار ابي الاسوار
شاور بن الفضل وفتحوا باب البلد فظهر قحطان والخطيب وغيرهما
من الرؤساء فولّوا على البلاد ابا الاسوار شاور بن الفضل بن
محمد بن شدّاد في ٤٢١ سنة بعد شهرين من ولاية انوشروان
١٤ فدخل اوّلا مدينة شمكور وأحكم أمرها ثم سار الى جنزة
ودخلها واحتوى على جميع بلاد آران وقلاعها وقبض على
انوشروان وعلى الحاجب ابي منصور واخوته واولادهم وكانوا
يقال لهم بنو ابي هيثم الكاتب وكانوا اعيان دولة بني شدّاد فقبض
ابو الاسوار على جميعهم وأحيى اسم الدولة بعدان كادت تموت وقويت
وانتظمت احوال الرعية والجند فسار في ٤٢٥ سنة وفتح قلعة بصره(a) من
الجوزيه(b) عنوةً وحصّنها بالرجال والميرة والسلاح وفيها اخرج ابنه
ابا نصر اسكندر بن شاور الى مدينة دبيل وسلّم اليه اعمالها وفي
٤٥٤ سنة جاء اليه جماعة من اعيان تفليس وسألوا منه ان يُرسلَ
اليهم مَن يسلّمون اليه القلعة لأن صاحبها جعفر بن علي كان
قد مات وخلّف ابنين منصورًا وابا الهيجاء فوقعت البغضاء
بينهم في ولاية القلعة واخرجها اهلها وعادوا الى ابي الاسوار
يسألونه ما سبق ذكره وأن يرسل اليهم رجالا وسلاحا وميرةً
فأراد ابو الاسوار أن يجيب الى مسئولهم فمنعه وزيره بختيار

(a) او نصره؟ (b) وفي الاصل الخزرية

13

ابن سلمان وقال له "سيفتح الله لك كورة [506b] تفليس كلها
فيقع تلك القلعة ايضا فى يدك عفوًا وصفوًا" وقال ايضا
"هذا يكون سببًا لتفرّق رجالك وضياع ما لك بلا فائدة"
فرجع ابو الاسوار عن الاجابة الى مسئولهم وردّ مفتاح القلعة
اليهم فرجعوا فسلموا المفتاح والقلعة الى *اخسرطان بن
كاليف(ه) صاحب شكى فقبلهم واحسن جوائزهم وصرّفهم
من عنده ثم باعها* الى(ط) صاحب الروم باموال جمّة فانفذ ملك
الروم فى الوقت اليها حفظة وشحنها بالرجال والسلاح والميرة
وامر بتوسيع الطرق فى الجبل ليسهّل للكفرة العبور منها
الى بلاد الاسلام.

(١٥) وفى هذه ٤٥٤ سنة عبر الالانية من باب اللّان ودخلوا بلاد
اران وقتلوا منها خلقا كثيرا وسبوا زيادة على عشرين الف نسمة
ما بين رجل وامرأة وصبيّ وصبيّة وفى ٤٥٥ سنة بنى ابو الاسوار
حوالى ربض جنزة سورًا حصينًا وعلّق عليها ابوابًا محكمةً وضرب
حواليها خندقا عميقا وصارت جنزة اضعاف ما كانت وفيها ايضا
قصد بلاد شروان واخذ قلعة قويلميان من يد صاحبها عنوة
وادخل فيها نائبا ورجالا من قبله ثم سار وحاصر مدينة شروان
فحاربه الشراونة فانهزموا منه فركب اكتافهم وقتل منهم جماعة
واسر من احيازهم ما يزيد على خمسين فارسًا من صناديد
اللكز وكبار الكواروات(ى) واحتوى على جميع ما فى عسكرهم من
الدوابّ والاثقال ثم انتقل منها الى باب اليزيدية(ك) وضرب
خيامه واخذ ابنته حرم سلّار صاحب شروان مع جميع ما كان لها

وفى الاصل(ه) اخسرسان بن كالبق (ط) من (ى) او كوارداب (ك) البريدية

١٤٠

من الخزائن والدواب[a] قهرا فعاد الى آران ثم عاد فى رجب
من هذه السنة الى بلاد شروان وأحرق الغلات والقرى فعاد
وفى ٤٥٦ سنة ايضا سار ابو الاسوار الى شروان واستولى على كر
وقطران واخذ حموار[b] وانحازت حُلَل الاكراد الى جنبته وعبروا
باهاليهم من كر الى نعمته فعاد منها الى مقرّه ثمّ وقع الصلح
بينه وبين صاحب شروان فى رجب من هذه السنة وردّ اليه
قلعة قويلميان بعد ان استوفى منه اربعين الف دينار
(١٦) وفى ٤٥٧ سنة غزا السلطان الب ارسلان السلجوقى بلاد
الارمن والروم وفتح قلاعا كثيرةً وسلّمها الى ابى الاسوار
صاحب ارّان ليُضيفها الى مملكته لاتّصالها الى بلاده وفى هذه
٤٥٧ سنة فى رجب منها جمع ابو الاسوار جيشه وسار ودخل بلاد
الارمن والروم وقصد ثغر آنى ودخله ورمّ ما شعث منه واقام
عمّاله فيه وشحّنه بالسلاح والميرة والرجال ثم دخل فى بلاد الروم
واغار عليها وفتح بالقرب من آنى قلعة حصينة وادخل حفظته
وثقاته فيها ثم انعطف وجلس الى باب قلعه وبحين[c] وهى
قلعة حصينة منيعة من احسن قلاع الارمن فضرب معسكره
حواليها ففتحها عنوةً واسكن فيها أُمَناءه ثم كرّ راجعًا الى جنزة
ولمّا اقام بها وفرّق جيشه الى بلاده خرجت اللّان فى [507a]
جمعيّة عظيمة من باب اللّان فى ذى القعدة وجاوزوا بلاد
شكى وخزران (كذا) ثم دخلوا مع كفرة الشكرية[d] جميعا الى بلاد

(a) وورد فى باب شروان (f.105b) حتى اخذ ابنته حريم سلار المتوفى مع جميع مالها
(b) (f.105b) ونزل قرية سعدون واحرق الغلات واضرم النيران واستولى
على كر وقطران واخذ حماوان (c) ولعلّها = بجني (d) الكفرة الشكوية ، من شكى

15*

آران فجاسوا خلالها و شنّوا الغارة الشعواء والقتل والنهب في سهلها وجبلها من غير مانع لهم وقتلوا على باب ثغر شمكور زيادة على مائتى رجل من الغزاة المتطوعة واغاروا على باب جنزة وقتلوا من وجدوا فى قراها وكان ابو الأسوار مع قوّاده بجنزة وما جسروا للبروز اليهم والقتال معهم ثم سارت الملاعين الى بردعة ونزلوا على بابها ثلاثة ايام واغاروا على نواحيها وجاوزوها حتى وصلوا الى خانقين بالقرب من نهر الرسّ واخرجوا من بلاد آران من الاسارى خلقا كثيرا جاوز الحدّ والاحصاء من المسلمين والمعاهدين وفى ٤٥٩ سنة فى يوم الاربعاء لسبع مضين من ذى القعدة توفّى الامير المجاهد ابو الاسوار شاور بن الفضل الغازى بمدينة جنزة ودفن فى المسجد الجامع وكانت مدّة امارته على آران جميعها وبعض ارمينية ١٨ سنة وقبلها على بعض البلاد ٢٨ سنة فمدّة جميع امارته ٤٦ سنة .

(١٧) وترك من البنين خمسة : الفضل واشوط واسكندر ومنوچهر والمرزبان وابنة واحدة وجعل فى حياته ولاية العهد الى اكبر اولاده الفضل وآخذ بيعته على اولاده وعلى جميع الشدّادية فى عشيرته وعلى الجند ورعيته فلمّا قضى نحبه اجلسوا الامير ابا[١] الفضل بن شاور بن الفضل بن محمد بن شدّاد فى دست الامارة مكانه وجدّدوا بيعته ورضى به اخوته وانقاد له عشيرته ودخل فى طاعته الجند والرعية وفى هذه ال٤٥٩ سنة فى ذى الحجّة دخل السلطان الب ارسلان بلاد آران فاستقبله الفضل بن شاور بالطاعة والعبودية وقدّم بين يديه مفاتيح خزائنه وسلّم منه[٢] جميع ما كان له من الذخائر وكذا ورد حضرته

(١) فى الاصل: مسجد (٢) ابو الفضل (٢) ولعلها: اليه

١٦٠

صاحب شروان فريبرز بن سلار مع الهدايا والخدمة ودخل السلطان
فى المحرّم من ٤٦٠ سنة وغزا بلاد شكى وخزران(a) ثم بلاد الافخاز(b) واكثر
القتل والاسر والنهب وفتح القلاع فى بلاد الكفر ثم قبض على منصور
وابى الهيجا صاحبىَ تفليس عند عودته(c) وسلّم ثغر تفليس الى الفضل
بن شاور وفى رمضان من هذه السنة خرج الفضل الى ثغر تفليس
ومنه غزا بلاد الافخاز(b) ولمّا امتلأت ايدى المسلمين من الغنائم
اخذت الافخازية عليهم المضائق وقاتلوهم فانهزم المسلمون فبقى
الفضل صاحب ارّان فى شرذمة قليلة من الشجعان فانهزم هو ايضا
بعدان قُتِل جميع مَن معه من اصحابه فضَلّ الطريق فوقع الى
قرية * إوانا بن لفرت(d) بعض بطارقة شكى وخزران(a) فنزّله(e) عنده
ساعةً ثم حمله الى اخسرطان(f) اللعين فلمّا نزل عنده غدّر به وقبض
بالوقت عليه وامسكه عنده ايامًا ثم سلّمه الى صاحب الافخاز
(١٨) فلمّا يئس منه اهل ارّان اجلسوا بالامارة اخاه اشوط بن
شاور بن الفضل مكانه فى شوّال من ٤٦٠ سنة وفى ذى القعدة منها
دخل ساوتكين(g) الخاص امير العراقين [507b] مع الاتراك بلاد
ارّان ثم سار الى غزو الكفرة وبقى الفضل بن شاور فى الاسر
والحبس عند صاحب الافخاز(b) الى ان خلّصه الله تعالى فى جمادى الاخرة
من ٤٦١ سنة فوصل الى مُلكه وجلس على سرير امارته بجنزة وكانت
مدّة امارة اخيه اشوط نحو ثمانية اشهر وكان صاحب شروان
قد نكث العهد والصلح فتجاوز بلاد ارّان بالنهب والغارة عند
اسر الفضل فلمّا عاد الفضل الى امارته جمع اجناده وسار الى بلاد

(a) ويحتمل انها جوزان (b) فى الاصل: اخفاز (c) عوده (d) وكانا بن كفتر
(e) فنزل عنده (f) احسرسان (g) شاه تكين

١٧٠

شروان فنفذ ثم بنى بلاد شروان فسبوا العمارات وحرقوا وخربوا
فعادوا الى جنزة وفي ٤٦٣ سنة خطب للفضل على منابر ثغر الباب
وكان يخطب لصاحب شروان وفي ٤٦٤ سنة اصطلح الفضل وصاحب
شروان وسارا جميعاً في جيشهما الى باب قلعة مالوغ(a) في شهر
رمضان واخذوا عنوة وقتلوا من فيها من اهل الكفر ثم هدموها وعفوا اثرها
وفي ٤٦٦ سنة خرج على الفضل ابنه فضلون بن الفضل بن شاور (19)
بن الفضل بن محمد بن شدّاد واخذ الملك من يد ابيه فاطاعه
الجند والرعية ثم أرضى اباه واقطع له قلعه خارك(e) وعمارها ونفرّغ
فيها للعبادة وكانت مدة امارته مع مدّة نيابة اخيه اشوط عنه(b)
حين أسر نحو ٦ سنة وبقي فضلون في الامارة نحو سنتين الا شهورا
فاقطع السلطان الب ارسلان بلاد باب الابواب واران لاحد
قوّاده واخصّ خاصته ساوتكين(c) فسار في جمع(d) من الاتراك
اليها في ٤٦٨ سنة فامتنع فضلون تسليم البلاد فقصده ساوتكين(c) ولما
علم عجزه عن المقاتلة والمدافعة سلّم دار ملكهم جنزة وغيرها من بلاد
اران الى نوّاب السلطان فاستقرّت الاتراك على بلاد اران سهلها
وجبلها وجميع كورها وقلاعها فانقرضت دولة الشدّادية عنها ووقع
في ايدي الاتراك جميع خزائنهم وذخائرهم وكانت مدّة ولايتهم ١٢٨ سنة
اذا اعتبر الابتداء من ظهور محمد بن شدّاد بن قرطق واستيلائه
على دبيل ٣٤٠ سنة (كذا) واما اذا اعتبر من استيلاء اللشكري على
جنزة في ٣٦٠ سنة فمدّة امارتهم ١٠٧ سنة وبقي الفضل بن شاور
محاصرا في قلعة خارك(e) مدّة ثم أخذت منه وقبض عليه ايضا
فانقطع اخبارهم فسبحان الذي لا ينقطع سلطانه ۞

(a) في الاصل مالوغ (b) منه (c) شاوتكين (d) جميع (e) ولعلها چارك

١٨٠

فهرس الأعلام

ث

ج

ح

خ

د

ر

ز

ن

هـ

و

ي

فهرس الأماكن

ب

ت

ج

ق

ك

ل

م

ن

لقاء الأسلاف

دراسة موسعة جغرافية وتاريخية لمنطقة آسيا الوسطى كما جاءت في كتب الرحالة العرب. أمثال البلاذري وابن خرداذبة والمسعودي وياقوت الحموي والطبري والقزويني والاصطخري وابن الأثير وكثيرين غيرهم، كما انه يلقي أضواء جديدة على التاريخ المنسي لهذه المنطقة الاكثر سخونة في هذه المرحلة التي تلت انهيار الجمهوريات السوفياتية. ويركز هذا الكتاب بشكل خاص على دور شعوب هذه المنطقة والذين عرفوا بشعوب اللان واسلافهم من السكيث والكميريين والسرمات والذين اشتهروا قديماً في الشرق تحت اسم يأجوج ومأجوج ثم اصبح أحفادهم يعرفون عند العرب مع مطلع العصر الاسلامي بشعوب «اللان».



1855132923